سلسلة أبجديات الحوار الديني

(١)

المسيحية و الإسلام

دكتور
جمال عمر

سلسلة أبجديات الصراع الديني (١)

المسيحية والإسلام

دكتور

جمـــال عمــــر

عنوان الكتاب : أبجديات الصراع الديني (١)

المسيحية والإسلام

المؤلف : د. جمال عمر

رقم الإيداع : ١٦٢٦٧ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولي : 977-17-6026-2

الطبعة الأولى : أيلول (سبتمبر) ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

للاتصال بالمؤلف أو المساعدة في نشر هذه السلسلة :

بريد إلكتروني : j.binomar@yahoo.com

هاتف محمول : ٠١٠٢٥٢٦٠٨٨

«أنتم قصدتم لي شراً.

أما الله فقصد به خيراً لكي يفعل كما اليوم»

كتاب التوراة

"في اللاذقية ضجة

ما بين أحمد والمسيح

هذا بناقوس يدق

وذا بمئذنة يصيح

كل يعزز دينه

يا ليت شعري ما الصحيح"

ديوان أبو العلاء المعري

إهداء

أهدي هذا العمل إلى روح أبي، وأمي، السيدة، والسيد، لواحظ، وتوفيق عمر، رحمة الله عليهما. وأهدي هذا العمل أيضًا إلى أخوتي الأحباء عواطف، وليلى، ومحمد، ومصطفى، حفظهم القدير، ووسع عليهم، وعلى أسرهم رزقه الوافر.

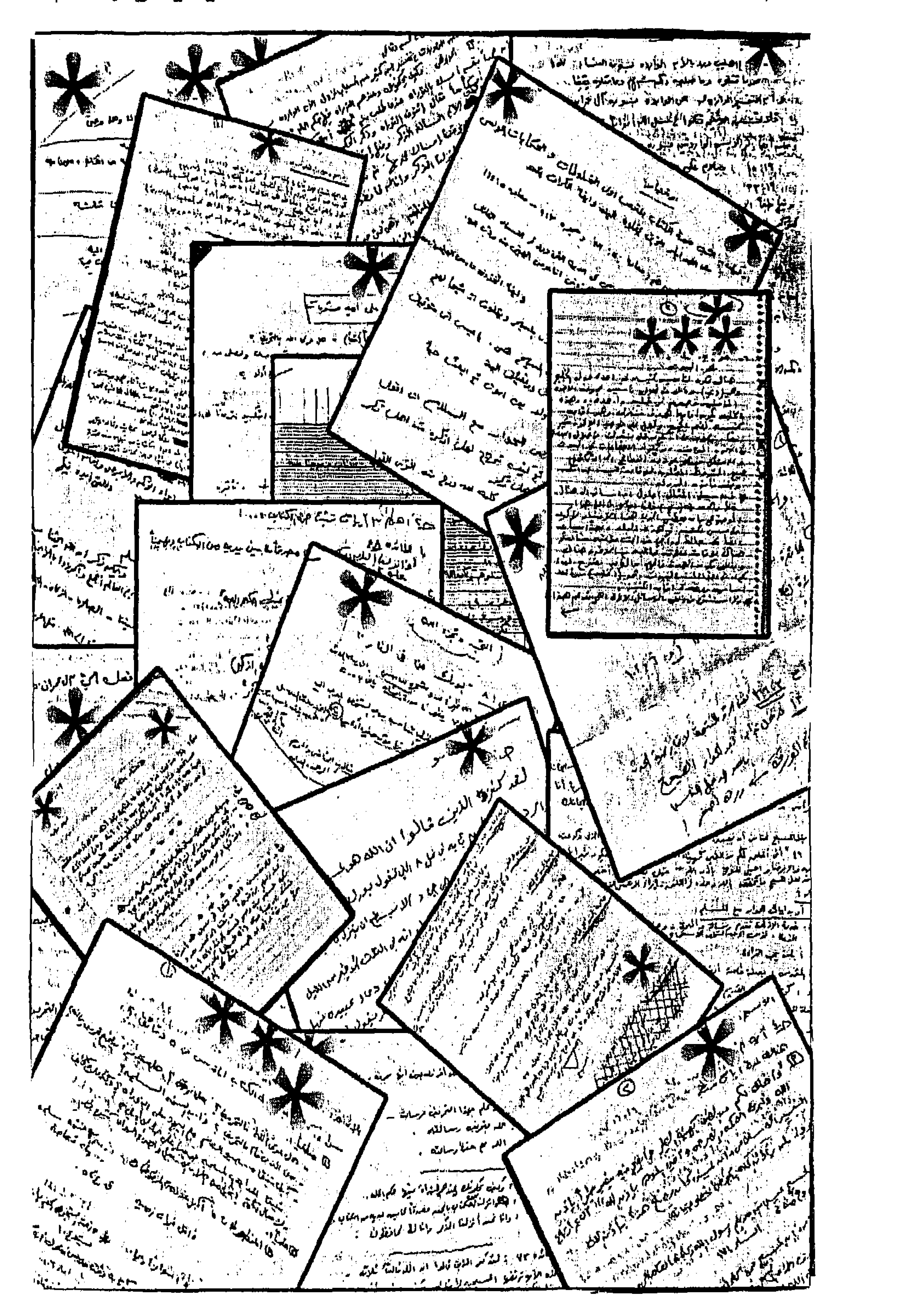
وأهدي هذه السلسلة إلى روح الشهيد رفيق الحريري الذي ناضل في حياته من أجل رفع قيمة البحث العلمي، وساعد اللبنانيين من جميع الملل، والنحل، والمشارب، والأهواء، والطوائف بالغالي، والنفيث حتى طالته يد الغدر!

وأهدي هذا العمل إلى مفتي زحلة، والبقاع، سماحة الشيخ خليل محيى الدين الميس حفظه الله الذي جعل من مجدل عنجر واحةً للعلم، والعمل بفضل مجهوداته الشخصية الدؤوبة ليل نهار أطال الله في عمره.

وأهدي هذا العمل لأصدقاء متميزين، كانوا بمنزلة الشمعة المضيئة وسط رياح الصعوبات التي عصفت بي. إلى كل من الآنسة بيكي هيوستن، والسيدة، والسيد، أنيتا، وطوم بلت، والسيدة، والسيد ابريل، ولايل أرمسترونغ، والسيدة، والسيد، بيكي، وبن آدم، والسيدة، والسيد، جيري، وصبحي مالك، والسيدة، والسيد، نادية، وديفيد جوهانسن، والسيدة، والسيد كارول، ورؤوف غطاس، والسيدة، والسيد غريس، وجورج لوبس. إلى كل هؤلاء، حبي، وتقديري، ومعزتي.

بإخلاص: جمال عمر

القاهرة: الأربعاء الموافق: ١٣ من رجب ١٤٢٩ هـ
١٦ يولية (تموز) ٢٠٠٨م



المقدمة

تصدير

هل التاريخ يُعيد نفسه كما قال بعض الفلاسفة، والمؤرخين؟ وهل تنطبق هذه المقولة على مؤسسي أبجديات الصراع الديني؟ وهل أصحاب الأديان في صراع دائم من أجل البقاء على حساب الآخر مهما كانت النتائج؟

لم يكن الأسبان أقل شراسة من العرب، والمسلمين عندما دخلوا جزيرتهم بعد سقوط الامبراطورية الإسلامية التي دامت في الأندلس زهاء سبعة قرون! قام الأسبان بوضع المسلمين، واليهود المقيمين على جزيرتهم أمام خيارات أحلاها مر! فإما التنصير أو الترحيل أو ضرب الأعناق بالسواطير! إذ لم يكن أمام اليهود، ولا المسلمين إلا التنصير، والدخول في الديانة المسيحية، ويكون لهم ما لهم، وعليهم ما على المسيحيين من محاكم التفتيش، أو الطرد خارج جزيرة أسبانيا، والعيش بعيداً عن الوطن الذي تربوا فيه! أو الموت الزؤام للمستعمرين العرب، واليهود اللئام!

فهل هذا ما فعله العرب في جزيرتهم مع أصحاب الديانات الكتابية عندما اشتد عودهم، وبسطوا نفوذهم، وسيطرتهم على جزيرة العرب؟ ما هي أهم الفرق المسيحية التي كانت منتشرة في العالم العربي، وفي جزيرة العرب على وجه الخصوص إبان ظهور الإسلام؟ وهل صحيح أن قرآن المسلمين لا يناقش مسيحيو القرن الحادي والعشرين؛ وإنما حاور قرآن المسلمين في أسلوب جدلي المسيحيين الهراطقة - أي بدع بالمفهوم الإسلامي - عاشت في جزيرتهم، جزيرة العرب منذ ما يربو على أربعة عشر قرنًا من الزمن، ولم يعد لهذه الهرطقات[1] - أي البدع - وجود البتة في يومنا هذا؟! وأين كان يعيش مسيحيو الرأي المستقيم أي، الأرثوذكس إبان تلك المرحلة؟ هذه الأسئلة، وغيرها بمثابة جوجلة مختصرة، ومفيدة لما سوف يقدمه الكتاب الأول من هذه السلسلة بالإضافة إلى عرض لبعض نماذج الصراع المعاصر، وصوره الموجودة على أرض الواقع.

(١) كلمة "هرطقة" تحمل معنيان: معنى عام وهو رأيًا قد قبله البعض دون الآخرين أو تيارًا فكريًا خاصًا، وليس فقط خطأ عقائديًا بحصر المعنى. أما المعنى الخاص فهو الخطأ في التعاليم وخصوصاً الدينية. وهذا الأخير هو الأكثر شيوعًا بين الناس؛ لأن كل من يختلف مع فريق في تعاليمه الدينية، يُطلقون عليهم لفظة "هراطقة". (الدمشقي، يوحنا، الهرطقة المئة، د. ن.، لبنان، ص. ٣٧).

هذا، وتحتوي سلسلة أبجديات الصراع الديني على عناوين لكتب تتناول جميع جوانب الصراع الديني لا سيما بين الأديان الإبراهمية، وهي على النحو الآتي:

(١) المسيحية والإسلام
(٢) اليهودية والإسلام
(٣) اليهودية والمسيحية
(٤) معوقات الحوار الإسلامي المسيحي
(٥) ما جمعته النصوص لا تفرقه النفوس
(٦) ناقوس الإسلام، ومئذنة المسيحية

لا تقف سلسلة "أبجديات الصراع الديني عند هذا الحد؛ وإنما يمكن أن تشمل كتابات أخرى عن "الصراع الديني المذهبي " أي الصراع الديني داخل الفرقة الواحدة سواء كانت يهودية كـ: اليهود الشرقيين، واليهود الغربيين أو مسيحية كـ: الكاثوليك، والبروتستانت أو إسلامية كـ: الشيعة، والسنة كما يحدث في العراق أو لبنان، وما هي دوافع هذه الأنواع من الصراع؟ هل هي محض صراعات دينية أم أن السياسة المسعر، والوقود الرئيس في هذه الفتن، والصراعات؟

إنها سلسلة تلمس الحياة اليومية للإنسان لا سيما المواطن الشرق أوسطي، وسوف نتناول هذه الجوانب كلها بحسب ما يُتاح لنا بعون الخالق المدبر لهذا الكون.

كل التمنيات من الكاتب، أن يُلقي هذا الكتاب - الكتاب الأول - " المسيحية والإسلام " بظلاله الواضحة، والصريحة على ساحة الحوار الإسلامي المسيحي المعاصر، لعله يقدم جديداً أو إفادة في مكان ما لكل طالب علم، ويؤسس لأسلوب جديد في التعاطي الإسلامي المسيحي من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، مروراً بالمملكة العربية السعودية، والفاتيكان، والجمهورية الإسلامية الإيرانية كي يحط الرحال في بلدان التعدديات الدينية كالعراق، ولبنان، ومصر، والسودان.

وأخيراً، وليس آخراً، أرجو من العلي القدير، ضابط الكل أن لا تكون بضاعتنا هذه بضاعة مزجاة، ولا هي بضاعة الصلف، أو التدليس والعياذ بالله؛ وإنما تكون بمنزلة الشمعة التي لا تنطفئ، والإناء الذي لا ينضب من فكره قارئ، والفتيلة المدخنة التي لا تنطفئ مهما جارت عليها أيادي المخربين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

أبجديات الصراع الديني

هل صحيح أن الأديان تتصارع فيما بينها؟! وهل ألف باء الأديان الإبراهيمية هو الصراع والتصارع؟!

صحيح أن اليهودية تُعَلِّم أن الله يُشرق شمسه على الأشرار والأبرار، ويُمطر على الصالحين والطالحين؛ وإنما هو في النهاية إله فقط لشعب الله المختار. أما من هم خارج هذا الشعب المختار فسيلقون مصير البهائم، والأنعام، وسائر المخلوقات العبثية! هذه هي اليهودية!

وصحيح أيضًا أن المسيحية دين يُعَلِّم أن الله محبة، وأنه أحب كل العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يُؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. وصحيح أن المسيحية تُعَلِّم أن السيد المسيح قد جاء إلى إسرائيل خاصته الذين رفضوه، وناصبوه العداء، فتحول إلى غير اليهود من السامريين، واليونان، والرومان، وكل ما هو غير ذلك! ولكن المسيحية تُعَلِّم أيضًا أن ليس بأحد غير يسوع المسيح الخلاص؛ لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطيّ بين الناس به ينبغي أن يدخلوا إلى النعيم الأبدي! هذه هي المسيحية!

وصحيح أيضًا أن الله في المفهوم الإسلامي قد خلق الخلق شعوبًا، وقبائل من أجل أن يتعارفوا، ويتزاوجوا، ويتناسلوا، ويصيروا أقرباء برباطة الدم. وصحيح أيضًا أن الدين الإسلامي يُعَلِّم أن الله هو رب كل شيء؛ وإنما لا يقبل هذا الإله غير الإسلام دينًا أو بديلاً؛ لأن الدين عند الله الإسلام، ومن يبتغي غير الإسلام دينًا، فلن يُقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين، وقد حبط عمله إن كان قد عمل عملاً صالحًا في حياته الدنيا! هذا هو الإسلام!

فمن يستطيع حل هذه المُعضلة، ومن يستطيع تفكيك فتيل الصراع الديني، والمذهبي من أطراف الأرض إلى بقاعها؟! إنه ثالوث الحق الذي لا يَقبل بالمثالثة! فكل دين يدَّعي بأنه هو الدين الحق، وما سواه باطل! وأن أتباع الديانات الأخرى سوف تنتظرهم أبواب جهنم السبعة، ونار لا تنطفئ، وفيها

دود لا يموت!

قد تكون هذه نقطة بداية الصراع، وألف باء الطائفية السلبية المدمرة، وأبجديات الصراع الديني على أرض الواقع!

هذا، ولا يقف الصراع عند هذا الحد؛ وإنما يتجاوزه بتصنيف الآخرين من الناس ما بين مختار - أي تم اختياره بواسطة الله أو بواسطة الروح القدس، والعياذ بالله ، وأممي - أي شخص غير يهودي هو أممي نسبة إلى الأمم الأخرى غير اليهودية -! إنه التصنيف العفن الذي يوزع الناس ما بين أشرار، وأبرار، وخطاة، وقديسين، ومن هو معنا، ومن هو علينا وضدنا! إنها معادلة ثانية من معادلات الصراع الديني، وهي أخطر في جوهرها من المعادلة الأولى مع أن كلا المعادلتين يقومان على فكرة إلغاء، وشطب الآخر من المعادلات الحسابية الأرضية.

فالمعادلة الأولى تكرس الحق المطلق عند اليهودية، ولا حق سوى اليهودية! والحق المطلق عند المسيحية، ولا حق خارج أسوار المسيحية! والحق المطلق عند الإسلام، ولا حق إلا بالإسلام! إنها معادلة تُكرس الصراع الأنطولوجي!

أما المعادلة الثانية فهي تصنف الناس ما بين أخيار، وأشرار، وكفار، وزنادقة، وملحدين! وقد تُعطي أصحاب هذه المقولات الحق في تصفية الآخرين جسديًا بعد أن تعجز عن تصفيتهم فكريًا كما حدث مع حروب يشوع بن نون التي خاضها باسم الرب إله الجنود ضد كل من هو ليس بيهودي! وماذا عن الحروب المسيحية الشهيرة منها كالحروب الصليبية ضد كل من لا يحمل الصليب شعارًا له! وقد سُميت في تلك المرحلة بـ: الحروب المقدسة، وقد كانت مقرراتها تصدر من المجامع الكنيسية التي يترأسها البابا رأس الكنيسة في العالم المتحضر!

وقد كشفت بعض المخطوطات التي تم العثور عليها في سنة ١٦٧٥م، المكتوبة بيد كاتب البلاط الملكي لـ: لويس التاسع، وهي مخطوطات تعود إلى تلك الحقبة، وما جاء في متنها من استعمال للفظة " حملات

صليبية " crusade إنما هي دلالة واضحة على نوعية هذه الحروب المقدسة التي كانت تُشن باسم الدين، وتحت لواء الآلهة الإبراهيمية ناهيك عن إنشاء ألوية من الرهبان المسلحين والمعروفين في تلك الحقبة بـ: فرسان الصليب، والرهبنات المقدسة!

وهل ريكاردوا قلب الأسد - ريتشارد الأول - أقدم على ما أقدم عليه من قتل أكثر من ٢٧٠٠ مسلم بعد أن استسلموا، وصاروا أسرى بين يديه إلا دليل، وآلة من آلات القتل الجهنمية نتيجة الصراع الديني في المنطقة؟!

وماذا عن جورج بوش الابن إله الحرب المقدسة الحديثة، والذي باسم المسيحية البروتستانتية الحديثة لا سيما المعمدانية منها، قد صنف مناطق كثيرة من العالم الإسلامي على أنها محور الشر، وليس لها الحق في الحياة، وليس لها إلا قنابله العنقودية الحاقدة، وصواريخه الذكية المُدمرة! فأعطى لنفسه، وللشعب الأميركي الجبان الحق في قتل الشعوب المسلمة بذريعة ضرب منابع الإرهاب! وقد قتل الأميركان المسيحيون البروتستانت كثيراً من المسلمين العراقيين، وكثيراً من المسلمين الأفغانيين، وكثيراً من المسلمين الباكستانيين، وكثيراً من المسلمين الصوماليين، ولا ذنب لكل هؤلاء إلا أنهم مسلمون، وليسوا مسيحيين على غرار مسيحية جورج بوش الابن، ولا على غرار مسيحية طوني بلير الأنجليكاني المتحول إلى الكاثوليكية حديثًا، ولا على غرار مسيحية غوردن براون، وغيرهم من زعماء الشر في العالم المتحضر، وزبانية الأديان الإبراهيمية!

ليس كل صراع هو سلبي بالضرورة .. فصراع الكتكوت أي الصوص داخل بيضة الدجاجة هو صراع إيجابي بامتياز؛ لأنه لولا وجود هذا الصراع لما استطاع فرخ الدجاجة أن يخرج من الليس إلى الأيس، ومن الموت إلى الحياة محطماً جدار حبسه عن العالم الخارجي المتمثل في قشرة البيضة.

ليس الصراع الديني على هذا النحو؛ وإنما هو صراع من أجل إلغاء الآخر، ولذلك نرى أصحاب الأديان المختلفة في المجتمعات ذات التعددية يعيشون في غيتووات، وكانتونات صغيرة أو كبيرة، متلاصقة ومتجاورة أو متباعدة.

المهم أن أصحاب كل دين يحاولون العيش معًا في تجمعات، ومجتمعات صغيرة داخل المجتمع الواحد الكبير، وهم يتكلمون لغة لا يفهمها غيرهم! ويُربون أولادهم، وأبنائهم على الطائفية، وكراهية الآخر حتى وإن ادَّعوا خلاف ذلك؛ لأن التجارب الإنسانية قد فضحتهم في حال خروج الصراع الديني إلى السطح، وتفاعله في العلن. فيُسارع كل واحد منهم في اشهار، ورفع سلاحه في وجه الآخر، وضد كل ما هو مغاير له لا سيما من هو مختلف عنه في الدين. ثم يُشرع كل منهما في بناية المتاريس على أرض الواقع بعد أن حققوها في نفوسهم الضعيفة نتيجة التربية الخاطئة، والتصنيف الديني المقيت! وما حدث في البوسنة، والهرسك مع الصرب، وما حدث في الجمهورية اللبنانية، وما حدث في الامبراطورية العثمانية بين الأتراك، والأرمن، وغيرها من ساحات القتال بين أبناء الأديان الإبراهيمية ما هو إلا شاهد عيان على تحقق هذه النظرية الدينية الفاشلة، ونجاح الصراع الديني اللامحدود!

من هذا المنطلق، ليس بكثير أن نقرأ، ونتعلم عن هذه الأديان، نتعرف على بضاعتهم الكاسدة، وتجارتهم البور. ونميز بين ما هو واقع، وحقيقة، وبين ما هو من أعمال الإنسانية الراقية. ولهذا فإن الكتاب الأول هذا سوف يُسلط الضَوء على الديانة المسيحية، والديانة الإسلامية. ويُقدم هذا الكتاب تعريفًا دقيقًا لمفهوم الدين. ثم يحاول أن يغطي جميع جوانب هذين الدينين في دراسة مركزة، لكنها دراسة متأنية، وشاملة. وما هي جذور الصراع بين المسيحية، والإسلام؟

لذا كانت الحاجة ماسة إلى تقديم نبذة مختصرة عن الدين المسيحي، وعن الدين الإسلامي، ومن خلالها يمكن الدخول إلى جوهر الموضوعات المطروحة في متون هذا الكتاب.

مدخل إلى هذا الكتاب

كنت مسافراً إلى نيوزيلاندة من أجل حضور مؤتمر خاص بحقوق الإنسان بعد أن تلقيت دعوة بذلك.

ولما كنت قد أحببت أن أسافر على الخطوط الجوية الأسترالية، توجهت إلى شركة سياحية من أجل الحجز على متن هذه الخطوط. لكنني فُوجئت كثيراً عندما علمت أنه يتوجب عليّ الحصول على فيزا إلى أستراليا من أجل فقط استعمال الخطوط الجوية الأسترالية!

قلت لهم، إنني أحمل تأشيرة دخول إلى نيوزيلاندة، ولن أكون في أستراليا إلا ترانزيت فقط لا غير.

قالوا لي، إن هذه الفيزا هي فقط من أجل الترانزيت، وهذا راجع بسبب الحرب على الإسلام. أنا آسف لقد أخطأت، وأقصد بـ: الحرب على الإرهاب. لقد صدرت قوانين جديدة في العالم الغربي، ومن بينها هذه القوانين الوقائية!

أنت بحاجة إلى فيزا ترانزيت حتى لو لم تخرج من الطائرة[1]!

لو كانت هذه القوانين صادرة عن دول عربية أو إسلامية من أجل حماية أمنها العام أو حماية أنظمة حكمها أو ما شابه بحجة مكافحة المسيحية، آسف لقد أخطأت مرة أخرى، ولعلها تكون الأخيرة، وأقصد بحجة مكافحة الإرهاب؛ لأتحفتنا المنظمات الدولية المتخصصة في الدفاع عن حقوق الحيوان، والإنسان بأقوال كثيرة، ومهاترات عديدة. ولقالوا لنا: أين حقوق الإنسان؟ وأين حرية الإنسان في التنقل من دون قيود تُفرض عليه من قبل الغير بسبب العرق أو الدين أو الانتماء أو ما شابه؟! إنه التمييز الغربي السافر

(١) إذا أراد مواطن البلدان الإسلامية فرضًا الذهاب إلى "نيوزيلاندة" فإنه بالاضافة إلى تأشيرة الدخول إلى نيوزيلانده، وبعد حصوله عليها، وإذا استقل طائرة من الطائرات التي تتوقف في استراليا لبضع ساعات لا يخرج الراكب خلالها من الطائرة، فإن من المتوجب على هذا المواطن أن يقدم لتأشيرة انتظار "ترانزيت" "Transit Visa" وإلا فلن يستطيع استعمال وسيلة المواصلات هذه!

http://www.immi.gov.au/allforms/transit.htm.

بين المسافرين؛ لأن هناك مواطنون من الدرجة الأولى، وأخرى من الدرجة الـ: ١٠٠٠! فهناك ابن ست، وآخر ابن جارية!

المهم أنني سافرت إلى نيوزيلاندة عن طريق سنغافورة. وكنت ترانزيت في سنغافورة. وعندما وصلت إلى مطار سنغافورة، وقرأت بعض الإعلانات الكثيرة التي تُخبر جمهور المسافرين، وأقصد "الترانزيت" منهم، بأن كل مسافر ترانزيت في مطار سنغافورة لأكثر من ٥ ساعات، يمكن له إن رغب في ذلك الحصول على جولة سياحية مجانية داخل مدينتهم الجميلة.

فرحت، وانشرح قلبي لا سيما أن ترانزيتي ٨ ساعات. فكل مسافر ترانزيت بدلاً من أن يمكث ساعات في المنطقة الحرة انتظاراً لرحلته، يمكنه أن يستقل حافلات نقل خاصة (أتوبيسات)، ويذهب في رحلة سياحية داخل المدينة، ثم يعود أدراجه قبل الوقت المحدد لإقلاع طائرته. إنه عالم مثل العوالم التي نراها فقط في أحلام يقظتنا.

ماذا يريد أي مسافر أكثر من ذلك؟!

لقد وجدت بالفعل أكشاك كثيرة منتشرة في صالات الترانزيت، ويقف أمامها صفوف من طالبي الجولات السياحية المجانية. فاخترت صفًا منها، ووقفت فيه كما يفعل الآخرون.

جاء رجل أمن بلباسه المدني، وسأل المسافر الذي يقف أمامي: من أين أنت؟ فقال له: أنا من الهند. فتركه وشأنه.

ثم اتجه نحوي، وسألني: وهل أنت هندي أيضًا؟ فقلت له: لا؛ إنما أنا مصري. فقال لي: غير مسموح للمصريين بهذه الجولات السياحية المجانية!

لم أغضب كثيراً لا سيما إنني باحث مستقل، ويعرف الحقيقة، وما آل إليه العالم العربي، والإسلامي لا سيما جمهورية مصر العربية!

ولكنني سألته: قل لي يا سيدي الفاضل، ما هي البلدان غير المسموح لمواطنيها استعمال هذا الحق في الجولات السياحية المجانية في مدينة سنغافورة؟

لقد أكتشفت أن لبنان، وسوريا، والأردن، ومصر، والسودان، وغيرها من

بلدان العالم العاشر .. العربي، والإسلامي هي وحدها من دون سواها من الخلق ممنوعين من هذا الحق؛ لأنهم استثناء بالمفهوم السلبي!

سرت متراجعًا للوراء بخطوات متثاقلة، وعلامات الدهشة، والتعجب بادية على وجنتي. لقد تعجبت حقًا من السلوك الإنساني الذي يَدَّعي الحضارة، والرقي في حين أنه يميز بين الشعوب على أساس العِرق، والدين، وغيرها.

إنها أبجديات الصراع الديني في عالمنا المعاصر المبنية على سياسة التمييز العنصري!

ولأجل أن نفهم أي صراع يدور بين أطراف ما لا سيما الصراع الديني الموجود بين أصحاب الأديان الإبراهيمية، علينا فهم عدة أمور أهمها هي:

١) فهم طبيعة، وجوهر الصراع. فإذا كان الصراع سياسي على سبيل المثال كان من المتوجب معرفة هوية فريقي التصارع؛ لأن هذا يُساهم بصورة رئيسة في فهم نوعية الصراع. كيف؟

إذا كان الصراع مثلاً ما بين الرأسمالية .. والليبرالية العالمية، فإن الصراع، وطبيعته سوف تختلف اختلافًا بينًا وواضحًا عن صراع بين الشيوعية، والليبرالية.

وهكذا الحال في شئون الصراعات الدينية. فإننا نحتاج لفهم طبيعة الصراع، فهم هوية الأطراف المتصارعة، وخصوصية الفريقين المتنازعين، وتاريخهم، وطريقة تعاملهم السابقة في الصراعات، والنزاعات المسلحة. فإذا كان الصراع كاثوليكي أرثوذكسي، سوف يختلف في حدته عن الصراع ما بين الكاثوليك، والبروتستانت، وهكذا دواليك.

فإذا كان الصراع ما بين المسيحية، والإسلام فإن طبيعته ستختلف عن طبيعة الصراع المذهبي، وكذلك عن طبيعة الصراع الديني إذا كان أصحاب الأديان المتصارعة ينتمون إلى طوائف معينة، ولا يدخل الإسلام فيها كطرف صراع.

فالصراع المسيحي الإسلامي يختلف عن الصراع ما بين البوذية، والمسيحية

أو ما بين المسيحية، واليهودية!

إذًا، لكل صراع ترتيب خاص به وهذا يعتمد على الفكر الديني، والأيديولوجية، والمنهج العقيدي لكل فريق من الأفرقاء. وكذا، نظرة كل طرف تجاه الدين الآخر لا سيما تجاه طرف الصراع في الخندق المقابل. حتى إن بعض الصراعات يصطف فيها الفرقاء المتنازعين من أجل مواجهة عدو خارجي مشترك ثم تظهر صراعاتهم الداخلية بعدما يكونوا قد قضوا على العدو الخارجي من وجهة نظرهم الصراعية البحتة.

٢) نحتاج أيضًا من أجل فهم أبجديات الصراع الديني أن نعرف إنتماء الفصائل المتصارعة، ومصادر دعمها؛ لأن هذا سيسهل فهم العملية التصارعية.

فإذا عرفنا على سبيل المثال أن الطابع العام للشعب الفرنسي هو الكثلكة نسبة إلى الكنيسة الكاثوليكية. فإذا كانت فرنسا هي رأس الحربة في الصراع مع الإسلام، فمن المرجح أن يكون صراع ذات طابع كاثوليكي.

أما إذا كانت بريطانيا هي التي تخوض حربها ضد الإسلام، والمسلمين كما حدث في العراق، وفي أفغانستان، فإن الوضع يختلف؛ لأن دين انكلترا الرسمي، ورأس الكنيسة فيها هي "الأنجليكانية" مع أنهم جميعًا يدّعون العلمانية إلا عند مواجهتهم للإسلام، فتراهم يتخلون عن عَلمانيتهم، ويتمسكون بخرق الأديان الإبراهيمية البالية. فالإسلام هو الصخرة التي تتحطم عليهَا عَلمانية الدول الغربية، وأقصد بذلك عند مواجهة الغرب للإسلام، وللمسلمين!

والكنيسة الأنجليكانية البريطانية لها مستويين من الطقوس، والممارسات. المستوى الأول هو كاثوليكي الصبغة، ويقترب إلى حد كبير في مظهره من الممارسات داخل الكنيسة الكاثوليكية. أما المستوى الثاني في الكنيسة الأنجليكانية فهو السلوك البروتستانتي. فالصراع في هذه الحالة يكون ذو وجه كاثوليكي بروتستانتي من جهة، وإسلامي - إسلامي سني بحسب المواقع التي يحط فيه الجندي البريطاني المرتزقة أجهزته المدمرة، وأسلحته القاتلة،

وسلاح جوه الحاقد! - من جهة أخرى.

أما إذا كان فريق الصراع تابع لأميركا فيلزم معرفة أن الشعب الأميركي يغلب عليه الطابع البروتستانتي الذي تأسس في القرن السادس عشر على يد الراهب الكاثوليكي المنشق مارتن لوثر.

وأن أميركا اليوم بها عشرات الكنائس البروتستانتية المتنوعة نتيجة الانشقاقات الكثيرة التي حدثت في داخل الفريق البروتستانتي الواحد! لذلك نرى ملل، ونحل، وأهواء قد خرجت عن الكنيسة الأم وكونت كنائسها الخاصة بها، ولها عقائدها المتنوعة، ولا أبالغ إن قلت أن زهاء ٢٠٠ نوع من الكنائس البروتستانتية موجود في أمريكا وحدها! ناهيك عن كنائس تعبد الشيطان، لا يصنفها الباحث ضمن كنائس المسيحية.

ومن هذه الكنائس ما تنظر إليه الكنيسة الكاثوليكة على أنه مجرد هرطقات - بدع - محضة. وإذا عرفنا أيضًا أن السمة السائدة لأديان الزعماء الساسيين الأمريكيين هو الدين المعمداني نسبة إلى المعمدانية البروتستانتية المسيحية. لزم علينا فهم هذه الفرقة المعمدانية من أجل أن نفهم طبيعة، وهوية الزعماء، والساسة الأميركيين، وحتى من أجل فهم طبيعة، وهوية الجندي الأميركي المرتزقة الذي جاء يقتل المسلمين في جزيرة العرب، وما الدافع في ذلك؟! قد تقول لي: إن الدافع هو المال، لكن ليس بالمال وحده يحيا الإنسان!

ولماذا لا تركن هذه الفئات إلى العنف إلا في مواجهة الإسلام، والمسلمين؟!

٣) نحتاج أيضًا في عملية فهم أبجديات الصراع الديني إلى التعرف على وسيلة التعامل التي يستعملها كل فريق، وإلى الأدوات المنهجية المتعبة في صراع ما.

ولنأخذ مثالاً بسيطًا على ذلك، ما حدث في أميركا مؤخرًا من حملات الدعاية المسمومة تجاه الكنيسة الكاثوليكية، واتهام الرهبان الكاثوليك بالاعتداء الجنسي على الأطفال، والأولاد الأميركان، وهو حق يُراد به باطل! لقد تطلب الأمر من أجل معالجة هذه القضية أن يُقدم بابا روما .. رأس

الكنيسة الكاثوليكية في العالم اعتذاراً رسمياً للشعب الأميركي على ما قام به الرهبان، واقترفوه من ممارسات شاذة تجاه الأخرين. وقدم هذا الاعتذار أثناء زيارته الأخيرة إلى الولايات المتحدة الأميركية.

ويبدو أن بابا روما لم يعد أمامه في الوقت الراهن، وفي كل مكان يذهب إليه إلا تقديم الاعتذار عن الممارسات الشاذة التي يقوم بها شواذ الشذوذ الجنسي من رهبان الكنيسة الكاثوليكة تجاه أبناء، وأطفال الغرب الأوروأميركي - الأوروأميركي: اختصار لـ: الغرب الأوروبي، والغرب الأميركي -، وليس آخرها ما حدث في زيارة البابا لقارة أستراليا، واجتمع ببعض الضحايا، وأهلهم من أجل تقديم الاعتذار الرسمي أو الشخصي عن ذنب لم يقترفه هو.

إنها حرب إعلامية .. يقابلها اعتذار. هذه العناصر من الأهمية بمكان لمعرفة طبيعة، وأبجديات الصراع الديني ما بين الطوائف المسيحية المتنازعة من جهة، والطوائف الإسلام في الجهة المقابلة. أو ما بين أي من الديانات الأخرى المنتشرة على كوكبنا الأرضي الفاني، والغني بطقوسه الدينية، ومظاهره السفسطائية، والفقير جداً إلى السلوك الإنساني المتحضر الراقي بعد أن ساد فيه مبدأ العين بالعينين، والسن بـ: ٣٢ سنة، والأنف بالأعضاء التناسلية! إنه مبدأ عقيم، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى يطبقانه في المنطقة حرف بحرف، وكلمة بكلمة من دون رادع.

٤) لقد أُفتتحت أول كنيسة كبيرة في دولة قطر في الصحراء خارج مدينة الدوحة، عاصمة البلاد.

وبالرغم من أن السكان الأصليين لهذا البلد كلهم مسلمون، وممنوعون بحكم القانون من اعتناق أي دين آخر، أُفتتحت هذه الكنيسة الكاثوليكية ليؤمها عدد كبير من المهاجرين المسيحيين الذي قدموا إلى شبه الجزيرة العربية بحثًا عن عمل.

وبالرغم أيضًا من اعتقاد بعض الخليجيين في حديث المصطفى ﷺ الذي يقول: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» (متفق عليه)، اعتقاد جازم على

عدم جواز بقاء الكفار في جزيرة العرب. ودلل بعضهم من هذا الحديث على أن كل المشركين من اليهود والنصارى لا يجوز لهم الإقامة في جزيرة العرب، إلا لفترة وجيزة لقضاء حاجة أو استيفاء دين أو غيره، وأنه ليس لهم عهد ولا أمان ولا ذمة، في جزيرة العرب، وخاصة الأميريكان.

والكفار هم: إما أهل حرب أو أهل عهد، وأن أهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان.

والمستأمن: هو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء أربعة أقسام هم : رسل، وتجار، ومستجيرون حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن، فإن شاءوا دخلوا فيه، وإن شاءوا رجعوا إلى بلادهم، وطالبوا حاجة من زيارة أو غيرها، وحكم هؤلاء ألا يهاجوا، ولا يقتلوا، ولا تؤخذ منهم الجزية، وأن يُعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن، فإن دخل فيه فذاك، وإن أحب اللحاق بمأمنه ألحق به، و لم يعرض له قبل وصوله إليه، فإذا وصل مأمنه عاد حربيا كما كان.

وقد تكلف بناء كنيسة جزيرة العرب ١٥ مليون دولار عداً، ونقداً. ويقوم بالإشراف على هذه الكنيسة أسقف من الكنيسة الكاثوليكية في جزيرة العرب. وأسقفيته المسيحية هذه في قلب العالم الإسلامي تشمل كافة أرجاء شبه جزيرة العرب، وتضم ست دول.

كما يشرف هذا الأسقف على عدة كنائس في كل من قطر، ودولة الإمارات العربية المتحدة، والبحرين، وسلطنة عمان، واليمن، وحتى المملكة العربية السعودية، مهد الإسلام.

ومن الغريب أن اجتماع هؤلاء العمال في صلوات الكنيسة في جميع أنحاء شبه جزيرة العرب مسألة عجيبة الشكل، و المضمون، ولا يمكن تفسيرها أو فهمها إلا من خلال مبدأ الصراع الديني، وأبجدياته التي تريد أن تتكرس في جزيرة العرب؛ لأن الأعداد التي تحتشد في هذه التجمعات التي تقيمها الكنيسة تتجاوز دائماً أعداد الذين يجتمعون في هذه الصلوات في كل من أوروبا، وحتى في الولايات المتحدة.

إن غالبية المليوني مسيحي الذين يشاركون في هذه الصلوات هم من الفلبينيين، واللبنانيين، والهنود الذين جاءوا إلى الخليج بحثًا عن عمل، ويستخدمونهم الغرب في إذكاء الصراع الديني في المنطقة، ولكن بطريقة أخرى هي «حق المواطن في حرية العبادة»! والكثير منهم قد أتى من خارج جزيرة العرب، ولم يكن يتعبد للمسيح بالطريقة التي يسلكها اليوم. إنها أبجديات الصراع الديني.

٥) رموز، ومظاهر دينية خالية من روح التطبيق إذ يبدو أن لأصحاب الأديان الإبراهيمية لا سيما المسيحية، والإسلام، موضوع هذا الكتاب، صورة التقوى في الحجاب، والصليب، وظاهرة الشعارات الدينية، والمظاهر الدينية الأخاذة، ولكن عند التعامل معهم؛ فإنهم بمثابة القبور المبيضة من الخارج، وهي تحتوي من الداخل على عظام نتنة، وسلوك سيئ بشع!

٦) أي صراع مهما كانت حدته لا بد أن يخبو، وينطفأ، أو أقله تخف حدته مع طول مدة الصراع إلا الصراع الديني؛ لأن أبجدياته مؤسسة على صراع الآلهة، والحق المُطلق!

يموت المتصارعون، ولا تموت الآلهة، ولا نصوصها المقدسة!

٧) كل صراع له بعض الضوابط، والقيود؛ بينما الصراعات الهمجية تخترق كل الأعراف. ومن هذه الصراعات ما كان يحدث إبان النظام الروماني البائد حتى في مسابقاتهم الرياضية، إذ كان على أطراف الصراع أن يتقاتلوا حتى الموت في صورة عنفية بشعة تمثل الحضارة الرومانية، والأنجلوسكسونية الحديثة كما يحدث في أرض العراق، وأفغانستان، والصومال!

لا تخرج صراعات الآلهة عن هذه الخطوط. إنها من قلب أبجدياتها؛ لأن من نطفة القلب يتقاتل الإنسان.

إنه الدين الأجوف الذي يحاول كل طرف أن يفرضه على الطرف الآخر.

فنحن لا نكاد نذهب إلى أي مكان حتى نرى معبدًا أو هيكلاً - هيكل: هي كلمة سومرية معناها " البيت الكبير " - أو مسجدًا أو جامعًا أو زاوية من الزوايا أو التكايا أو كنيسًا - مكان يتعبد فيه اليهود - أو كنيسة - مكان يتعبد

فيه المسيحيون - أو ديرًا - مكان يتعبد فيه الرهبان - أو صومعة أو خلوة - مكان يتعبد فيه الدروز - أو ضريحًا أو مزارًا في كل مدينة أو عاصمة أو كفر أو نجع أو قرية أو دسكرة في حين لا نجد مدرسة يتعلم فيها الأطفال أو مستوصف أو مستشفى لعلاج المرضى في هذه الأماكن! إنه الدين الذي يتصارع مع كل شيء، ويريد أن يكون منفردًا في هذا الوجود. إذ لا يخلو مكان في العالم الحاضر إلا وبه معبد ديني تذهب إليه فئة من الناس، وجمهور من المتعبدين الأغبياء.

ومع ذلك فإن السلوك الإنساني ما زال بربريًا همجيًا لا يسمو إلى التعاليم التي يتشدق بها أصحاب هذه الديانات الأرضية لا سيما الديانات الإبراهيمية منها!

ومع أن كلمة "بربري" تُطلق على الشخص الذي يسلك مع الآخرين سلوك العنف، والبلطجة، والهمجية، والاعتداء على حقوق الآخرين بغير وجه حق إلا أن البرابرة الأصل، وهم الأمازيغ الذين يعيشون في شمال أفريقيا اليوم، والأمازيغي نسبة إلى اللغة الأمازيغية، وليس نسبة إلى البربر كما يعتقد العامة؛ فإن إنماط سلوك الأمازيغ الإنسانية أرقى بمراحل من أنماط سلوك الشعب الأميركي البروتستانتي الذي يَدَّعي بأنه من أصحاب الديانات السماوية، وقد أرسله يسوع المسيح ليقتل العرب، والمسلمين!

فإذا فهمنا مثل هذه القضايا، وهذه الأبجديات في الصراع الديني القائم على أشده! نستطيع أن نفهم، لماذا يُهاجم الشعب الأميركي البروتستانتي المسيحي مسقط رأس المسلمين في أفغانستان، وفي الباكستان، وفي الصومال، وفي السودان، وحتى في المملكة العربية السعودية عن طريق إرسال الحملات التبشيرية البروتستانتية المعمدانية، والـ: - frontier الفورنتير: هم جماعة يتقدمون في صفوف التبشير إلى مناطق الصراع محاولين دائمًا أن يكونوا في المقدمة لا سيما في أماكن تواجد المسلمين -، وإرسال آلاف الأطنان من الأناجيل العربية عن طريق طائرات الشحن الأميركية العسكرية غير القابلة للتفتيش في المطارات العربية!

ولماذا تحمل طائرات عسكرية على متنها أناجيل مطبوعة باللغة العربية،

وجنودها الأميركان المرتزقة المرابضين على أرض جزيرة العرب، والمتواجدين داخل قواعدهم العسكرية لا يعرفون اللغة العربية! فإلى من تُوجه مثل هذه الأناجيل؟! وكيف نفهم هذا النوع من الصراع .. يد تقتل، ونفس اليد التي نفذت جريمة القتل تُقَدم إنجيلاً للمسلم؟!

اليد اليسرى تُقدم الإنجيل في الوقت الذي تقوم فيه اليد اليمني بإلقاء القنابل الحارقة من فسفورية انشطارية إلى عنقودية حاقدة على نفس القوم الذين قدمت إليهم أناجيلها الذكية المقدسة! وحتى لا يعرف المرتزقة الأميركي ماذا تفعل شماله من يمينه؛ لأن أبوه الذي في السماء سوف يعرف بالطبع إن كان إله حق، ويجازيه عن عمله الخير هذا من قتل العرب، والمسلمين!

نفس اليد الأميركية التي تفعل كل هذا، تُقدم أيضًا على تأسيس ميليشيات مسيحية عراقية في "الموصل". وهذه الميليشيات المسيحية لها حرية الحركة، والتدعيم الأميركي لوجستيًا على أرض الواقع. وللميليشيات العراقية المسيحية نقاط تفتيش، ومراقبة، وغيرها من أعمال الميليشيات! ومهمة هذه الميليشيات الأساسية هي منع العناصر الإسلامية من فرض الصوم على المسيحيين أو فرض عليهم ارتداء الحجاب او النقاب أو ما شابه. هذه هي من أعمال جورج بوش الابن المسيحي البروتستانتي!

يطالب الأميركان فريق مثل السيد مقتدى الصدر المسلم الشيعي بتفكيك ميليشياته في حين يُقدم الاستعمار على إنشاء ميليشيات مسيحية جديدة، ويدعمها بكل ما أوتيّ من قوة، ومن رباط الـ: بي ٥٢، وبي ١ المسمومتين!

إنها أبجديات الصراع الديني ما بين المسيحية والإسلام منذ ما يناهز الـ: ١٤٠٠ سنة عدًا، ونقدًا. وقد برزت تجليات هذا الصراع في التاريخ المعاصر من خلال هجمات الشعب الأميركي المعادي للإسلام، والمسلمين!

فإذا سألتني: ما ذنب الشعب الأميركي كما يردد كثير من المفكرين، والكتاب العرب من دون وعي مطلق لحقيقة الأمور في كل ما يحدث اليوم للعرب، وللمسلمين على أيدي الجنود المرتزقة الحاقدين؟

نـــعم، إن الشعب الأميركي المسيحي البروتستانتي كله مسئول مسئولية

كاملة في السنوات المقبلة، وحتى أجيالهم القادمة عما يحدث من قتل، وهتك أعراض، وتدمير ممتلكات، وتشريد الملايين من أبناء العراق، وأفغانستان، والصومال، وغيرهم في أماكن تواجد الإرهاب الأمريكي .. لماذا؟

لأن الشعب الأميركي ليس على غرار الشعوب العربية المضطهدة. فنظام صدام البائد كان يُجبر العراقيين على أفعال منافية لما هم يريدونه، وكان كل من يعترض، يكون نصيبه القتل له، ولعائلته، أو تَشريده أو نفيه في أحسن الحالات!

ومع ذلك لم يشفع لهم هذا أمام آلة القتل الغربية من أميركية، وأوروبية، وأسترالية، حاقدة.

ليس الشعب الأميركي كذلك؛ لأنه غير مُجبر من قبل أنظمته الحاكمة على فعل شئ منافي لإرادته. ولهذا فإن الشعب الأميركّي، والشعب البريطاني مَسئول مسئولية كاملة عما يحدث اليوم من دمار يلحق بالعرب وبالمسلمين؛ لأن ما يزرعه الشعب الأميركي، والشعب البريطاني اليوم سوف يحصده أبنائهم، وأحفادهم في المستقبل طبقًا للقاعدة التي تقول: إن ما يزرعه الإنسان، إياه يحصد أيضًا.

لماذا لا يَقوم ملايين الشعب الأميركي بالاعتراض على ما يحدث، ويضغطوا على نظامهم لكي يرفع يده التي تبطش، وتقتل، وتدمر؛ لأن نسبة كبيرة من الشعب الأميركي توافق ضمنيًا على ما يحدث اليوم تجاه العرب والمسلمين من قتل وتشريد .. بل ويزرعون روح الكراهية في البقية الباقية منهم من أجل اضطهاد الجاليات العربية والإسلامية في الولايات المتحدة الأميركية التي لا يتجاوز تعدادها ٢٪ من الشعب الأميركي الذي يقترب من الـ: ٣٠٠ مليون نسمة عدًا، ونقدًا!

إنها صورة من صور أبجديات الصراع على النفوذ في مناطق العالم، ورمز من أبجديات الصراع الديني الخفي الذي يبحث عن الخلود، وعن "أرمجيدون" - أرمجيدون أو هرمجدون: وهي معركة ستقوم على الأراضي المقدسة ما بين اليهود من البقية الباقية، وغيرهم من شعوب

الأرض. وهي حرب ما بين الخير، والشر من وجهة نظر التفسير المجازي لسفر الرؤيا المدون في العهد الجديد عند المسيحيين -!

إذًا، معرفة الجهة التي تقف وراء فريق الصراع يساعد كثيراً جداً في فهم أبجديات الصراع الديني.

وهل العرب والمسلمون هم من احتلوا العالم بقوة السلاح حتى أُطلق على امبراطوريتهم "الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس"؟!

تشير الإحصائيات أن في سنة ١٨٠٠ شكلت الامبراطورية البريطانية ١,٥ مليون كم٢ و٢٠ مليون نسمة.

ومع سنة ١٩٠٠م، أي والعالم على مشارف القرن العشرين، كانت امبراطورية الملكة فيكتوريا - إمبراطورية بريطانيا العظمى في الاستعمار طبعًا -، هي الامبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس إذ تحتوي على ١١ مليون كم٢ و٣٩٠ مليون نسمة(١)!

وماذا عن التوسع الأوروبي من جهة فرنسا، وإيطاليا تجاه بلدان العالم الإسلامي لا سيما شمال أفريقيا؟

وفي عالمنا اليوم الذي يدَّعي فيه الكثيرون العصرية، والحداثة نجد المستعمرات الأوروبية ما زالت جاسمة على قلب القارة الأفريقية!

فالبرغم من تحرر بلدان القارة السمراء من الاستعمار عن طريق الثورات المسلحة في ستينات القرن الماضي إلا أن سنوات الألفية الثالثة تمر مرور الكرام، وما زال الاستعمار الأسباني يحتل جزر الكناري، وسبتة، ومليلية، والاستعمار البريطاني البغيض يجسم على نَفَسْ، وقلب مستعمرته في سانت هيلينا رغم أن هذه الأراضي تقع في القارة الأفريقية السمراء، وليست جزءاً من أملاك القارة الأوروبية البيضاء! إنها لغة الاستبداد على غرار المستعمر الأميركي الحديث لجزر الهاواي، وأشكال المواطنين الساكنين هذه الجزر لا يمت إلى الشكل الأميركي الحديث بأي صلة من صلات الجينات الوراثية! غريب أمر هذه القارة السمراء! فقد تعددت وجوه الاستعمار فيها،

(١) هنتنغتون، صموئيل، *صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي الجديد*، تعريب: مالك عبيد أبو شهيوة، وغيره، (الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى، ١٩٩٩م)، ص: ١١٩ .

والأسلوب واحد! فما الفرق بين الاستعمار البريطاني اللئيم، والاستعمار الإيطالي القديم، والاستعمار الأميركي الحديث، واستعمار القارة الأفريقية من قبل زعمائها الأفارقة حفظهم الله؟! لا فرق البتة. ناهيك عن مناطق الصرَاع، والنزاع في آسيا لا سيما فيما يتعلق بالإسلام، والمسلمين!

يقول "صموئيل هنتنغتون": "لقد تغلب الغرب على العالم ليس من خلال تفوُّقه في الأفكار أو القيم أو الديانة - التي تحولت إليها أعداد قليلة من حضارات أخرى - ولكن بسبب تفوقه في تطبيق العنف المُنظَّم. الغربيون غالباً ما ينسون هذه الحقيقة؛ أما غير الغربيين، فلا"[(١)].

وإذا عرفنا أيضًا أن ريكاردوا قلب الأسد كان من دولة بريطانيا العظمى، وكان مليكها المُفدى، وأن ريكاردوا هذا أقدم في الحملة الصليبية الثالثة على قتل عشرات المئات من المسلمين الأسرى باسم الحروب البابوية المقدسة!

إذا فهمنا كل ذلك، نستطيع أن نفهم ما يفعله الجندي البريطاني المرتزقة الذي يذهب بعيدًا عن موطنه الأصلي ليغزو أفغانستان، وليقتل المسلمين هناك تحت ذرائع مختلفة أو مختلقة! وطائراته العملاقة في الشر، وسلاح جوه الحاقد يُلقي كل يوم بآلاف الأطنان من المتفجرات كهدايا لأطفال، ونساء العراق، وأفغانستان!

الغريب أن الشعب الأفغاني لم يفعل شيء تجاه الشعب البريطاني الحاقد، ولم يكن الأفغان يجهزون الجيش أو يُعدون العدة من أجل غزو عاصمة الضباب لندن! إنها أبجديات الصراع الديني البروتستانتي الأنجليكاني المسيحي تجاه المسلمين، والعرب، ولا فرق في ذلك بين سني أو شيعي بعد محاولة سلاح البحرية الملكية البريطانية من اختراق المياه الإقليمية لدولة الجمهورية الإسلامية الإيرانية الشيعية بداعي التجسس، وتدعيم أعمال

---

(١) يقول صموئيل هنتنغتون أيضاً: "قرنان من القوة البريطانية والأمريكية الاستعمارية والتجارية والصناعية والمالية تركت تراثاً هاماً في التعليم العالي، والحكم، والتجارة، والتقنية في جميع أنحاء العالم. بريطانيا وفرنسا أصرتا على استخدام لغتيهما في مستعمراتهم. إثر الاستقلال، بالرغم من ذلك، فإن معظم المستعمرات السابقة حاولت بدرجات متفاوتة وبنجاح متفاوت أن تستبدل لغة المستعمر باللغة المحلية." (هنتنغتون، صموئيل، *صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي الجديد*، مرجع سابق، ص ص: ١٢٠، ١٣٨).

حربية ضد المناطق الإسلامية!

لقد قامت الدنيا، ولم تقعد من أجل جنود بريطانيين مرتزقة علوج - العلج: هو الكافر من الأجانب - جاءوا من بلاد بعيدة للإعتداء على حرية الإسلام، والمسلمين في أماكن تواجدهم!

لقد قامت الدنيا وأوشكت ألا تقعد عندما قام سلاح البحرية الإيرانية، وقوات الحرس الثوري بإلقاء القبض على المعتدين في المياه الإقليمية الإيرانية!

لم يذهب الحرس الثوري الإيراني المسلم الشيعي إلى المياه الدولية البريطانية ليقوم بأعمال تجسس على القوة العسكرية البريطانية ولا على البريطانيين؛ وإنما العكس هو الصحيح. فقد أتى الجيش البريطاني بكل فلوله الاستعمارية القديمة في التاريخ الحديث، والمعاصر إلى المناطق الإسلامية، وليس آخرها احتلاله لبغداد، والبصرة!

إن الشعب البريطاني الأنجليكاني البروتستانتي المسيحي بطبيعة تركيبته عنيف جداً، وليس دليل على عنف هذا الشعب منع السلطات البريطانية السكارى من البريطانيين استعمال المواصلات العامة أثناء عودتهم من الحانات، والبارات بسبب ما كان يقع من حوادث عنف، وتعدي داخل المواصلات العامة البريطانية!

لا يغشنك أحد!

فالشعب الأميركي كذلك الشعب البريطاني. كل منهما يميل إلى العنف، ويجنح إلى الإرهاب على طريقته الخاصة، وبوسائله المتنوعة وتحت ذرائع مختلقة.

والمؤسف في الأمر أن نتيجة هذه الطبيعة تعود بالشر في نهايتها على عاتق الشعوب الإسلامية، والعربية المقهورة أصلاً بسبب أنظمتها الدكتاتورية الفاشية، وأقصد بذلك أنظمة الحكم التي لا تعمل بالمبدأ القائل بالتداول على السلطة!

وليس دليل آخر على عنف الشعب البريطاني الأنجليكاني البروتستانتي المسيحي قتل ١٢ مواطنًا بريطانيًا في لندن وحدها الأسبوع المنصرم نتيجة

مشاجرات بين الشباب، والمراهقين بواسطة استعمال السلاح الأبيض!

ناهيك عن العنف والإرهاب الأميركي في الشخصية البروتستانتية الأميركية الحديثة حيث يُقدم كثير من طلاب الجامعات على أعمال القتل عن طريق اقتحامهم لقاعات، ومدرجات المحاضرات في بعض الجامعات الأميركية ويقومون بإطلاق النار عشوائيًا على الطلاب، والمحاضر من دون أن يكون لهؤلاء ذنب يُذكر! ثم يُقدم الإرهابي الأميركي البروتستانتي المسيحي على الانتحار بين ضحاياه!

إنه العنف البريطاني، والعنف الأميركي والتنافس، والتصارع بينهما على أشدة، ولمن ستكون الغلبة: هل هي ستكون للإستعمار البريطاني العتيق أم لأميركا عاصمة الحقد الحديث؟!

لفهم أبجديات الصراع الديني علينا أيضًا قراءة التاريخ أو إعادة قراءة التأريخ القديم، والوسيط، والحديث، والمعاصر للصراع بين الأديان. وإذا كانت مقولة "التاريخ يُعيد نفسه" صحيحة، نستطيع فهم أبجديات الصراع الديني الحالي على ضوء أبجديات الصراع الديني السابق، ومنها يمكن الولوج إلى شخصيات الأفرقاء المتصارعين دينيًا.

لقد كان الخوارج رحمهم الله على سبيل المثال لا الحصر، انموذجًا فريدًا في التشدد الديني المختل المعايير على غرار الشخصية الأميركية الحديثة، ولا سيما شخصية جورج بوش الابن التي ترى في خصومها أنهم متشددون، وهو يمارس في الوقت عينه إرهاب الدولة من قتل، وتنكيل، وذبح بقنابل عنقودية في الوقت الذي ترفض فيه أميركا أي دعوة من دعوات السلام! ومع ذلك تتدعي وتتشدق بالسلام العالمي!

فأكثر من ١١٧ دولة اجتمعت من أجل مناهضة القنابل العنقودية، لكن أميركا أم الحضارة ومصنعة هذه القنابل ضربت بعرض الحائط قرارات هذه الاجتماعات في الوقت الذي تدَّعي فيه نشر السلام بين شعوب العالم في حين أنها تنشر القتل والدمار!

إن الشعب الأميركي البروتستانتي المسيحي هم خوارج التاريخ المعاصر؛ لأن أميركا خارجة عن القرارات والقوانين الدولية التي تحاول حماية الضعفاء كما خرج الخوارج من قبل على دولة الإسلام، والمسلمين.

لقد رفض الأميركان أيضًا المعاهدات الخاصة بمنع الصناعات التي تنبعث منها غازات الكربون المسببة لما يُعرف بـ: الاحتباس الحراري. لم يرفض الشعب الأميركي المساهمة في الحد من تلوث البيئة فحسب؛ وإنما رفضوا أيضًا حتى التقليل من هذه الصناعات رغم ما سوف تُحدثه من كوارث بيئية في السنوات المُقبلة على العالم الحديث.

قراءة كل هذا بإعتقادي يُساعد على فهم أبجديات الصراع الديني.

لقد كان خوارج المسلمين يكفرون الناس، ويقتلونهم بسبب مخالفتهم إياهم في الرأي أو العقيدة أو الفكر أو الأيديولوجية أو المنهج أو حتى الطريقة أو الأسلوب أو نوعية اللباس تمامًا كما يفعل الشعب الأميركي البروتستانتي المسيحي، والشعب البريطاني الأنجليكاني المسيحي في تاريخنا المعاصر لمن يختلفون معهم في العرق أو الدين!

لقي خوارج المسلمين عبد الله بن الحباب، وكان صحابي جليل، ومعه زوجته الحامل. فقالوا له: إن الذي في عنقك ليأمرنا بقتلك، وكانوا يقصدون به القرآن. لأن بعض الصحابة كانوا يعلقون في رقابهم بعض آيات من القرآن الكريم. وكان عبد الله بن الحباب من الذين يفعلون ذلك. ثم سأله خوارج المسلمين: ماذا تقول في أبو بكر، وعمر، وعثمان؟! وكأنهم في محاكم التفتيش الإسلامية!

وماذا تقول يا عبد الله بن الحباب في عثمان بن عفان إبان فترة حكمه الأخيرة؟!

فلما أثنى الرجل خيرًا على أئمة المسلمين، وعلى جميع من ذكرهم الخوارج. غضبوا منه جداً، واتهموه بأنه يتبع الناس، والرجال على حسب أسمائهم، وليس بحسب أعمالهم، وصفاتهم! ثم قربوه إلى النهر الذي كانوا بجواره، وقاموا بذبحه على طريقة خوارج الأميركان البروتستانت المسيحيين اليوم! ثم ذبحوا زوجته أيضًا ولم يستمعوا إلى صرخاتها أو صرخات جنينها في أحشائها!

ذبح خوارج المسلمين، وخوارج المسيحيين الرجل تحت اسم الدين، وفي عباءة شعار "من ليس معنا فهو ضدنا"، وهو شعار أطلقه جورج بوش الابن أيضًا في حربه على المسلمين كما فعل من قبله الخوارج!

نفس الجماعة التي قتلت عبد الله بن الحباب التقت في طريقها برجل

نصراني - مسيحي -، ومعه نخلة - أي الرطب التي حصدها من نتاج نخلة - فسأله الخوارج إن كان يعطيهم هذه النخلة؟ فرحب الرجل على الفور إتقاء شرهم؛ لأنه قد سمع عن غلوهم في الدين! ولكن الخوارج سألوه: كم ثمنًا تريد لهذه النخلة؟ فقال الرجل: خذوها، هي هدية لكم. فقال الخوارج: لا، والله لن نأخذها إلا بثمن، فما كان لنا أن نغتصب حق الغير أو نأخذ منهم شيئًا من دون ثمن! فتعجب الرجل، وقال لهم قولته المشهور: "أتقتلون رجلاً مثل عبد الله بن الحباب، ولا تقبلون منا نخلة!"

تتشابه الشعارات .. فهل يتشابه الأشرار؟! لقد رفع جورج بوش الابن شعار "من ليس معنا فهو ضدنا" في حربه الصليبية التي شنها ولا يزال ضد أراضي الإسلام والمسلمين من العرب، والعجم!

إن الإرهاب المبني على أبجديات الصراع الديني لا يختلف كثيراً فيما بينه لا من جهة الشكل، ولا من جهة المضمون.

من منا لا يعرف "سلوبودان ميلوسيفيتش" زعيم الصرب في حربه الضروس ضد مسلمين البوسنة بين العامين ١٩٩٢ - ١٩٩٥م. لقد مات في السجن بطريقة غامضة بعد أن قتل العديد من الأبرياء!

ومن منا لا يعرف الإرهابي المسيحي الأرثوذكسي "رادوفان كرادزيتش" الذي قتل ٨٠٠٠ بسني مسلم جُلهم من الأطفال، والنساء، والشيوخ بعد أن لجأوا إلى منطقة آمنة، وكان من المفترض أن تكون تحت حماية الأمم المتحدة.

لقد كان هؤلاء الضحايا الأبرياء من المسلمين الذين ذُبحوا على يد السفاح الإرهابي المسيحي الأرثوذكسي كرادزيتش بمثابة الأسرى الذين قتلهم ريكاردوا قلب الأسد المسيحي الكاثوليكي في حروبه الصليبية!

هل من صدفة أن يتم القبض على رادوفان كرادزيتش في الوقت الذي أثيرت فيه ضجة إعلامية حول رئيس السودان المسلم السني عمر البشير، وما يفعله في دارفور!

إنه عالم خبيث لا يعرف سوى المكر والخداع. إنهم الغرب الأوروأميركي الذي وقف وراء صدام حسين المسلم السني في تلك الحرب الضروس التي دامت لثمان سنوات ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية الشيعية، وعندما انتهى دوره في المنطقة .. أُطلقت عليه رصاصة الغدر!

إنه الغرب الأوروأميركي الذي وقف وراء ميلوسيفيتش حتى انتهى دوره

في المنطقة .. ثم أطلقت عليه رصاصة الغدر في سجنه!

إنه الغرب الأوروأميركي الذي وقف وراء رادوفان كرادزيتش حتى انتهى دوره في المنطقة .. فأعدوا له مصيدة المحكمة الجنائية الدولية؛ ليطلقوا عليه رصاصة الغدر! وإلا فليقولوا لنا: من كان يمول الإرهاب المسيحي، ولا زال؟!

إنه عالم الإرهاب المبني على أبجديات الصراع الديني مهما تغيرت أشكاله، وألوانه كالحرباء التي تتربص بفريستها، والضحية لا تعلم!

لهذا، فإن التشدد الديني، ورؤية الحق بمنظار أحادي العدسات، هو سبب من الأسباب الرئيسة في نشوء الصراع الديني بين الفرق المختلفة.

وربما يكون التشدد الديني هو وحده العمود الفقري لأي صراع. وليس أدل على ذلك في التاريخ القديم من القصص التي وصلتنا، ومدونة في الفقه الإسلام، ومنها هذه القصة: كان لأحد القضاة المسلمين الحنابلة المشهورين في البصرة ابنًا مطيعًا. حضر هذا الابن ذات يوم إلى والده وفي يده خبز ساخن حلو المذاق. سأل الأب الشيخ ابنه عن مصدر هذا الخبز. فأخبره الابن أنه تلقى في الأسبوع الفائت هدية تنور - التنور: هو الفرن الذي يصنع فيه الخباز الخبز -. ثم قامت زوجته على الفور بصنع بعض الخبز. ثم أحضر الابن كمية منه لوالده عملاً ببر الوالدين كما كانت العادة في العصور الإسلامية الغابرة.

غضب الأب الشيخ القاضي غضبًا شديدًا؛ لأن هذا ضد إرادة السلوك الإنساني الإسلامي لا سيما إذا كان الأب قاضي في هذه البلاد، ومن المفترض أن يحكم بين الناس بالقسط، والعدل، والاستقامة، وهذه الأعمال تزعزع من ثقة الناس في عدل الحاكم، والقاضي، وهي بمثابة رشوة أو هدية من غير وجه حق.

فما كان من الابن المُطيع إلا أن جمع كل الخبز الذي صنعته زوجته بواسطة هذا التنور بعد أن أقدم على إرجاع التنور إلى صاحبه، ثم ألقى بالخبر كله في نهر دجلة.

علم الأب بهذه الواقعة، وعلم أن خبز التنور قد ألقاه ابنه في نهر دجلة، فقرر الشيخ القاضي الحنبلي أن لا يأكل السمك الذي يُستخرج من نهر دجلة بالعراق.

هذه القصة تدل من زاوية ما على ورع الشخص، وتقواه، ودقته في التحري من أجل العيش في فضيلة، وتقوى الإله.

ولعل كلمة "حنبلي" بالمعنى العامي الشائع لها قد أتت من مثل هذه القصص، وتلك النظريات الدينية لأصحابها.

ليس الحنابلة السنة المسلمين وحدهم هم المتشددون في هذا النسق، والنفق الضيق؛ وإنما يشاركهم اليوم البروتستانت المسيحيون لا سيما المعمدانيون العرب الذين يعيشون في منطقة الشرق الأوسط.

كان المعمداني المسيحي الشرق أوسطي إلى عهد قريب - خمسينات القرن الماضي - يُحَرِّم على أولاده النظر إلى التلفزيون أو مشاهدته أو حتى سماع الراديو! ولا يقتني مثل هذه الأجهزة في بيته حتى لو أتته هدية من الغير!

إنه نوع من التشدد والمغالاة.

والبروتستانتي المعمداني المسيحي الأميركي ما زال إلى يومنا هذا يصنف الناس ما بين مؤمنين وخاطئين - أي مؤمنين بالمسيح وكفرة -، ولا تسمح كثير من الكنائس المعمدانية إلا لأعضائها - المؤمنين - فقط بالمشاركة في سر الافخارستيا عند الكنيسة المعمدانية وهو العشاء الرباني الرمزي كما يُطلق عليه بحسب مفهومهم الكنيسي، ويُسمى بـ: "الشركة" حيث يتشارك الأعضاء في كسر الخبز، وشرب الخمر.

إنها أساسيات في فهم أبجديات الصراع الديني. ولهذا السبب، ومن أجله أفردنا الباب الأول، والباب الثاني من هذا الكتاب لنقدم فيه تعريفًا شاملاً بالمسيحية، وبالإسلام حتى يستطيع القارئ فهم طبيعة الصراع ما بين هذين الدينين منذ أن نشأ الإسلام في جزيرة العرب!

ولا يمكن بطبيعة الحال أن يكون الباب الأول، والثاني من هذا الكتاب قد غطى جميع المناحي المختلفة في الديانتين اللاتين يصعب على باحث أن يجمعهما في مجلدات كبيرة فما بالك بكتاب لا يتعدى صفحاته الـ: ٢٥٧ صحفة. فنرجو المعذرة إن كنا قد أسقطنا معلومات كثيرة لا سيما في الشئون التاريخية.

ولهذا قسمت هذا الكتاب الأول من هذه السلسلة إلى ثلاثة أبواب رئيسة على النحو الآتي:

الباب الأول: يحتوى هذا الباب على كتابات تُقدم صورة شاملة عن

"التعرف على الإديان المتصارعة"، وتُسجل بيانات دقيقة إلى حد ما عن المسيحية من أجل أن تُعطي القارئ العربي فكرة تامة عن الديانة المسيحية من خلال قراءة تاريخية سريعة لأهم ركائز العمود الفقري في الديانة المسيحية.

واشتمل الباب الأول أيضًا على نظرة تاريخية تعكس الصورة العامة للإسلام، وما وصل إليه حال الإسلام، والمسلمين اليوم، وأين موقع كل هذا من الصراع في المنطقة؟

أما الباب الثاني الذي جاء تحت عنوان "المسيحية بين الأمس واليوم"، فقد احتوى على موضوعات بارزة، وهي مكملة لما جاء في الباب الأول. فتناولنا في بابنا الثاني هذا موضوع "أهل الذمة في الإسلام"، وموضوع "مفهوم أهل الذمة في المسيحية"، وموضوع "المسيحية في جزيرة العرب" لما لهذة المواضيع من تأثير كبير على العلاقات المسيحية، والإسلامية الراهنة؛ لأن كثير من الفرق، والمذاهب تريد العودة إلى الجذور ليس على غرار البركة، والطوباوية، وإنما بهدف الإلتزام الديني بتعاليم الإسلام في العصر الأول، والإلتزام الديني بتعاليم المسيحية في العصور الأولى. وقد فصلّنا في هذه الموضوعات بعض الشيء، وركزنا على الموضوعات التفصلية التي تهم القارئ العربي اليوم.

أما الباب الثالث والأخير وهو تحت عنوان "دعوني أعيش" فهو بمثابة حلقة الفصل، وليس الوصل كما درجت العادة! إنها حلقة فصل ما بين المسيحية، والإسلام؛ لأن هذا الباب يتناول الصراع الديني على أرض الواقع في التاريخ الحديث، وفي التاريخ المعاصر، ويبين بعض خطط هذا الصراع مع ما يحمله أهل الصليب، وأصحاب الهلال من منازعات أفضت في مراحل كثيرة منها إلى القتل!

وانتهى هذا العمل بخاتمة تؤكد على حقيقة وجوهر الصراع بين الأديان، وتكون بمثابة اللبنة الأخيرة في بحثنا هذا مع بعض الاقتراحات المتضمنة لهذا البحث.

* * *

أهمية هذه الدراسة

تناول القرآن الكريم من خلال نصوصه القرآنية، فلسفة، وفكر الديانة المسيحية، وأتباع يسوع المسيح. وقد بلغ عدد الآيات القرآنية التي تتحدث في موضوع المسيحية بطريقة مباشرة هو ٢٢٠ آية من مجموع آيات القرآن الكريم الذي يبلغ ٦٢٣٦ آية قرآنية.

وقد تصورت من هذا المنطلق أن موضوع المسيحية، وعلاقتها بالإسلام موضوع ثانوي، وبسيط؛ لأن نسبة الآيات التي تتحدث عن المسيحية في القرآن الكريم لا تمثل سوى ٣,٥٪ من نصوصه! ولكنني تداركت الوضع، وتفهمت طبيعة، وجوهر القضية عندما علمت أيضًا أن الآيات التي يستند عليها الفقه الإسلامي الوارد ذكرها في القرآن الكريم، لا تتجاوز الـ: ٥٠٠ آية من مجموع آيات القرآن الكريم، أي ما نسبته ٨٪ من مجموع أي الذكر الحكيم. ولا يعتبر أي مسلم أن الفقه الإسلام موضوع ثانوي؛ وإنما هو موضوع رئيس، ومن الأمور الضرورية في حياة كل مسلم، وأساس الدين العملي؛ لأن الفقه هو معرفة النفس، ما لها، وما عليها؛ لأنه هو مجموع الأحكام والمسائل التي نزل بها الوحى والتي استنبطها المجتهدون، أو أفتى بها أهل الفتوى، أو توصل إليها أهل التخريج، وبعض ما يُحتاج إليه من مسائل الحساب، التي أُلحقت بالوصايا والمواريث. وليس الفقه هذا فحسب؛ وإنما السياسة بكل شئونها أيضًا تدخل في باب الفقه، وليس الفقه بتابع للسياسة كما حدث في كثير من محطات التاريخ الإسلامي!

إذًا المسيحية مهمة، وتمثل حجر زاوية في تاريخ الحضارة الإسلامية، وإن كانت تُشكل ٣,٥٪ من النص القرآني. ولذلك استعرضت تاريخ المسيحية القديم، والوسيط، والحديث، ورجعت إلى الثلاثة قرون الأولى في حياة المسيحية حيث تَشكلت في ظل صراعات، وقلاقل، ومذابح، واضطهادات، وممارسات إرهابية بمفهوم مصطلحاتنا العصرية.

لقد ذكر القرآن الكريم في سورة الكهف قصة الفتية المسيحيين الذين آمنوا

بربهم، وفروا بدينهم من إرهاب الدولة، ومن بطش، وجبروت، وحيف، وجور الجالس على العرش. فمن حكم دقلديانوس الظالم، هرب الفتية المسيحيون، وناموا في كهفهم مع كلبهم سنين عدة حتى مات الظالم القاعد على العرش.

وذكر القرآن الكريم أيضًا قصة أصحاب الأخدود الذين ما قُتلوا إلا لأنهم كانوا يؤمنون بالله! لقد كان المسيحي يُساق إلى أخدود النار كما صوره النص القرآني لا من أجل جريمة اقترفها؛ وإنما لأنه قد رضي بالله ربًا، وبالمسيحية دينًا! وظل المسيحيون يكابدون عناء الإرهاب الروماني، وغير الروماني حتى عهد قسطنطين.

كان قسطس أبو قسطنطين ملكاً على كل بيزنطة وما والاها. وكان رجلاً دينياً مبغضاً للأصنام محباً للنصارى، فخرج قسطس إلى ناحية الجزيرة والرها، فنزل في قرية من قرى الرها يقال لها "كفر جاث"، فنظر فيها إلى امرأة حسنة جميلة يقال لها "هيلانة" وكانت قد تنصرت على يد أسقف الرها وتعلمت قراءة الكتب.

لم تكن هيلانة، فقط على قدر من الجمال؛ وإنما كانت مسيحية متدينة إلى أبعد الحدود، وليس أدل على ذلك من تشييدها كنيسة القيامة فيما بعد عندما امتلكت زمام الأمور.

فخطبها قسطس من أبيها فزوجه إياها فحبلت منه، ورجع قسطس إلى بيزنطه وولدت هيلانة قسطنطين.

تربى قسطنطين بالرها وتعلم حكم اليونانين وكان غلاماً حسن الوجه قليل الشر وديعًا محباً للحكمة. أراد الملوك الطغاة قتله لأنه كان صالحًا. فهرب من الرها إلى أبيه في بيزنطه. ووصل إلى أبيه قسطس فسلم إليه الملك، ومات أبيه ثم أستاءت أحوال النصاري في الممالك من حوله، وأرسلوا له طلبًا للخلاص لأنه كان خيراً.

فتحير في الأمر حتى رأي رؤية في منتصف النهار صليب من الكواكب تضيء مكتوبًا عليها، "بهذا تغلب". فقال لأصحابه، هل رأيتم ما رأيت؟

قالوا: نعم، فآمن من ذلك الوقت بالنصرانية، وذلك لست سنين بعد موت أبيه.

ثم أستعد قسطنطين بعد حادثة الصليب هذه لمحاربة ملك روميه، وعمل صليب كبير من الذهب. واشترك معه في الحرب لصالحه كثير من المسيحيين، وقاتلوا جنبًا إلى جنب معه لنصرة دين المسيحية، وللقضاء على الوثنية، وانتقامًا ممن كانوا يضطهدونهم.

وبعد الانتصار أقام الناس سبعة أيام يعيدون للملك وللصليب. وملك قسطنطين الدنيا في ٤١ سنة من ملك سابور بن هرمز ملك الفرس. ثم تنصر في السنة الثانية عشر من ملكه، أي ثلاث سنوات فقط، قبل مجمع نيقية المسكوني المسيحي الشهير؛ لأن في السنة الخامسة عشر من ملكه كان مجمع نيقية.

وقال الملك قسطنطين في المجمع المسكوني أن آريوس ملعون؛ لأن بطرس البطرك قبل استشهاده قال إنه رأي المسيح مشقوق الثياب، فلما سُئل عن السبب قال بسبب بدعة آريوس.

وقد استطاع قسطنطين الملك أن يدعم فريق على حساب فريق آخر حتى كان له ما خرج به من مقررات لمجمع ديني مسيحي مسكوني. لقد حضر المجمع هذا زهاء ٢٠٠٠ شخصية دينية مشهورة في تلك الفترة، ولكل منها آرائه اللاهوتية الخاصة في عقيدة المسيح، وصلبه، وقيامته، وأمور أخرى تتعلق بالكرستولجي، والخرستولجي، وصحة الكتابات، والأناجيل، والرسائل، والأسفار، قبل أن تقر نهائيًا بالصورة التي عليها اليوم في الكتاب المقدس الخاص بالمسيحيين.

لقد خرج مجمع نيقة الأول بـ: ٣١٨ صوت، استطاعت أن تفرض تعاليمها على الحضور بمساعدة الملك قسطنطين.

ولا شك أن قسطنطين الملك، قد فرض دينه الجديد على كل المنطقة بقوة السلاح، والقهر، والسلطان كما كانت العادة، والعرف آنذاك. فقد كان العرف المتبع في تلك الفترة أنه عندما يدخل رب الأسرة أو الملك في دين

جديد، فهذا يعني أن يدخل معه جميع أهل بيته، وخدمه، وغلمانه، وحاشيته، وكل من هم تحت سقف بيته في هذا الدين الجديد عنوة، من كبيرهم، وصغيرهم إلى المقمط في سريرهم!

والمسيحية كغيرها من الأديان، بدأت ضعيفة، يُتخطف أتباعها، ويُشردون، وهم مستضعفون، لا حول لهم، ولا قوة. ثم تحولت المسيحية رويدًا، رويدًا، وانتقلت من الليس إلى الأيس، ومن الضعف إلى القوة. وقد تكرس هذا بمرسوم ميلانو الشهير سنة ٣١١م.

فنسي أتباع المسيح زهاء ثلاثة قرون من الضعف، والتشتت، والقهر، وأيام ذاقوا فيها صنوف العذاب، والإرهاب المنظم، وغير المنظم ضد أفرادهم. نسي المسيحيون كل ذلك عند أول منعطف، وعند أول تجربة، وسقط المسيحيون في أوحال الإنتقام، وتعلقوا بحبال الفخ البشري المقيط من اضطهاد الآخر، وإرهاب المغاير، وأدلجة المخالف لفكر المسيحية أو عقيدتها أو تعاليمها أو سياستها أو مذاهبها. ثم بدأ المسيحيون في ممارسة القتل، والاضطهاد، والتنكيل بكل مخالف لعقيدة المسيح التي أقرتها مجامعهم المسكونية أو حتى المخالف لتعاليم، وسلطة الكنيسة، وسلطة الباباوات كما كان يحدث في محاكم التفتيش! وكما كان يحدث في أوروبا من إحراق الزنادقة، والهراطقة، والملحدين من وجهة نظر الكنيسة طبعًا! ثم الإتيان بهم إلى الساحات العامة، وجمع كميات كبيرة من الحطب، والأخشاب، وتقييدهم في سلاسل حديدية، ثم القيام بإحراقهم على مرأى من الجماهير، نكالاً من عند أنفسهم، وإرهابًا لجموع الشعب.

وعندما قويت شوكة المسيحية، لم تتبع سياسة، من لطمك على خدك، فحول له الآخر أيضًا! ومن سخرك ميلاً، فامشي معه ميلان! ومن أراد أن يأخذ ثوبك، فأعطيه رداءك أيضًا! وإنما كشرت المسيحية عن أنيابها، وقلعت قناع التمسكن، وكشفت عن وجهها القبيح، واستيقظ الوحش النائم فيها أو المخدر، وقام من بواطن الإنسان العتيق، وشهر سيفه، وراح يصول، ويجول في كل مواطن العالم الفقير أو الضعيف، واضطهد الآخرين، وساقهم إلى

القتل، وقد بنت بريطانيا العظمى امبراطوريتها بالدم، والنار، لا بالمحبة، والسلام!

وليس آخر تجليات هذه السياسات الهمجية، ما حدث حول نزاع أتباع ديانات التسامح كما يزعم أهلها في كل محفل، وفي كل وسيلة من وسائل الإعلام الصفراء! نعم، يزعم أصحاب الديانات التسامحية، بالفم، واللسان، لا بالعمل، والبيان! يزعم أصحاب الديانات التسامحية بهذه الأمور في فترات السلم الأهلي، وفي داخل قاعات، وصالونات الحوار بين الأديان التي لا ترقى بأي حال من الأحوال إلى التطبيق العملي على أرض الواقع. وليس آخره ما حدث في مدينة ملوي التابعة لمحافظة المنيا في جمهورية مصر العربية، عندما أقدم بعض رهبان الدير - دير أبو فانا - بمعاونة فئة من شعب كنيسة الله على إقامة سور في أرض متنازع عليها بين المسيحيين، والمسلمين، ونتيجة لهذا العمل العنفي، واللا تسامحي من قبل من يرفعون شعار المحبة الفارغ، سقط ضحايا، وقتلى من الطرفين! أين التَسامح المزعوم بين أصحاب الديانات الإبراهيمية - السماوية -؟!

وهل التسامح هو بمنزلة عصا نبي الله موسى عليه السلام، التي لم نعد قادرين على استجلاب سحرها أو استعمالها حتى في الخطوب، والملمات، وفي أوقات الشدة؛ وإنما كل ما نستطيع فعله هو التبختر بعصا التسامح هذه، وقبعة المحبة الفارغة، أو نعلقهما كتميمة داخل أروقة الحوارات المسيحية الإسلامية من دون أي فائدة تُذكر ساعة الحسم، ووقت الحاجة.

لقد نسي المسيحيون كل ذلك، ونسوا عذابات القرن الأول الميلادي، وتفرقهم، وتشتتهم في الأرض، وسقطوا عند أول تجربة خاضوها مع الملك قسطنطين الذي له الفضل، واليد الطولى في بناء المسيحية بقوة السلاح. واستمر الوضع إلى أن وصل قسطنطين البيت الأسود في العام ٢٠٠٣ إلى أرض جزيرة العرب، وقتل ما قتل من الأطفال، والشيوخ، والنساء بقنابله السماوية العنقودية الحاقدة! ولم يتذكر أبدًا أن المحبة ترفق، وتتأنى، وأن المحبة لا تضمر الشر؛ وإنما تضمر الخير، وأن المحبة لا تقتل حتى المذنبين، فما

بالك بالأبرياء!

أتمنى من كل قلبي أن يجد هذا الكتاب الصدى المناسب بين أقرانه من الكتب. وأن يرى القارئ العربي العزيز موضوعية هذا البحث نظرًا لما تضمنه من بعض الوثائق التي تثبت صحة الإدعاء. وأرجو المسامحة على أي زلل أو خطأ قد وردا سهوًا مني في هذا الكتاب؛ لأن الأمور هي بمقاصدها، وأننا لا نقصد إلا الخير لجميع الناس لا سيما لأهله.

* * *

الباب الأول

التعرف على الأديان المتصارعة

الفصل الأول

تعريف بالديانة المسيحية

تنقسم المسيحية إلى ثلاث فرق كبرى، ورئيسة. ويُفضل الباحث استعمال كلمة فرق بدلاً من كلمة طوائف؛ لأن في الجمهورية اللبنانية يستعملون كلمة طائفة لأي مجموعة من الكنائس حتى ولو كانت منبثقة عن الطائفة الأم كـ: الروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، والسريان الكاثوليك، والأرمن، وغيرها من الطوائف الكثيرة العدد. وسوف يقتصر استعمالنا لكلمة فرقة على بداية التعريف أما في متون هذا الكتاب فسوف نستعمل كلمة "طائفة" للدلالة على مجموعة الكنائس المنتمية إلى نفس المبادئ الرئيسة من دون التفريق بين طائفة كبيرة أو طائفة صغيرة.

ولهذا نقول بأن الفرق المسيحية تتكون من طوائف، والطائفة تتكون من ملل أي مذاهب، وهذه المذاهب أو الملل تعكس الأسلوب الديني، والفكر والمنهج لفئة من المؤمنين. ولا بد أن تجمع الطائفة أبناء الدين الواحد. ومن المرجح أن الطائفة الواحدة يجمعها رابط اللغة كـ: الطائفة السريانية، والطائفة الأرمنية. فهي - أي الطائفة - وحدة اجتماعية داخل الدين أو الملة الواحدة.

إذًا، فالفرق المسيحية الرئيسة هي: الكاثوليك، والأرثوذكس، والبروتستانت. وكل فرقة من هذه الفرق الرئيسة تنقسم بدورها إلى عدد كبير من الطوائف المسيحية المنبثقة عن الفرقة الواحدة، ولا سيما الفرقة البروتستانتية التي تحتوي في داخلها على ما لا يحصى من الطوائف الصغيرة الفرعية.

إن سبب نشوء كل هذه الفرق، والطوائف المسيحية هو الاختلاف في العقائد ولا سيما فيما يتمحور حول طبيعة يسوع المسيح من جهة كونه إله أم هو ابن الإله أي ابن الله، أم هو روح الله، وفلسفات خاصة بعقائد ناقشت أمور كالمونوثيلية، والمونوإنرجية، وغيرها من الشئون التي سوف نوضحها في مكانها.

الكاثوليك

هم أتباع الكنائس الغربية التي يرأسها بابا الفاتيكان في روما. وأساس كلمة

كاثوليكي هو لاتيني يعني "الجامع" أو "العالمي"، ولذلك تُسمى الكنيسة الكاثوليكية بالكنيسة الجامعة.

وتؤمن الكنيسة الكاثوليكية أن السيد المسيح له طبيعتين منفصلتين هما الطبيعة الإلهية، والطبيعة الإنسانية. وأن الروح القدس هو منبثق عن الله الأَب، والله الابن أي منبثق عن كلاهما، وهذا ما رفضته الكنيسة الأرثوذكسية لتعدد العلة، وهذا لا يجوز. إذ كيف يكون الله الآب هو علة وجود الروح القدس، والله الابن يسوع المسيح هو أيضًا علة وجود الروح القدس؟! وأن هذا يدخل في تعدد العِلل.

إن أهم مراكز تواجد أتباع الكنيسة الكاثوليكية هو القارة الأوروبية، ولا يعني هذا عدم تواجدهم في القارات الأخرى، وإنما هم موزعون فيها بكيفية ما، وقد ساهم في هذا التوزيع، حملات التبشير، وفلول الاستعمار.

لقد تكرس وجود الكنيسة الكاثوليكية نتيجة الانشقاق الذي حدث على إثر الخلاف الديني المدعم بدوافع سياسية، حين قسم الإمبراطور ثيودواسيوس سنة ٣٩٥م عرشه بين ولديه، حيث جلس أكاديوسيوس على القسم الشرقي، ومركزه القسطنطينية؛ بينما جلس نوريوس على القسم الغربي، ومركزه روما عاصمة الكثلكة آنذاك.

وأهم الطوائف أو المذاهب أو الملل التي انشقت عن الكاثوليكية هي:

١) طائفة الروم الكاثوليك: وعاصمتها روما، وعلى رأس كنيستها بابا الفاتيكان.

٢) طائفة اللاتين الكاثوليك: وهي نسبة إلى اللغة اللاتينية اللغة الرسمية لكثير من البلدان الأوروبية في العصور الغابرة.

٣) طائفة السريان الكاثوليك: وهم المنحدرون من أصل سرياني والتابعون إلى تعاليم الكنيسة الكاثوليكية.

٤) طائفة الأرمن الكاثوليك: هم الأرمن الذين ينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية.

٥) طائفة الموارنة الكاثوليك: يسكن معظم أفراد هذه الطائفة في لبنان، وفي أميركا اللاتينية لا سيما البرازيل، وجزء منهم في قبرص.

٦) طائفة الكلدان الكاثوليك: ويعود أبناء هذه الطائفة إلى الجمهورية العراقية، وإلى الحضارة الكلدانية حيث ينتمي أفراد منهم إلى هذه الكنيسة.

٧) طائفة الأقباط الكاثوليك: وهم ينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية في روما إلا أنهم مصريون المنشأ؛ لأن كلمة قبطي "أيجوبتي" تعني مصري، وليس كما يعتقد العوام بأنها تعني مسيحي. وقد أُلصقت هذه الكلمة بالطائفة المسيحية، وبكنيسة معينة حتى غدت ما هي عليه اليوم، وليس الأمر سوى ما قد بينت.

وهذه الكنائس بصفة عامة كانت كنائس منفصلة تمامًا عن كنيسة بابا روما إلا أن التدخلات السياسية، وروح التقارب، ومحاولة استيعاب الآخر جعلت هذه الكنائس - الأرمنية، والسريانية، والكلدانية، والقبطية، وغيرها - تنضم إلى الكنيسة الجامعة أي الكنيسة الكاثوليكية.

الأرثوذكس

هم أتباع الكنائس الشرقية، ويُطلق على كنيستهم الأم بـ: الكنيسة اليونانية. وتأتي كلمة أرثوذكس التي ألصقت بهذه الفرقة من الكلمة اللاتينية التي تعني "مستقيم الرأي" أو "صحيح العقيدة" أي "أهل الإيمان المستقيم"، وهو مذهب يصنف نفسه من خلال أسمه بأنه فريق الحق.

كل الفرق الكبيرة بدأت من كنيسة واحدة ثم ما لبث أن انشق منها عدة كنائس، والكنائس التي انشقت عن الكنيسة الأم، هي بدورها انشق منها عدد من الكنائس حتى وصلت إلينا في الصورة التي هي عليها اليوم.

فالكنيسة الأرثوذكسية قد انقسمت نتيجة للخلافات التي نشأت في مجمع القسطنطينية الخامس المنعقد سنة ٨٧٩م. إلا أن وجود الكنيسة الأرثوذكسية يعود إلى ما قبل المجمع المسكوني الرابع أي "مجمع خلقدونية" ٤٥١م، وبهذا تكرس وجود كلاً من الكنيسة المصرية أو كنيسة الكرازة المرقسية كما هو متعارف عليه، وكنيسة القسطنطينية، المسماة بالكنيسة الرومية أواليونانية.

وتؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بالطبيعة الواحدة في شخص السيد المسيح، وأن الطبيعة الإلهية ابتلعت الطبيعة الإنسانية كما يبتلع المحيط قطرة من الخمر، ولهذا لا يظهر في شخص المسيح إلا الطبيعة الواحدة المسيطرة على هذا الكون فيما عُرف بـ: المونوفيزية أي أصحاب الطبيعة الواحدة، وهم من أصل اليعاقبة، وقد انشقوا في مجمع خلقدونية، ولا يعترفون - أي أصحاب المذهب الأرثوذكسي - إلا بالمجامع المسكونية الثلاثة الأولى التي سنتكلم عنها فيما بعد. وهم أي أصحاب

الكنيسة الأرثوذكسية يؤمنون بأن الروح القدس هو منبثق عن الله الأب، وليس من الابن من أجل عدم تعدد العلة، وحتى لا يكون الله الأب هو علة الروح القدس، والله الابن يسوع هو أيضًا علة الروح القدس!

إن أهم الأماكن التي يتركز فيها المسيحيون الأرثوذكس في العالم الحاضر هي روسيا، وفي أفريقيا: مصر، والسودان .. الحبشة، وفي آسيا: سوريا، ولبنان.

هذا، وللمسيحيين الأرثوذكس أربع بطركيات هي: أنطاكيا، والاسكندرية، وأورشليم القدس، والقسطنطينية.

وأهم الطوائف أو المذاهب أو الملل التي انشقت عن الأرثوذكسية هي:

١) طائفة الروم الأرثوذكس: سُميت بالروم نسبة إلى الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية الأم.

٢) طائفة السريان الأرثوذكس: وهي الكنيسة التي من المفترض أن أصحابها يتحدوثون اللغة السريانية، وهي لغة القداس أي الخدمة في داخل الكنيسة. وهي طائفة تنتشر في بلاد الشام من فلسطين، ولبنان، وسوريا. لكن غالبية السريان يتواجدون في البطركية الأنطاكية أي سوريا الحالية.

٣) طائفة الأرمن الأرثوذكس: وهي تتبع الكنيسة الأرمينية في أرمينا، وهي من أقدم الكنائس التي اصطبغت بصبغة الدولة الأرمنية.

٤) طائفة الأقباط الأرثوذكس: نسبة إلى اللغة القبطية التي كان يتحدث بها المصريون قبل دخول المسيحية إليها، وبعد دخول المسيحية أصبحت اللغة القبطية هي اللغة الرسمية في الكنائس. ودرج التقليد الحديث إلى ذكر كلمة قبطي مجردة، وتُطلق على المسيحي المصري، مع أن القبطية هي ليست دين؛ وإنما لغة، وكلمة قبطي "ايجوبتي" تعني مصري. وقد انحصرت هذه اللغة في القداديس - خدمة العبادة والصلاة - داخل الكنائس المصرية بسبب زوال هذه اللغة بعد دخول الإسلام إلى أرض مصر في القرن السابع الميلادي بعد أن حرفتها الكنيسة المصرية في القرن الثالث الميلادي مستخدمة الحروف اليونانية بدلاً من استعمالها الحروف المصرية في محاولة مسيحية من أجل فصل الحياة الفرعونية عن الشعب الجديد في مصر ما قبل الإسلام.

لقد دخلت المسيحية إلى مصر في سنة ١٠٠ م. ومن مصر انتشرت في بلاد النوبة وإثيوبيا بالجنوب وبالغرب بلغت حتى البربر - الأمازيغ - بشمال أفريقيا.

البروتستانت

كان البروتستانت من أتباع الفرقة الكاثوليكية قبل أن ينشقوا عنها في بداية القرن السادس عشر، ثم تكرس هذا الانشقاق لا حقًا بعد عدة عقود. وتعني كلمة "بروتستانت" المحتج؛ لأنهم احتجوا على الكنيسة الكاثوليكية، وممارساتها آنذاك من سر الاعتراف - كل مؤمن كاثوليكي أو حتى أرثوذكسي يذهب إلى الكنيسة عندما يقترف ذنب أو خطيئة ما لكي يعترف بها أمام الكاهن، فيحله الكاهن من ثِقل هذه الخطيئة، ويُعطيه الحرية بعد الصلاة من أجله -، وسر الأفخاريستيا، وتحول القربان إلى ذبيحة إلاهيه يحل فيها جسد المسيح - أي، عندما يذهب المؤمن المسيحي إلى الكنيسة، ويحضر القداس الإلهي، ويتناول من يد الكاهن القربان (القربانة) أو فيما يُعرف بجسد السيد المسيح، فهذه القربانة تتحول إلى ذبيحة إلهية، وكذا الخمر الذي يشربه يتحول إلى دم المسيح -، وصكوك الغفران - حيث كان البابا لديه السلطة الحصرية في إعطاء المؤمنين صك ممهور بخاتمه البابوي يخول للشخص الممنوح له هذا الصك الدخول إلى السماء من بابها الواسع بعد أن يكون قد دفع ثمنًا ماليًا مقابل هذا الصك الغفراني الذي هو بمثابة الممحاة التي تمحو كل سيئات المؤمن المسيحي. ومن يستطيع أن يمحو الخطايا، ويغفرها غير الله؟! -. وقد أُستخدمت صكوك الغفران هذه في الحروب الصليبية لتشجيع المقاتلين على مواجهة المسلمين، وكذلك استخدمها بعض الباباوات في حروبهم ضد الملوك إبان تلك المرحلة في أوروبا، ومن بين هؤلاء، البابا حنا الثالث والعشرون، وقد أحرق حنّا هس حياً عام ١٤١٥م. وهذه كلها صراعات سياسية يكسوها الطابع الديني من أجل تسعير نارها، وهي تدخل في أبجديات الصراع الديني!

وقد ارتبط اسم مارتن لوثر (١٤٨٢ - ١٥٤٦م)، بالانشقاق البروتستانتي فيما يُعرف بـ: الإصلاح الإنجيلي. كان مارتن لوثر كاهنًا كاثوليكيًا يذهب كل عام للحج إلى روما، يصعد درجات المقدس زاحفًا على ركبتيه، وهو يشكل ألمًا للأشخاص الذين لا يعرفون مشقة الصعود على درج به مسامير لا ترحم زاحفًا على ركبتيه من أجل التكفير عن خطاياه. وقد سمع هذا الكاهن في هذه الأثناء كما أدعى بذلك لاحقًا، صوت أتاه من المجهول يقول له: "البار بالإيمان يحيا"، وهي آية من سفر حبقوق أحد

أنبياء إسرائيل. ومن ذلك اليوم توقف عن هذه الممارسات التي لا تكرس من وجهة نظره الخشوع الحقيقي لله الحي الذي لا يريد إلا الرحمة، وليس تعذيب النفس على غرار الإنسان السادي المُغرم بتعذيب نفسه، وبتعذيب الآخرين.

ومن أهم الإصلاحيين الذين حذوا حذو مارتن لوثر هم: الفرنسي كالفن الذي كان له الفضل في تأسيس التنظيم الكنسي البروتستانتي. ثم السويسري زونجلي، ولم ينفرد مارتن لوثر الألماني بالإصلاح البروتستانتي وحده في مسيرة التاريخ الكنيسي.

ولا يعترف أصحاب هذه الملة أي البروتستانت إلا بما ورد في الإنجيل فقط لا غير، ويفسرونه كل بحسب طريقته الخاصة. وتواجه هذه الكنائس صعوبات في التعاليم المبنية على مقررات المجامع المسكونية. إذ لا تستطيع إنكارها كليةً، وإلا لما بقي لها من مرجع يُعتد به، وفي الوقت عينه لا تستطيع قبول كل هذه المقررات؛ لأن فيها كثير من المغالطات بحسب رأي أصحاب الكنائس البروتستانتية، والتي يقف وراءها ويدعمها الرئيس الأميركي، والبيت الأبيض، والقس المرابض في البيت الرئاسي من أجل المشورة في أوقات السلم، ولا سيما في أوقات الحرب، وشن الهجوم على الدول الإسلامية!

الأسرار الكنيسية

هذا، ولا يعترف المسيحيون البروتستانت إلا بالأسرار الكنيسية الثلاثة الأولى من الأسرار الكنيسية السبعة، ولا يُطلقون عليها سر، وهي على النحو الآتي:

١) **سر المعمودية:** أي كل طفل يُولد، يجب أن يُعمد أي يغطس في الماء أو يُرش بالماء بحسب الطقوس المتبعة في الكنائس المختلفة. ولا يؤمن بعض كنائس البروتستانت إلا بمعمودية البالغ العاقل بعد أن يؤمن بالمسيح يسوع.

٢) **سر مسحة الميرون:** وهو وضع اليد من قِبل الكاهن أو المؤمن بحسب عقيدة بعض الكنائس، وهذه الأيادي الموضوعة على المسيحي الذي قد تعمد بالماء تجعله يقبل عطية الله أي روح الله القدوس.

٣) **سر الأفخارستيا:** ويُسمى أيضًا بـ: الشركة أو التناول أو العشاء الرباني: وهو أن يتشارك المؤمنون المسيحيون بالخبز، والخمر، والخبز يشير إلى جسد يسوع المسيح المصلوب من أجل الخطاة، والخمر يشير إلى دمه المسفوك على الصليب.

ويسمى القربان "الخبز" بـ: القربان المقدس. وعندما يتلو الكاهن الصلوات يتحول هذا الخبز "القربان المقدس" والخمر إلى جسد يسوع المسيح، ودمه في داخل فم المؤمن الذي يتناول هذا القربان، والكأس أي الخمر.

٤) **سر التوبة والاعتراف:** علم المسيح في حياته على الأرض بحسب النصوص الإنجيلية أنه إن قُلنا أن ليس لنا خطيئة، نُضل أنفسنا، وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا، ويطهرنا من كل إثم. هذا هو الإيمان المسيحي، وتختلف الطوائف فيما بينها على طريقة التطبيق.

فالكنائس الكاثوليكية، والأرثوذكسية تؤمن بأن المؤمن يتوجب عليه أن يتقدم إلى كاهنه إذا اقترف خطيئة من أجل أن يحله الكاهن من ربط هذه الخطيئة، ويحرره، ويُعطيه الغفران.

أما الكنائس البروتستانتية فلا تؤمن إلا بيسوع وحده الذي يحل هذه الخطايا، وعلى المؤمن الخاطئ أي الذي يقترف خطيئة ما أن يذهب مباشرة إلى الرب يسوع من دون واسطة، ولا حاجة في هذه الحالة إلى كاهن.

٥) **سر مسحة المرضى:** بحسب رسالة القديس يعقوب الذي يشير فيها إلى أن كثرة الأمراض تأتي أحيانًا من الخطيئة، فلذلك يحتاج المؤمن الخاطئ أن يُمسح بالزيت المقدس من أجل الشفاء.

٦) **سر الزيجة:** ولأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان، فإن الكنائس الكاثوليكية، والأرثوذكسية تؤمن بسر الزواج المقدس، ومباركة الكاهن لهذا الزواج حتى يدوم.

٧) **سر الكهنوت:** الجميع مدعون، وقليلون يُنتخبون، وهذا يعني أن خدمة الكهنوت ليست لجميع المسيحيين؛ إنما هي فقط بدعوة خالصة من الله للشخص المُكرس لهذه الخدمة، ولذلك يحتاج عند البدء بها أن ينال المرتسم سر الكهنوت، ووضع الأيدي عليه من قِبل الأساقفة.

والأسرار الأربعة الأولى هي أسرار إلزامية لكل مسيحي؛ لأنه يحتاج إليها من المعمودية، ومسحة روح الله القدوس، والمناولة أو القربان، والاعتراف الذي يتبعه المؤمن بالتوبة. ولكن الأسرار الثلاثة الباقية فهي ليست إلزامية. فلا يحتاج الجميع أن يكونوا متزوجين أو أن يمارسوا خدمة الكهنوت.

ولا يُطلق البروتستانت على الأسرار الكنيسية لفظة "سر"، وإنما هي ممارسة كـ: العشاء الرباني - سر الأفخارستيا -. ويقولون في هذا السياق: أن الخمر الذي يشربه المؤمن في العشاء الرباني أو الشركة أو سر الأفخارستيا، وكلها أسماء لشئ واحد هو مشاركة جسد، ودم يسوع المسيح بحسب التقليد الكنسي الكاثوليكي، والأرثوذكسي أما البروتستانت فيقولون: لا يمكن أن يتحول الخمر إلى دم يسوع المسيح؛ لأن هذا هو رمز فقط. والدليل على ذلك أن يسوع قال لهم أي لتلاميذه افعلوا ذلك، ولم يكن قد صُلب بعد، فكيف نفسر عملية التحول، وكذا الحال مع القربان المقدس، ولم يكن المسيح قد صُلب بعد؟!

والمعمودية أي تغطيس المؤمن بالمسيح في الماء - سر المعمودية -، وقد اختلف البروتستانت فيما بينهم حول المعمودية: هل هي بالتغطيس الكامل في الماء أو بالرش فقط على غرار الكنيسة الكاثوليكية؟! وهل المعمودية تكون للكبار فقط أم تمارس على المولودين أيضًا أي الصغار؟! وتمارس الكنائس البروتستانتية سر التثبيت من دون أن تسميه سرًا، وذلك عندما يرسمون كهنتهم داخل كنائسهم حيث يسمونهم "رعاة" لا كهنة؛ لأن المسيح وحده هو الذي يعتبرونه كاهن، وكلها فلسفات، يعتبرها البعض بيزنطية في وقت لا يَرقَ فيه التطبيق البروتستانتي إلى الحد المقبول حتى من المؤمنين داخل الكنيسة البروتستانتية الواحدة!

إن أتباع الفرقة البروتستانتية ينتشرون في بقاع الأرض، ولكن أهم الأماكن التي تتركز فيها تجمعاتهم هي الولايات المتحدة الأميريكية، وكوريا، وألمانيا، وأسكتلندا، والنرويج، وهولندا، وبريطانيا العظمى (انكلترا)، حيث تُعتبر الكنيسة الأنجليكانية الكنيسة الرسمية في البلاد. وهذه الكنيسة البريطانية ليست كنيسة واحدة، وإن بدت كذلك؛ لأن الكنيسة تنقسم إلى قسمين: قسم يقترب من تعاليم الكنيسة الكاثوليكية، والقسم الثاني يقترب من تعاليم الكنيسة البروتستانتينية.

وقد يناهز عدد الطوائف البروتسانتية الـ: ٢٠٠ طائفة عدًا، ونقدًا.

أشهر الكنائس البروتستانتية

وأهم الطوائف أو المذاهب أو الملل التي انشقت عن الكنيسة البروتستانتية هي:

التسلسل	اسم الكنيسة
١	الكنيسة المشيخية (وهى كنيسة تُعمد الأطفال على غرار الكنيسة الكاثوليكية)
٢	الكنيسة المعمدانية (وهي الكنيسة الرئيسة للبروتستانت في الولايات المتحدة الأميركية)
٣	الكنيسة الأنجليكانية (وهى كنيسة بريطانيا العظمى)
٤	الكنيسة اللوثرية
٥	الكنيسة الخمسينية
٦	كنائس الله
٧	الكنيسة الميثودية
٨	كنيسة الوحدة
٩	كنيسة المسيحية الأصولية
١٠	كنيسة شهود يهوه
١١	الكنيسة الكالفينية
١٢	كنيسة الأدفنتست (كنيسة السبتين؛ لأنهم يقدسون السبت بدلاً من يوم الأحد على غرار تقديس اليهود ليوم السبت)
١٣	كنيسة نهضة القداسة
١٤	كنيسة الأخوة المرحبون
١٥	كنيسة المورمون
١٦	الكنيسة المسيحية الليبرالية
١٧	كنيسة المسيح
١٨	كنيسة الأصدقاء (وهذه الكنيسة تعرف بـ: الكويكرز)
١٩	الكنيسة الغنوصية
٢٠	كنيسة النعمة
٢١	الكنيسة الآريانية
٢٢	كنائس الأخوة
٢٣	كنيسة الأخوة البليموث
٢٤	كنائس الإصلاح
٢٥	كنيسة النعمة الرسولية
٢٦	كنيسة المسيحية اليهودية
٢٧	الكنيسة التجديدية العماد
٢٨	كنيسة الإيمان
٢٩	الكنيسة الرسولية
٣٠	الكنيسة التوحيدية
٣١	كنيسة الكاثار
٣٢	كنيسة الكرازة بالانجيل
٣٣	كنيسة المثال المسيحي
٣٤	كنيسة علم مسيحي
٣٥	كنائس جماعة الله (وهم يتكلمون بألسنة)

هذا، ويأخذ المسيحيون تشريعاتهم من مصادر متنوعة لا سيما مع اختلاف كنائسهم، وعقائدهم. وأهم مصادر التشريع المسيحي هي:

١) **التوراة، والإنجيل:** فيما يُعرف بـ: الكتاب المقدس. وتعترف كل الطوائف المسيحية بهذا المصدر، والاختلاف فيما بينها يأتي عن طريق تفسير كل فريق تفسيرًا خاصًا لآيات هذا الكتاب. هذا، ويعترف الكاثوليك بكتب الأبوكريفيا التي تُعرف في الكنيسة بالكتب القانونية الثانية كـ: أسفار المكابيين، وطوبيا، ويهوديت، وغيرها، في حين تلفظها، وترفضها الكنائس البروتستانتية، ولا تعترف بها، وكذا بعض الكنائس.

٢) **المجامع الكنيسية:** وتنقسم المجامع الكنيسية إلى مسكونية – أي: عالمية –، وغير مسكونية أي مجامع لعدد معين من الكنائس، وأُتخذ بنهايتها مقررات كانت ملزمة لجميع الكنائس الحاضرة في هذه المجامع. ومعنى كلمة مسكونية تأتي من "المسكونة" أي كل العالم، وهو لفظ مجازي يدل على أن هذه المجامع كانت عالمية، وقد انعقدت بحضور جميع الكنائس، وتمثلت فيها جميع الملل، والنحل، وهذا غير صحيح؛ لأن الكنائس الأرثوذكسية انشقت عن هذه المجامع، ولا تعترف بها أبدًا إلا بالمجامع المسكونية الثلاثة الأولى. وأيضًا الفرقة البروتستانتية والتي يناهز طوئفها الـ: ٢٠٠ طائفة، لم تكن موجودة في تلك الفترة التي انعدقت فيها المجامع المسكونية؛ لأنها ظهرت في القرن السادس عشر.

والمجامع المسكونية هي سبعة، وهي: نيقية الأول، والثاني، وأفسس الأول، والثاني، والقسطنطينية الأول، والثاني، والثالث. وقد تم عقدها في الفترة الممتدة ما بين ٣٢٥ – ٧٨٧م.

٣) **تقليد الكنيسة:** وهي مجموعة التعاليم التي أصدرتها الكنيسة عبر تاريخها الطويل. وكل كنيسة تهتم، وتأخذ بتقاليدها الخاصة عدا الكنيسة البروتستانتية التي من المرجح أن ليس لها تقليد إلا ما درجت عليه بعض الكنائس عبر تاريخها الذي أمتد من منتصف القرن السادس عشر إلى يومنا هذا.

لقد قررت الكنائس الطقسية – كلمة طقسية: تُستعمل من قِبل الكنائس البروتستانتية لوصف كنائس الكاثوليك، والأرثوذكس – أن "من ينبذ كلَّ التقليد الكنسي المكتوب أو غير المكتوب، فليكن مُبسلاً (أي ملعونًا)، وهو أحد مقررات مجمع

نيقية الثاني. إذًا فالتقليد شيء مهم بالنسبة للكنائس.

٤) **سلطة بابا روما:** وهذه السلطة البابوية الممنوحة له بحسب التقليد من القديس بطرس مؤسس كنيسة روما، ولا تعترف بها إلا الملل الكاثوليكية.

٥) **قوانين الرسل:** كـ: كتاب تعليم الرسل "الديداخي"، وهي كتب قديمة، ولكنها لم تكن مكتشفة بالصورة التي عليها الآن إلا في عصور متأخرة كـ: سنة ١٨٦٣ التي ظهر فيها لأول مرة كتاب تعليم الرسل، ولم يكن معروفًا قبل هذا التاريخ. من أجل ذلك يدور الجدل حول أحقية هذه الكتب في الدخول إلى التشريعات الكنيسية.

٦) **التفسير الشخصي:** فيما يُعرف عند المسلمين بـ: أهل الرأي. وهذا المبدأ تنتهجه جل الكنائس البروتستانتية، وهي تُعطي كل واحد الحق في تفسير الكتب المقدسة، فدخل الهرج، والمرج على كثير من كنائسهم حتى طالب بعضهم بتعدد الأزواج كالمورمن! ومع ذلك فإن كل كنيسة من كنائس البروتستانت لها حرية أن تضع قانون إيمانها، والذي قد يغاير أحيانًا الكنيسة الأم التي انشقت عنها هذه الكنائس كإدعاء بعض الكنائس البروتستانتية بالتكلم بألسنة كما كان تلامذة المسيح يفعلون في القرن الأول. والغريب في هذه الكنائس أن من يتلكمون بألسنة لا يعرف أحد منهم ترجمةً لهذه اللغات التي يتحدثون بها حتى إن بعض مؤمنيهم قد وصفها بالمسرحيات الهزلية الفلكلورية!

٧) **تعاليم آباء الكنيسة:** كل كنيسة لها آبائها في التاريخ الطويل للكنيسة حتى الكنيسة البروتستانتية لها آبائها كـ: كالفن، وزنكلي، وغيرهما، ولكن لا تأخذ إلا بما تراه يناسبها من أقوال آبائهم.

٨) **سلطة تعاليم الكنيسة:** فللكنيسة الكاثوليكية سلطة التعليم على رعاياها، وكذلك الكنيسة الأرثوذكسية، وحتى الكنيسة البروتستانتية تمارس في مكان ما سلطة التعليم على أفرادها بحجة أن ليس كل المؤمنين بقادرين على فهم المكتوب في سجلات الكتب المقدسة.

هذه هي المسيحية، فمن هم المسيحيون؟ إنهم أتباع يسوع المسيح. أما لقب "مسيحي" فقد أطلقه أعداء المسيحيين في بادئ الأمر على أتباع المسيح. ويذكر التاريخ الكنسي بحسب أسفار الإنجيل لا سيما "أعمال الرسل" بأن أول مرة يُلقب فيها أتباع المسيح بالمسيحيين، كانت في أنطاكيا من قِبل أعدائهم، وعلى سبيل

السخرية بهم، والشتيمة، والاستهزاء، ثم إلتصق بهم هذا الأسم إلى يومنا هذا[١].

والمسيحي هو الشخص الذي يتبع تعاليم يسوع المسيح الناصري، ويؤمن المسيحي بأن المسيح هو مخلصه الذي مات على الصليب منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة، وقام، وصعد إلى السماء، وهو جالس اليوم عن يمين الله الأب، وسيأتي في اليوم الأخير ليدين الأحياء، والأموات. وأن اسم يسوع يأتي من الشق العبري "يشوع" أي يهوه (الله) المخلص. وأما المسيح؛ فلأنه قد مُسح من قِبل الله الآب بالروح القدس يوم معموديته في نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان - نبي الله يحيى عليه السلام -، وكانت العادة العبرية بحسب النصوص التوراتية أن يُمسح الملوك بالزيت علامة على بداية تولى الحكم، وكان الأنبياء أيضًا يُمسحون بالزيت، والخدام المعينين من قِبل الله، دلالة على بداية خدمتهم.

ويؤمن المسيحي أيضًا أن الله مثلث الأقانيم، أي، الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس، وهذا اللاهوت المثلث الأقانيم، تعتبره الكنيسة الكاثوليكية سر من أسرارها السبعة.

كتب العهد الجديد

الكتاب الذي يؤمن به المسيحيون، ويتبعون تعاليمه، بالإضافة إلى تعاليم الكنيسة هو كتاب "العهد الجديد"، ويُسمى بـ: "الإنجيل" أيضًا. فماذا تعني كلمة "عهد"، ولماذا أُطلقت على كتابات المسيحيون؟

يُقال أن العقد هو شريعة المتعاقدين، أما العهد فهو الإتفاق الثنائي في شكل ميثاق، وإن خير مثال على العهود في القديم هو ما يعرضه سفر التكوين الفصل الخامس عشر عندما أمر الله عبده إبراهيم عليه السلام، أن يأخذ عجلة ثلاثية، وعنزة ثلاثية، وكبشاً ثلاثيًا، ويمامة، وحمامة، ويشقها من الوسط ويجعل شق كل واحد مقابل صاحبه، وأما الطير فلم يشقه بل وضع أحدهما تجاه الآخر لأنهما أثنان.

---

(١) "فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة، وعلما جمعًا غفيرًا. ودُعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً." (رسل ١١ : ٢٦)، وهذا النص يشير من دون الحاجة إلى شرح أن المسيحيين لم يكونوا معرفين بهذا الاسم من قبل؛ وإنما أُطلق عليهم هذا الاسم لأول مرة في أنطاكية، وحسب التقليد فإنه كان بمثابة شتيمة لهم. وهذا ما يؤكده النص الآتي: "ولكن إن كان كمسيحي فلا يخجل بل يمجد الله من هذا القبيل." (١بط ٤ : ١٦).

لقد كانت هذه العادة المتبعة في قطع العهود، ومن المرجح أنها كانت الطريقة المألوفة في بابل - العراق حاليًا -، ولعل التعبير عن إتيان العهد الوثيق في أقدم اللغات بالقطع مأخوذة من قطع الذبيحة نصفين أو قطعهما بالضرب على أسلوب الرومانيين.

ولم يكن قطع الذبيحة شقين لتمثيل فرقتين كما ظن بعضهم، بل لبيان أن من يخلف الوعد يُقطع كما قُطعت الذبيحة على ما قد ورد في نبوءة أرميا، وهو أحد أنبياء إسرائيل، إذ يتحدث النبي أرميا في هذا النص بلسان الله، أي أن الله هو المتكلم. فيقول الرب: "وأما الرجال الذين خالفوا عهدي ونقضوا ما تعاهدوا عليه أمامي حين قطعوا العجل شطرين، ومروا بين قطعتيه. وهم رؤساء يهوذا وأورشليم والخصيان والكهنة وجميع شعب هذه الأرض، فأسلمهم إلى أيدي أعدائهم، وأيدي الذين يطلبون حياتهم، فتكون جثثهم مأكلاً لطير السماء ولوحوش الأرض"[١] .

إذًا، كانت العادة عند إبرام الإتفاقيات بين طرفين، أن يُذبح حيوان، ويقطع عدة قطع، ويمر المتعاقدان أو المتعاقدون بينها أي بين الذبائح المقطعة، كما حدث بين الله، ونبيه إبراهيم عليه السلام، حيث مر الاثنان - الله والإنسان المتمثل آنذاك في صورة إبراهيم النبي بحسب النصوص التوراتية - بين الذبائح المُقطعة. ويستمر الله في إبرام الإتفاقات كما تعرض التوراة[٢] ذلك، بأن يكون لنسل إبراهيم أرضًا هي من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات .. وهنا تبرز إشكالية تاريخية، إذ أن الشعب العبري لم يصل في حدوده يومًا ما إلى نهر النيل المعروف بنهر مصر إلا إذا كان ثمة نهر آخر قد عُرف بنهر مصر، ولم يعد موجودًا اليوم.

إذًا، فالعهد، عهدان، عهد قديم أو عتيق قد قطعه الله مع شعب إسرائيل، وعهد جديد، قد قطعه الله مع كل إنسان يؤمن بيسوع المسيح فيما يُعرف بـ: "مسيحي"، ويسمى هذا عهد جديد.

عهد قديم، يتوجب على الشعب الإسرائيلي بناء على هذا العهد أن يقوم بطقوس معينة. وهذا ما تبينه نصوص كثيرة من نصوص التوراة كـ: "... لأسباط إسرائيل الأثني عشر. وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات واذبحوا ذبائح سلامة

---

(١) أر ٣٤: ١٨ . ٢٠ .

(٢) راجع: تك ١٢: ٧، ١٣: ١٥، ١٧: ٧-٨، ٢٤: ٧، ٢٦: ٤، خر ٢٣: ٣١، عد ٣٤: ٥، تث ١: ٧، تث ٣٤: ٧، يش ١: ٤، امل ٤: ٢١، اأخ ٥: ٩، ٢أخ ٩: ٢٦، مز ٧٢: ٨، مز ١٠٥: ١١، اش ٢٧: ١٢ .

للرب من الثيران. فأخذ موسى نصف الدم ووضعه في الطسوس. ونصف الدم رشه على المذبح. وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب. فقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له. وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هو ذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال"[١].

ثم تطورت العهود على مدى التاريخ حتى وصلت إلى اليوم الذي قال فيه الله لشعبه: "في تلك الأيام لا يقولون بعد الأباء أكلوا حصرماً وأسنان الأبناء ضرست. بل كل واحد يموت بذنبه (هذا التطور اللافت للنظر يصنع إشكالية لاهوتية في موت المسيح التكفيري عن ذنوب الآخرين وخطاياهم؛ لأنه إذا كان كل واحد يموت بذنبه، ولا يموت عنه أحد كعوض أو نيابة عنه، فلماذا مات المسيح على الصليب كما يعتقد المسيحيون؟!) كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه. ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً. ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم"[٢].

لقد كان اليهود يملحون قرابينهم أي يرشون عليها الملح قبل أن يقدمونها، لأن الملح هو رمز العهد بين الله والإنسان. وقد كان القدماء قبل صناعة الثلاجة يملحون اللحم من أجل حفظه. أما وجود الملح في العهود فإنه يشير إلى أن العهد يدوم بين الله وشعبه، وأن العهد لا رجوع عنه[٣] . وقد كان الملح رمزاً للعهد بين الله والإنسان من جهة الإنسان، أي أن الملح رمزًا يُذَكِّرُ الإنسان بالعهد، وكذلك قوس قزح الذى وضعه الله في السماء بعد الطوفان يكون علامة عهد من جهة الله لتذكيره فلا ينقض عهده[٤] .

ولهذا يصف الإنجيل المؤمنين بالمسيح على أنهم "ملح الأرض"، فهل حافظ المسيحيون على هذا الملح إم إنهم جعلوه فاسدًا لا يصلح لشئ إلا أن يُلقى خارجًا، ويُداس بالأقدام؟!

أذاً، فالعهد واحد، وله رموز كثيرة من تقطيع الذبائح كما كان يفعل البابليين، والملح، وقوس قزح. هذا هو العهد القديم أي العتيق مع شعب إسرائيل.

---

(١) خر ٢٤: ٤ ـ ٨ .

(٢) أر ٣١: ٢٩ – ٣٤، حز ١٨: ٢ – ٩ .

(٣) أح ٢: ٣ .

(٤) تك ٩: ١١ ـ ١٣ .

فكلمة ميثاق أو عهد أي بيريث في اللغة العبرية[١]، مسميات لأمور بعينها، يُفهم منها طبيعة العبادة في الديانة اليهودية أو الديانة المسيحية.

وفي العهد الجديد، نجد يسوع المسيح يؤسس لهذا الفكر في العشاء الرباني المعروف بـ: "سر الأفخاريستيا" مع تلاميذه بحسب نصوص الإنجيل الشريف: "وبينما هم يأكلون، أخذ يسوع خبزًا، وباركه، وكسره، وناوله تلاميذه، وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدي. وأخذ كأساً وشكر وناولهم وقال: إشربوا منها كلكم. هذا هو دم العهد الذى يُسفك من أجل أناس كثيرين. لغفران الخطايا"[٢] .

ويربط اللاهوت المسيحي هذا العهد أي العهد الجديد الذي قطعه يسوع المسيح مع تلاميذه نيابة عن كل مؤمن بما ورد في سفر إرمياء: "وستأتي أيام أعاهد فيها بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدًا جديدًا. لا كالعهد الذى عاهدته آباءهم يوم أخذت بأيديهم وأخرجتهم من أرض مصر؛ لأنهم نقضوه مع أني عاملتهم بالحسنى. أما العهد الجديد الذى أعاهد به بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، فهو هذا: أجعل شريعتي في ضمائرهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهًا، ويكونون لي شعبًا، فلا يعلّم بعد واحدهم الآخر، والأخ أخاه، أن يعرف الرب. فجميعهم من صغيرهم إلى كبيرهم سيعرفونني، لأني سأغفر ذنوبهم ولن أذكر خطاياهم من بعد"[٣] .

إذًا، تحول الله في العهد الجديد إلى شعب جديد وهم المسيحيون، ليكونوا شعب الله المختار على غرار إسرائيل. ولذا نرى عودة الفكر الجديد إلى سابق عهده أي إلى العهد العتيق، فنري الرسول بولس يقول: "ولكن الله بنعمته اختارني وأنا في بطن أمي"[٤]. فيتكلم الرسول هَهنا عن الاختيار المسبق لله بحسب علمه الأزلي.

هذا من جهة مفهوم العهد في الديانة المسيحية. فمما يتكون العهد الجديد؟ أي ما هي الكتب، والأسفار التي يشتمل عليها العهد الجديد، والمعترف بها من قِبل جميع الكنائس الموجودة حاليًا، والمُتعبد بواسطتها؟

(١) بيريث: كلمة عبرية تعنى العهد.
(٢) متى ٢٦: ٢٦ - ٢٩ .
(٣) ار ٣١: ٣١ - ٣٤ .
(٤) غل ١: ١٥، روم ٨: ٢٩ ـ٣٠، ٩: ١٩ ـ٢١ .

كتب العهد الجديد هي:

للمسيحيين كتب في الرواية، والسيرة، والتاريخ، وعددها خمسة كتب هي:

التسلسل	الاســم	الرمز
١	إنجيل متى	متى أو مت
٢	إنجيل مرقس	مر
٣	إنجيل لوقا	لو
٤	إنجيل يوحنا	يو
٥	سفر أعمال الرسل	أع أو رسل[١]

للمسيحيين أيضًا رسائل رعوية، وعقائدية، ونبوية، وغيرها من الرسائل، وعددها اثنتي وعشرون رسالة هي:

التسلسل	الاســم	الرمز
١	الرسالة إلى أهل رومية (روما)	روم أو رو
٢	الرسالة الأولى إلى أهل قورنثس (كورنثوس)	١قور أو ١كور
٣	الرسالة الثانية إلى أهل قورنثس (كورنثوس)	٢قور أو ٢كور
٤	الرسالة إلى أهل غلاطية	غل أو غلا
٥	الرسالة إلى أفسس	أف
٦	الرسالة إلى أهل فيلبي	فل أو في
٧	الرسالة إلى أهل قولوسي (كولوسي)	قول أو كو
٨	الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيقي (تسالونيكي)	١تس
٩	الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيقي (تسالونيكي)	٢تس
١٠	الرسالة الأولى إلى أهل طيموثاوس (تيموثاوس) الرسالة الثانية إلى أهل طيموثاوس (تيموثاوس)	١طيم أو ١تم
١١	الرسالة إلى طيطس (تيطس) الرسالة إلى فيلمون	٢طيم أو ٢تم
١٢	الرسالة إلى العبرانيين	طي أو تي
١٣	رسالة يعقوب	ف أو فل

(١) وجود رمزين للسفر الواحد راجع إلى اختلاف الكنائس، فالكنيسة البروتستانتية ترمز إلى سفر أعمال الرسل بالرمز "أع" في حين ان الكنيسة الكاثوليكية ترمز لنفس السفر بالرمز "رسل".

التسلسل	الاســم	الرمز
١٤	الرسالة إلى العبرانيين	عب
١٥	رسالة يعقوب	يع
١٦	رسالة بطرس الأولى	١بط
١٧	رسالة بطرس الثانية	٢بط
١٨	رسالة يوحنا الأولى	١يو
١٩	رسالة يوحنا الثانية	٢يو
٢٠	رسالة يوحنا الثالثة	٣يو
٢١	رسالة يهوذا	يهو
٢٢	سفر الرؤيا (رؤيا يوحنا)	رؤ

إذًا، مجموع كتب العهد الجديد التي تؤمن بها الكنائس، ويتعبد بواسطتها مسيحيو اليوم هي ٢٧ كتابًا، وهي تُسمى أيضًا أسفارًا من سفر، وهو الكتاب.

وتوجد كتابات أخرى تُعرف بـ: الأبوكريفيا، وعددها غير محدد، وغير معروف على وجه الدقة. وقد سُميت بالأبوكريفيا؛ لأنها كانت مخفية في فترة ما من فترات تاريخ الكنيسة. وهذه الكتب تنقسم إلى أناجيل، وكتب تاريخية، ورسائل على النحو الآتي:

أناجيل:

التسلسل	الاســم	الرمز
١	إنجيل العبرانيين (كُتب بالآرامية، وبأحرف عبرية)	عب
٢	إنجيل الرسل أو إنجيل الأبيونيين	رسل
٣	إنجيل بطرس (ذكرت فيه قضية "شبِّه لهم" .	بط
٤	إنجيل المصريين	مصر
٥	إنجيل نيقوديموس	نيقو
٦	إنجيل يعقوب (أخو الرب، وأسقف أورشليم).	يع
٧	إنجيل توما	تو
٨	إنجيل فيلبس	فيلب
٩	إنجيل متيا	متيا
١٠	إنجيل برنابا	بر
١١	إنجيل بارثلماوس	بار

التسلسل	الاســم	الرمز
١٢	إنجيل أندراو	أندر
١٣	إنجيل تدايوس	تدا
١٤	إنجيل كيرنثوس	كير
١٥	إنجيل بسيليدس	بسي
١٦	إنجيل فالنتيونوس	فال

وغيرها من الأناجيل التى يناهز عددها العشرون إنجيلاً.

كتب تاريخية

التسلسل	الاســم	الرمز
١	أعمال الرسول بولس	أع بو
٢	أعمال الرسول بطرس (ذكرت قضية "شُبِّه لهم)	أع بط
٣	أعمال الرسول يوحنا (ذكرت قضية شُبِّه لهم)	أع يو
٤	أعمال أندراوس	أع أند
٥	أعمال توما	أع تو
٦	أعمال تدايوس	أع تد

رسائل

التسلسل	الاســم	الرمز
١	رسالة الرسل (توجد في اللغتين القبطية، والحبشية)	رسل
٢	رؤيا بولس	رؤ بول
٣	رؤيا بطرس	رؤ بط
٤	رؤيا توما	رؤ تو
٥	رؤيا يوحنا	رؤ يو
٦	رؤيا اسطفانوس	رؤ اسطف
٧	رؤيا العذراء مريم (والدة الله)	رؤ مري

لقد كانت كتب الأبوكريفيا مخفية، لذا لم تكن متداولة، بل والبعض منها عُرف في فترات لاحقه من تاريخ الكنيسة، إلا أن نصوصها ترجع إلى العصور الأولى للمسيحية تماما كما هي الكتابات المعترف بها اليوم من قِبل الكنيسة.

أما كتب أبوكريفيا العهد العتيق، فلم نذكرها في هذا الكتاب؛ لأن هذا الكتاب يتناول المسيحية، والمسيحيون في فصله الأول. ولكن الفرق بين كتب أبوكريفيا العهد العتيق عن العهد الجديد أن الأولى قد أعترفت بها بعض الكنائس كـ: الكنيسة الكاثوليكية، وضمتها إلى أسفارها تحت عنوان "الكتب القانونية الثانية"، ولا يعني كلمة "ثانية" أنها تأتي في المرتبة الثانية من الكتب القانونية التي اعترفت بها الكنيسة، ولكن معنى كلمة ثانية أي أنها أُكتشفت لاحقًا، ولم تكن معروف لأجيال من المسيحيين في فترة من فترات تاريخ الكنيسة.

وهذه الكتب، لم تُصدق عليها بعض الطوائف ككتب قانونية وموحي بها من عند الله؛ لأنها لم يتم التصديق عليها في المجامع المسكونية المتقدمة، مع أن سفر أستير، وسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي قد تم التصديق عليهما في مجامع متأخرة، وكانا محط جدل عميق حول صحة وحيهما! أما كتب أبوكريفيا العهد العتيق الخاصة بالشعب العبري، فلم يتم التصديق عليها إلا في مجمع جامنيا - هو مجمع يهودي انعقد في مدينة جامنيا - المنعقد سنة ٩٠م. حيث تم رفضها من قِبل اليهود.

ما هي اللغات التي كتب بها العهد الجديد للمسيحيين أي الإنجيل؟

اللغة اليونانية، واللغة الآرامية - اللغة الآرامية: كتبت بها بعض أسفار الأبوكريفا، وكذا انجيل متى -، واللغة العبرية - يقال أن بعض أناجيل الأبوكريفا قد كتب بهذه اللغة -.

كيف نشأت المسيحية؟

استطاع الإسكندر الكبير (المقدوني)، التغلب على مملكة فارس، وفي خلال سنوات قليلة أصبح حاكماً على البلاد الممتدة من اليونان حتى الهند (٣٣١ ق.م.). مات الإسكندر بعد حكم دام مدة ثماني سنوات، إلا أن سفر المكابيين يذكر أن فترة حكم الإسكندر بلغت ١٢ سنة!

على أي حال، سواء كانت ٨ أو ١٢ سنة، انقسمت الإمبراطورية بعد موت الاسكندر بين قواده الأربع. كان بطليموس حاكماً على مصر، ومنه جاء عصر البطالسة، أما سلجوقس فكان حاكماً على سوريا، أما فلسطين فكانت تتأرجح بين مصر، وسوريا كما كان الوضع دائماً في فترات تاريخية مختلفة، فكانت تحت حكم البطالسة فترة، ثم تغير الوضع بالتبادل مع سوريا، وأخيرًا، صارت فلسطين خاضعة

بصورة دائمة في الفترة الأخيرة تحت حكم السلاجقة[1] .

وقد ظهرت في القرن الثالث قبل الميلاد ترجمة لكتب العهد العتيق الإسرائيلية، عُرفت بـ: "الترجمة السبعينية" . وهذا يدل على سيطرة اللغة اليونانية في العالم، ولا سيما الشرق الأوسط آنذاك.

ظهرت في تلك الفترة أيضًا، ديانات سرية، وتوغلت بكثرة في المنطقة، لا سيما في الفترة التي سبقت بالتحديد مجيء السيد المسيح عليه السلام.

ولقد واكب هذه الفترة أعمال، وشعوذات مثل التنجيم، والسحر، والشعوذة. كما سيطرت على الناس كثير من الخرافات. واهتم السواد الأعظم من الهلنيين آنذاك بالفلسفة. وقد يبدو كل هذا غريبًا إلى حد ما، إذ كيف يمكن الجمع بين الفلسفة، والخرافات والشعوذة، في المكان، والزمان الواحد؟! ولا يبدو الأمر غريبًا بالنسبة لفلسفات بشرية؛ وإنما العجب العجاب أن يجتمع اليوم الدين، والله، والفساد، والشعوذات، والخرافات الغيبية في المكان، والزمان الواحد بين أفراد المجتمع، والشعب الواحد، وبين أهل الهلال، وأصحاب الصليب!

لقد سبقت فترة ظهور المسيحية في الشرق الأوسط، فترات اضطهاد وقعت على شعب إسرائيل من قِبل الرومان، عُرفت بـ: الحروب المكابية.

لقد مُنع اليهود من ممارسة طقوسهم الدينية، بعد أن نصب أنطيخوس أبيفانيوس نفسه حاكمًا على سوريا، وفلسطين، وقد أراد أن يخضع جميع رعاياه تحت سيطرة الحضارة اليونانية في تلك المرحلة.

وأبيفانيوس هو لقب أُطلق عليه من قِبل أعداءه، ويعني "المجنون" أي أنطيخوس المجنون!

وقد أمر هذا المجنون أن يُمنع اليهود من ممارسة الختان، وحفظ يوم الرب، وهو يوم السبت، ومنعهم أيضًا من أن يحتفلوا بأعيادهم اليهودية، وأصدر أبيفانيوس

---

(١) لمزيد من المعلومات عن الفترة التاريخية التى سبقت المسيحية يمكن مراجعة سفر المكابيين (سفر المكابيين هو من أسفار الأبوكريفا، أو كما تقول الكنيسة الكاثوليكية: من الأسفار القانونية الثانية، وسميت بذلك ليس لأن هذه الأسفار تأتي في المرتبة الثانية، بل لأنها صارت واعترف بها لتكون أسفاراً قانونية لاحقاً أي بعد الأسفار القانونية الأولى، ويتكون الكتاب من سفرين: الأول: سفر مكابيين الأول، وعدد إصحاحاته = ١٦ إصحاحًا، وسفر مكابيين الثاني، وعدد إصحاحاته = ١٥ إصحاحًا).

المجنون حكمًا بالموت على كل من يمارس هذه الطقوس أو غيرها من الطقوس اليهودية.

وقام بمضايقة اليهود في شئونهم الخاصة، وأقدم أنطيخوس المجنون على ذبح خنزيرًا بريًا على مذبح اليهود في معبدهم، وبهذا التصرف استطاع أن ينجس الهيكل، وأن يوقف العبادة، وأخيرًا، أمر بتحويل المذبح، والهيكل إلى معبد زفس، وهو رئيس الآلهة عند اليونانيين.

من أجل كل هذا، وغيره من الممارسات الشاذة، قامت، واندلعت ثورة المكابيين. فقد رفض أحد اليهود الكهنة، وأسمه متياس، تدنيس هيكل الله بهذه الممارسات، فأقدم على قتل أحد الضباط اليونان عندما كان يُقَدِّم ذبيحة للإله زفس، ثم هرب هو وأولاده الخمسة إلى الجبال.

قام هذا اليهودي الثائر هو وبنيه سمعان، ويهوذا، وأليعازر، ويوحنا، ويوناثان، بثورة ضد أنطيوخس المجنون. انتهت هذه الثورة بتطهير هيكل الله سنة ١٦٥ق.م. على يد يهوذا المكابي الشهير بـ: "المطرقة". ثم دشن الهيكل من جديد، لذا فإن اليهود يحتفلون بهذه الذكري في شهر كانون الأول من كل عام.

وقد ذكر إنجيل يوحنا هذه الواقعة، وأشار إلى هذا الموضوع بالقول: "وجاء عيد التجديد في أورشليم وذلك في الشتاء. وكان يسوع يتمشى في الهيكل"(١).

ثم وُلد يسوع المسيح في تلك الفترة، وبالتحديد بين عامي ٦ - ٤ قبل الميلاد، والسبب يعود في ذلك إلى حادثة قتل الأولاد التي قام بها أرخيلاوس القائد الروماني، وكانت في هذه المرحلة.

أذًا، لسنا الآن نعيش في العام ٢٠٠٨م كما يعتقد كثير من المخدوعين؛ وإنما نعيش في العام ٢٠٠٢م أو ٢٠٠٣م. إنه عالم صغير من الكذب، كعالم جحا الذي كذب على الآخرين ثم صدق كذبته. ولا يستطيع أحد اليوم أن يجرأ على تغيير هذه التواريخ حتى الفاتيكان، وقداسة البابا بنفسه لا يقدر على هذا مع علمه بأن هذا التاريخ غير صحيح، وأن مولد المسيح عليه السلام، قد حدث في الفترة الزمنية المشار إليها آنفًا!

(١) يو ١٠: ٢٢.

عاش يسوع المسيح ٣٠ سنة على الأرض قبل أن يبدأ خدمته، لم يعرف المسيحيون عنها إلا النذر اليسير، وقد بدأت خدمته الفعلية في سن الثلاثين، وصُلب بحسب رواية الإنجيل عندما كان عمره ٣٣ سنة.

وأهم أسباب انتشار المسيحية بحسب رأي الكاتب، هو انتشار اليهود في أماكن كثيرة من العالم، بعد تفرقهم في البلاد نتيجة حادثة تدمير هيكل أورشليم سنة ٧٠م على يد تيطس الروماني. ولم يرد اليهود العودة إلى أرضهم لأسباب كثيرة، وأهمها انشغالهم بأعمال التجارة، حتى سيطروا رويداً، رويداً على الكثير منها، وأصبحت لهم اليد الطولى في شئون التجارة العالمية.

ونتيجة لدمار الهيكل، فقد ظهر في سنة ٩٠م، حاخامات متخصصون في الدراسات الناموسية بصورة واضحة، وربما يكون ذلك مرده إلى توقف عمل الكهنة، وتوقف تقديم الذبائح في الهيكل بعد تدميره. وقد تأسست في مدينة جامنيا من العام ٩٠م مدرسة لتعليم الناموس، وبذلك حل تدريس الناموس - أي التوراة العبرية-، والأعمال الصالحة والأخلاق الجيدة محل تقديم الذبائح في العبادة اليهودية إلى يومنا هذا حتى يتم إعادة بناء هيكل أورشليم المفقود.

وقد كان بولس الرسول المعروف بـ: شاول الطرسوسي من اليهود، ومن المؤسسين الرئيسيين للديانة المسيحية، وله ١٣ رسالة أو أكثر بحسب الجدل اللاهوتي حول الرسالة الرابعة عشر أي "الرسالة إلى العبرانيين" .. هل كتبها بولس الرسول أم لا؟ هذه الرسائل مجتمعة قد ذكرتها كتب العهد الجديد. وكان جل تلامذة المسيح الأثنا عشر من اليهود. ولذلك ساهم اليهود بصورة رئيسة في انتشار المسيحية في تلك المرحلة.

وسبب آخر في انتشار المسيحية من وجهة نظر الكاتب هي الاضطهادات المتلاحقة على المسيحية لفترات طويلة استمرت زهاء ثلاثة قرون حتى مرسوم "المسامحة الدينية" المعروف بإسم "مرسوم ميلانو" سنة ٣١١م.

أما السبب الثالث، وليس الأخير في انتشار المسيحية هو الحرب التي خاضها قسطنطين الملك.

لقد خاض قسطنطين الملك حربه الضروس ضد خصمه اللدود ماكيسينتيوس عام ٣١٢م الذي كان يريد أن ينازعه الحكم. لم يكن قسطنطين مسيحيًا، ولكن أمه كانت مسيحية وتُدعى "هيلانة". وقد ساعده المسيحيون في هذه الحرب، ووقفوا معه بسيفهم على أعدائه، وكان له الانتصار الساحق. وقد استعمل اشارة الصليب كشعار، وتعويذة رفعها هو، ومحاربيه، وأنصاره من المسيحيين الذين خاضوا الحرب معه ضد خصومهم. وهذه كانت نقطة تغير جوهرية في الحياة المسيحية؛ لأن قسطنطين بعد انتصاره في الحرب، فرض المسيحية كدين رسمي للدولة في تلك المرحلة.

إذًا، فالمسيحية دين قد انبنى على كتابات العهد الجديد، وقد عرفنا مما تتكون هذه الكتابات. وانبنى دين المسيحية أيضًا على مقررات المجامع المسكونية التي انعقدت إبان الاختلافات اللاهوتية بين الكنائس الناشئة آنذاك. وانبنى دين المسيحية أيضًا على التقليد، وسلطة الكنيسة، وقراراتها بالنسبة للكنائس الكاثوليكية، والأرثوذكسية. لذلك من الضروري فهم أهم المشاكل اللاهوتية التي دارت حولها المناظرات، والمساجلات في المجامع المسكونية، وما معنى كلمة مجمع مسكوني؟ ولماذا توقفت المجامع المسكونية، ولم يعد بالإمكان على المسيحيين عقد مجمع مسكوني؟! إن هذا ما سوف نبينه في المبحث الآتي.

المجامع المسكونية والعقائد المسيحية

تشكلت العقائد في المسيحية عبر سلسلة طويلة من الصراعات اللاهوتية، ومن بين هذه الصراعات "المجامع المسكونية، وهي على النحو الآتي:

١) مجمع نيقية الأول:

عُقد هذا المجمع في سنة ٣٢٥م، وقد كان مديرًا لهذا المجمع الامبراطور الشهير قسطنطين بعد أن تنصر بوقت قصير - ٣ سنوات - قبل بداية هذا المجمع.

وأهم المقررات والموضوعات التي ناقشها هذا المجمع، وخرج بها في توصياته النهائية هي:

إدانة البدعة الآيوسية التي لا تعترف بأن طبيعة المسيح عليه السلام، هي من طبيعة وجوهر الله الآب. وقد صرح هذا المجمع بكامل لاهوت المسيح بموافقة عدد من الأساقفة الحضور بـ: ٣١٨ أسقف من أصل ٢٠٠٠ أسقف هو العدد الحصري الذي سُجل في هذا المجمع.

وحتى لا يلتبس على القارئ فهم هذه القضية، فيخرج من قراءة هذا المبحث بخفي حنين؛ وكأن الـ: ٣١٨ أسقف قد تفوقوا على ١٦٧٢ أسقفًا بسبب ترأس الامبراطور قسطنطيين المجمع الأول. لا، هذا لم يحدث؛ وإنما السبب يعود إلى أن الأغلبية هي ٣١٨ من أصل ٢٠٠٠ أما البقية من الألفين لم تكن موحدة الرأي بل فرق يناهض بعضها بعضا. لذلك لم تجتمع الأغلبية إلا فيما ذكرت.

وقد أيد الامبراطور قسطنطين قرارات المجمع التي نصت بالتصريح الكامل للاهوت المسيح، وأزليته، وأن جوهر الابن يسوع هو من جوهر الله الآب.

كما كان من مقررات مجمع نيقية الأول أن لا خلاص لأحد خارج الكنيسة الكاثوليكية. وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن كل الكنائس خارج الكاثوليكية هي كنائس هرطقات.

٢) مجمع قسطنطينية الأول:

عُقد هذا المجمع في سنة ٣١٨م، وترأس هذا المجمع الامبراطور ثيودوسيوس الأول.

وأهم المقررات، والموضوعات التي ناقشها هذا المجمع هي:

التصريح في هذا المجمع بـ: كامل ناسوت المسيح، والتساوي في الجوهر مع لاهوته، والتمييز في ذلك بين الأقانيم الثلاثة.

وتم أيضًا في هذا المجمع الاعتراف الكامل بـ: لاهوت الروح القدس الرب المحي. وأن هذا الروح القدس هو منبثق من الآب فقط.

تنبيه: لم يكن في هذا المجمع ثمة قول بأن الروح القدس - الأقنوم الثالث من الأقانيم المقدسة - هو منبثق من الآب، والابن، ولم يتم هذا إلا في القرن الثامن عندما أضافت الكنيسة الكاثوليكية كلمة "والابن" إلى قانون الإيمان، ولم توافق الكنائس الآرثوذكسية على هذه الإضافة.

وها هو نص القانون النيقاوي الذي تؤمن به معظم الكنائس المسيحية بعد تعديلات أُدخلت عليه إلا أن بعض الكنائس تتحفظ على ما ورد فيه رغم التعديلات، وتتبع قانون إيمانها الخاص. ويجب ملاحظة أن هذا القانون النقاوي نسبة إلى مجمع نيقية الأول، مع أن هذا القانون تم صياغته عبر ردح طويل من الزمن، وليس في مجمع نيقية فقط كما يتصور بعض العامة من المسيحيين.

قانونُ الإيمان النيقاوي ـ القسطنطيني

٣٢٥ و ٣٨١ م

١ - أومنُ بإلهٍ واحدٍ آبٍ ضابطِ الكلِّ خالقِ السّماءِ والأرض وكلِّ ما يُرى وما لا يُرى.

٢ - وبربٍّ واحدٍ يسوعَ المسيحِ ابنِ اللهِ الوحيدِ المولودِ منَ الآبِ قبلَ كلِّ الدهور، نورٌ من نور، إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقّ، مولودٌ غيرُ مخلوق، مُساوٍ للآبِ في الجوهر، الذي بهِ كلُّ شيء

٣ - الذي من أجلنا نحنُ البشر ومن أجلِ خلاصنا نزلَ منَ السّماءِ وتجسّدَ منَ الرّوحِ القدُسِ ومن مريمَ العذراء وتأنّس

٤ - وصُلِبَ عنّا على عهدِ بيلاطسَ البنطي وتألَّمَ وقُبِرَ

٥ - وقامَ في اليومِ الثالثِ على ما في الكتب

٦ - وصعدَ إلى السّماءِ وجلسَ عن يمينِ الآب

٧ - وأيضاً يأتي بمجدٍ ليَدينَ الأحياءَ والأمواتَ الذي لا فناءَ لملكه

٨ - وبالرّوحِ القدُسِ الرّبِّ المُحيي، المُنبثقِ منَ الآبِ (والابن) الذي هو مع الآبِ والابنِ مسجودٌ لهُ وممجَّد، الناطقِ بالأنبياء

٩ - وبكنيسةٍ واحدةٍ جامعةٍ مقدّسةٍ رسوليّة

١٠ - وأعترفُ بمعموديّةٍ واحدةٍ لمغفرةِ الخطايا

١١ - وأترجّى قيامةَ الموتى

١٢ - والحياةَ في الدهرِ الآتي. آمين.

أضيفت كلمة «والابن» سنة ٥٨٩ في مجمع توليدو في إسبانيا ثم انتشرت في الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية في القرنين التاسع والعاشر

ملحوظة: ربما لا يمكن قراءة ما هو مكتوب في نهاية القانون بسبب صغر الخط من جهة، وربما بسبب عدم وجود إمكانية لدى قارئ الكتاب من تكبير صفحات الكتاب. أما نص الحاشية فكان على النحو الآتي:

«أضيف كلمة الابن سنة ٥٨٩ في مجمع يوليدو في أسبانيا ثم انتشرت في الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية في القرنيين السابع والثامن» انتهى الاقتباس.

وقد اعترضت الكنائس الأرثوذكسية على حرف العطف "و"؛ لأنه لا يمكن للروح القدس أن ينبثق من الآب، ومن الابن لتعدد العلة هَهنا، وهذا غير جائز!

ولذلك تم تعديل هذا النص في فترة حديث لاحقة، وجعلوا قانون الإيمان على النحو الآتي:

«المنبثق من الآب بالابن». فجاء حرف الباء ليزيل هذه المشلكة، ويحل هذه العقدة، ويصالح الكنائس الكاثوليكية مع الكنائس الأرثوذكسية.

هذا ولم يكن في القرنين السابع، والثامن شيء اسمه البروتستانتية؛ لأن البروتستانتية ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي. فهذا خطأ تاريخي قد احتوت عليه الوثيقة المشار إليها آنفًا!

ومن الكنائس التي تحفظت على قانون الإيمان هذا - بسبب ما ورد عن الروح القدس من أنه منبثق من الآب، والابن - الكنائس الأرثوذكسية التي لها قانونها الخاص، وينص على ما يأتي:

بالحقيقة نؤمن بإله واحد، الله الآب، ضابط الكل، خالق السماء، والأرض. ما يُرى وما لا يُرى.

نُؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآبّ قبل كلّ الدهور؛ نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كلّ شيء.

هذا الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسّد من الروح القدس. ومن مريم العذراء تأنس، وصُلِب عنّا على عهد بيلاطس البنطي. تألّم وقُبِر وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد في السموات، وجلس عن يمين أبيه، وأيضا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه إنقضاء. نعم نؤمن بالروح القدس، الرب المُحي المنبثق من الآب. نسجد له ونمجده مع الآب والابن، الناطق في الأنبياء. ونؤمن بكنيسة واحده مقدسة جامعة رسولية. ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي. آمين.

٣) مجمع أفسس:

عُقد هذا المجمع المسكوني في مدينة أفسس سنة ٤٣١م. وقد ترأس هذا المجمع الشهير الامبراطور ثيودوسيوس الثاني.

وأهم مقررات، وموضوعات هذا المجمع التي تمت مناقشتها بين الحضور هي:

هل كان للسيد المسيح طبيعة واحدة أم كان له طبيعتان؟

لقد احتدم الصراع، والنقاش بين الحاضرين حتى إن أحدهم قال: هل تريدون تجزئة السيد المسيح؟!

لقد رفض نسطوريوس القول بـ: "والدة الله" الذي يُطلق على القديسة مريم من قبل الكنيسة اليوم، وقد فند نسطوريوس هذا الإدعاء بالقول: كان يمكن أن تكون العذراء مريم والدة المسيح بالجسد أي إنها أم لـ: ناسوت المسيح؛ ولكن أنى تكون السيدة العذراء والدة الإله، وهي تتشارك معنا باللحم والجسد، والدم، والماء؟!

فلا يمكن للعذراء أن تشترك مع السيد المسيح في الطبيعة الإلهية!

إذًا، فالمسيح عليه السلام، له طبيعتان هما: ناسوت، ولاهوت.

ثم ناقش المجمع قضية: هل ناسوت المسيح متحد بلاهوته أم هما منفصلان؟

وإذا لم يكن ثمة اتحاد بين لاهوت، وناسوت المسيح، فلا يلزم بالضرورة أن ندَّعي أو نُسمي العذراء مريم بـ: "والدة الله"؛ لأنها هي والدة الناسوت فقط.

لكن المجمع صرح في النهاية بكامل وحدة شخص السيد المسيح. وهذا يعني أن الله، والإنسان في واحد هو شخص يسوع المسيح.

٤) مجمع خلقدونية:

عُقد هذا المجمع في مدينة "خلقدونية" سنة ٤٥١م برعاية وحضور مرسيان.

إن أهم مقررات، وموضوعات النقاش التي طُرحت في هذا المجمع كانت على النحو الآتي:

أثار أوطيخة عدة تساؤلات، كان من بينها: هل جسد يسوع المسيح هو من طبيعة، وجوهر الله أم من طبيعة، وجوهر أجسادنا البشرية الفانية؟!

وهل للسيد المسيح أقنوم واحد، وطبيعة واحدة أم أقنومان، وطبيعتان؟!

لقد كان الجدل بين الكنائس في هذه المرحلة على أشده، وحمي الوطيس بينها، وكان كل طرف يحاول أن يبرهن صحة أقواله بحجج، وبراهين منطقية، ويأتي بنصوص لاهوتية من الإنجيل ليفسرها بحسب ما يعتقده هو.

ومن أجل أن نفهم طبيعة هذه الصراعات، وجوهرها في داخل الدين الواحد. علينا أن نعود إلى بعض الكتابات الحديث في تاريخ الكنيسة القديم، ولا سيما كتابات أسد رستم، في تاريخ الكنائس الشرقية، وكتابات كنيسة الله أنطاكيا، وكذا كتابات خريسوستمس بابا دو بولس: أستاذ التاريخ بجامعة أثينا[1] . وقد أدى الصراع الديني هذا إلى تكريس الانشقاق الكبير الذي حدث سنة ١٠٥٤م بين الكنيسة الشرقية، والكنيسة الغربية.

لقد بدأت الانشقاقات الفعلية لكنائس المسيح ابتداءً من مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م. ولا تعترف الكنائس الأرثوذكسية بمقرارات هذا المجمع الخلقدوني. ولا يُنكر أي باحث أن الخلافات قد بدأت وتأصلت من مجمع نيقية الأول، ووصلت إلى ما وصلت عليه اليوم من شقاق بين أبناء الكنيسة الواحدة!

لقد أقدمت كل كنيسة من كنائس الميسح على دعم حجتها ببراهين، وأمثلة، وشروحات مستفيضة، ومن بين هذه الأمثلة:

تشبه علاقة لاهوت المسيح بناسوته بقطرة من الخمر قد ألقيت في بحر أو محيط. هل يبقى منها شيء؟ إن المحيط أو البحر سوف يبتلعها بطبيعة الحال. هكذا ما حدث تمامًا لـ: ناسوت المسيح بالنسبة للاهوته. فقد ابتلع اللاهوت الناسوت. إنه سر التجسد.

وَشَبَّه آخرون علاقة لاهوت السيد المسيح بناسوته بخلط الماء مع الزيت، فلا يبتلع أحدهما الآخر، ويبقى لاهوت، وناسوت المسيح كما بقى الزيت من الماء. والبقاء هَهنا يكون مميزًا، فالمسيح هو إنسان كامل يأكل، ويشرب، وينام، ويغوط، ويغضب، ويبكي، ويعطش، ويتألم، وغيرها من شئون الحياة البشرية.

أما لاهوت السيد المسيح له كل المجد، فحاشا أن ينام أو أن يسهو أو يتبول أو أن يتغوط أو أن يأكل من الموجودات البشرية أو أن يجوع أو يعرى أو ما شابه ذلك من

---

(١) بولس، خريسوستمس بابا دو: أستاذ التاريخ بجامعة أثينا، *تاريخ كنيسة انطاكيا*، تعريب: الأسقف أستفانس حداد، منشورات النور، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

أفعال الخلق الضعيفة الواهنة المحتاجة دائمًا إلى آخر خارج عنها. والغني لا يفتقر إلى موجوداته!

أما اللاهوت فهو الشافي، والعافي، الكافي، وهو الذي يُقيم الموتى، وغيرها من المعجزات التي اجترحها يسوع المسيح أثناء وجوده على الأرض، وهي لها علاقة مباشرة بأعمال الآلهة، ولا يقدر الإنسان العادي على القيام بمثل هذه الأفعال.

ملحوظات:

ترأس القديس لاون أسقف روما هذا المجمع، أي "مجمع خلقدونية"، وكان من أهم مقررات هذا المجمع:

١ . أُشترط الحاضرون في نهاية جلساتهم على أن لا يتم انعقاد أي مجمع مسكوني مُقبل إلا بعد أن يترأسه أسقف روما، وإلا فلا يُعتبر المجمع مسكونيًا، وتنتفي عنه صفة المسكونية - اي العالمية -، وقد وافق الحضور على ذلك عدا المنشقين عن المجمع، ومنهم الكنيسة الأرثوذكسية.

٢ . يُعد هذا المجمع من المجامع الهامة جدًا، والسبب في ذلك يعود لِما حدث فيه من نتائج على صعيد الكنيسة، والتغيرات التي آلت، وأدت إلى بعض الانقسامات داخل صفوف الكنيسة.

فقد انقسمت الكنائس، ولم تعد المسيحية قائمة في طائفة أو مذهب واحد. وما تعتبره كنيسة هرطقة - أي: بدعة -، تعتبره الكنيسة الأخرى تعاليم مستقيمة.

ثم انتشرت هذه الهرطقات - أي: البدع بحسب وجهة رأي الطرف المغاير أو الخصم -، وهي ليست هرطقات؛ وإنما إيمان كنائس صارت فيما بعد من الكنائس الرئيسة في الحياة المسيحية، انتشرت هذه كلها في البلدان العربية، ولا سميا في جزيرة العرب.

٣ . اتخذ المجمع قرارًا يقضي بأن تكون البطركيات الخمس "متساوية في القرار"، لكن هذا لم يحدث لسبب أو لآخر أي إن البطركيات الخمس لم تكن متساوية في القرارات المتخذة، ولهذا تكرس الإنشقاق أكثر مما كان عليه سابقًا.

أما البطركيات الخمسة فهي على النحو الآتي:

١) روما القديمة (رومة).

٢) روما الجديدة (القسطنطينية).

٣) أورشليم (القدس).

٤) أنطاكيا (أنطاكية).

٥) الإسكندرية.

وكلمة بطريكية تشير إلى مجموعة من الكنائس تقع في منطقة جغرافية، وتتشارك الإيمان عينه.

٥) مجمع قسطنطينية الثاني:

عُقد هذا المجمع في القسطنطينية سنة ٥٣٣م، برعاية الامبراطور يوستيانوس الأول.

أما أهم مقررات، وموضوعات هذا المجمع التي تم في ذلك الوقت وضعها على جدول الأعمال، وعلى بساط البحث بين المؤتمرين فجاءت على النحو الآتي:

لقد احتدم الصراع في ذلك الوقت بين الكنائس المتنوعة على ما عُرف بـ: "المونوفيزية" فماذا تعني هذه الكلمة بالنسبة للمسيحيين؟

لا زال الصراع يتمحور حول طبيعة المسيح عليه السلام، هل له طبيعة واحدة، وأقنوم واحد أم لشخص السيد المسيح طبيعتين، واقنومين؟!

تنبيه: من هنا انطلقت الشرارة القاتلة في انقسام الكنائس فيما بينها، فمن منهم كان يؤيد الطبيعة الواحدة في المسيح يسوع، وقف في وجه الكنائس التي تؤمن بالطبيعتين.

والكنائس التي أيدت القول بالمونوفيزية، أي: المسيح له طبيعة واحدة، وجوهر واحد هي:

١) كنيسة الإسكندرية (الكنيسة القبطية).

٢) كنيسة أنطاكيا.

٣) كنيسة القسطنطينية.

٤) كنيسة الأرمن.

أما الكنائس التي قالت بالطبيعتين أي طبيعة اللاهوت، وطبيعة الناسوت في الشخص الواحد، فهي على النحو الآتي:

١) كنيسة روما.

٢) كنيسة أورشليم.

٣) كنيسة القسطنطينية (اليونان).

إذاً، لم يكن الموضوع سهلاً على الكنيسة، ولا على المسيحيين، ولكن بفضل هذه المجامع، تشكلت هذه الكنائس، وتأسس وجودها في العالم العربي قبل بداية ظهور الإسلام بزمن هذا مقداره.

ملحوظة: عُقد في سنة ٥٨٩م مجمع يوليدو برعاية الكنيسة الكاثوليكية في أسبانيا. من أهم مقررات هذا المجمع الكنسي أنهم أضافوا إلى قانون الإيمان كلمة "والاب" أي أن الروح القدس منبثق ليس من الآب فقط؛ وإنما من الابن أيضًا.

٦) مجمع القسطنطينية الثالث:

عُقد هذا المجمع في القسطنطينية سنة ٦٨١ بحضور قسطنطين بن يوغونا توس.

إن أهم مقررات، وموضوعات النقاش التي دار حولها المجمع تتلخص في الآتي:

تركز النقاش في هذا المجمع حول قضية "المونوثيلية"، وهو مصطلح كنسي في التاريخ المسيحي يعني الإرادة الواحدة في المسيح يسوع.

لقد احتدم الصراع الديني حول إرادة السيد المسيح. فإذا كان يسوع المسيح له طبيعة إنسانية، وطبيعة إلهية، فهل لـ: يسوع المسيح إرادة ومشيئة واحدة إم إن له إرادتان ومشيئتان أي إرادة إنسانية، وإرادة إلهية؟! وهل تغلبت احدى الإرادتين على الأخرى؟!

أي أن المسيح عليه السلام، له مشيئة إنسانية، ومشيئة إلهية .. فالمسيح يحتوى في داخله على نفس إنسانية، وهذه النفس الإنسانية هي التي تقرر أعماله من جهة أفعال الخلق على نحو أن: يغضب، ويثور، وينفعل كسائر المشيئات الإنسانية! وأين كانت المشيئة الإلهية؟

هل المشيئة الإلهية في المسيح يسوع منعت أو لم تسمح للمشيئة الإنسانية بالعمل التام كإنسان؟ لأن المسيح كونه ابن العذراء مريم من جهة الجسد، يلزم بالضرور أن تكون له مشيئة واحدة إلاهية، وله طبيعتان: إلاهية، وإنسانية كما يتصور أصحاب هذا الرأي في كل خلافاتهم اللاهوتية.

تنبيه: لقد تفرع النقاش في هذه المجامع، ودخل في سجال عميق حول قضايا مثل "الخرستولوجي"، وغيرها من القضايا، ولكننا ذكرنا في هذا الكتاب أهم الأمور التي ناقشتها هذه المجامع، وكانت السبب في خلافاتها الجوهرية؛ لأن قضايا حول "الاسختولوجي" على سبيل المثال، لا تسبب بحال من الأحوال كل هذه الإنقسامات إذا عرفنا أن الاسختولوجي يختص بالأمور الأخيرة - أي يوم القيامة بحسب المفهوم الإسلامي - وما يحدث فيها، وقبلها من اختطاف المؤمنين، وقيامة القديسين، والأشرار.

إن ما يهم موضوعنا هذا هو: هل في المسيح قوة فاعلة واحدة "مونوإنرجية"، أم قوتان فاعلتان في الأقنوم الواحد "أقنوم الابن"؟

٧) مجمع نيقية الثاني:

عُقد هذا المجمع في مدينة نيقية سنة ٧٨٧م، وكان برعاية، وتحت إشراف الامبراطورة إيرني، وبحضورها شخصيًا مع ابنها قسطنطين، وبحضور الامبراطور لاون الثالث.

أما أهم مقررات، وموضوعات المجمع التي دار حولها الجدل فكانت على النحو الآتي:

انشغل هذا المجمع بقضية "الأيقونات المقدسة". وهل ينبغي على المؤمن المسيحي السجود للأيقونات المقدسة - أي: تمثال العذراء مريم أو أيقونات القديسين الموجودة في صورة تماثيل صغيرة داخل الكنائس، وغيرها من الأماكن المسيحية كالمزارات -؟ وهل يندرج هذا السجود للأيقونات في عبادة المسيحي اليومية، ويدخل في طقوسها؟ أو هل يُعتبر هذا انحراف عن العقيدة الصحيحة، وتعبد لغير الله؟!

لقد قرر هذا المجمع من دون تردد، وبعد سجالات مريرة بين الحاضرين على: تكريم الأيقونات المقدسة، والسجود لها، والتعبد بها على عكس مجمع القسطنطينية الخامس الذي أنكر تقديس الأيقونات أو التعبد بواسطتها، والسجود لها؛ بل وأدان

من يقوم بمثل هذه الأعمال.

وقرر المجمع أيضًا لعن كل مسيحي ينبذ التقليد الكنسي المكتوب أو غير المكتوب. ولهذا دخل التقليد في التشريع الكنسي.

تلك كانت أهم، وأبرز المجامع المسكونية، أما المجامع التى عُقدت في الألف الثاني للميلاد، فلم يتم الإعتراف بها من قِبل جميع الكنائس عدا بعض المحلية منها؛ لأنها لم تكن ممثلة - أي كل الكنائس - في هذه المجامع، بعد الإنشقاق الكبير الذى حدث بين الشرق والغرب في منتصف القرن الحادى عشر (١٠٥٤م).

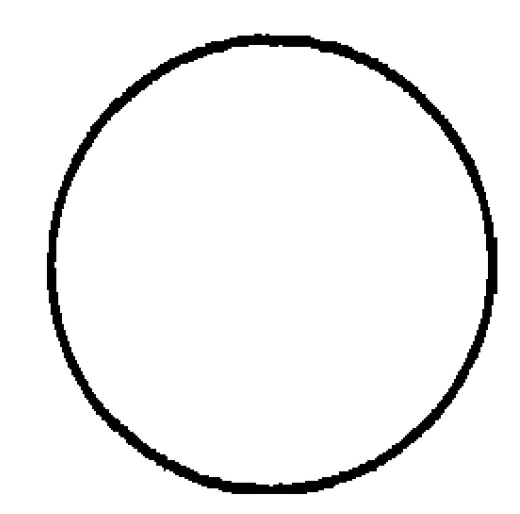
هناك مجامع كنيسية كثيرة قد عُقدت في التاريخ المسيحي، لكن طوائف مسيحية كثيرة لم تعترف بها على أنها "مجامع مسكونية"؛ لأنها أي المجامع لا تمثل إلا طائفة مسيحية واحدة كالكاثوليكية مثلاً أو الأرثوذكسية مع غياب باقي الطوائف المسيحية الأخرى. ومن هذه المجامع المسيحية التي تُعد على أساس أنها مجامع كنيسية محلية وليست عالمية "مسكونية" هي: مجمع القسطنطينية الرابع (الأرثوذكس ٦٩١م)، ومجمع القسطنطينية السادس (الكاثوليك ٨٦٩ - ٨٧٠م)، ومجمع القسطنطينية السابع (الأرثوذكس ٨٧٩م)، والمجمع اللاتيراني الأول (الكاثوليك ١١٢٣م)، والمجمع اللاتيراني الثاني (الكاثوليك ١١٣٩م)، والمجمع اللاتيراني الثالث (الكاثوليك ١١٧٩م)، والمجمع اللاتيراني الرابع (الكاثوليك ١٢١٥م)، ومجمع ليون الأول (الكاثوليك ١٢٤٥م)، ومجمع ليون الثاني (الكاثوليك ١٢٧٤م)، ومجمع فينا (الكاثوليك ١٣١١ - ١٣١٢م)، والمجمع القسطنطيني الثامن (الأرثوذكس ١٣٤١، ١٣٤٧، ١٣٥١م)، ومجمع كوستانس (الكاثوليك ١٤١٤ - ١٤١٨م)، ومجمع بازيليا، وفيرارا، وفلورنس، وروما (الكاثوليك ١٤٣١ - ١٤٤٠م)، والمجمع اللاتيراني الخامس (١٥١٢ - ١٥١٧م)، والمجمع التردنتيني (الكاثوليك ١٥٤٥ - ١٥٦٣م)، والمجمع الفاتيكاني الأول (١٨٦٨ - ١٨٧٠م)، والمجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م).

ومن الملاحظ أن الكنيسة الأرثوذكسية قد انفردت بجل المجامع القسطنطينية نظرًا لوجود البطركية الأرثوذكسية، ومقرها القسطنطينية.

من هذه المجامع المسكونية الرئيسة السالفة الذكر، وعددها سبعة مجامع - أي من مجمع نيقية الأول إلى مجمع نيقية الثاني -، يمكن لنا أن نكون صورة عامة عن طبيعة الآراء التي وردت في هذه المجامع، والخاصة بـ: لاهوت، وناسوت يسوع

المسيح. وهذه الآراء يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

نفرض أن "الطبيعة الإلهية" تتمثل بهذا الشكل:

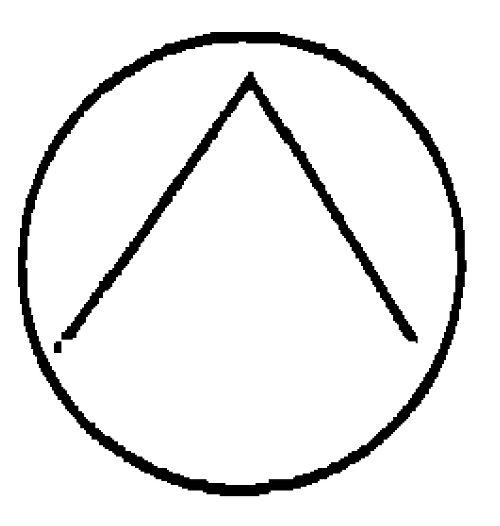


ونفرض أن "الطبيعة الإنسانية" تتمثل بهذا الشكل:



أولاً: الكنائس الكاثوليكية:

إن الكنائس الكاثوليكية يتبنون الإيمان المبني على الإيمان بالطبيعة الإنسانية في المسيح يسوع التي دخلت قلب اللاهوت حيث أن السيد المسيح له طبيعتين واضحتين، ولم يعد أمامنا إلا رؤية هذه الصورة، وفيها يبدو التمايز واضحًا بين اللاهوت، والناسوت:

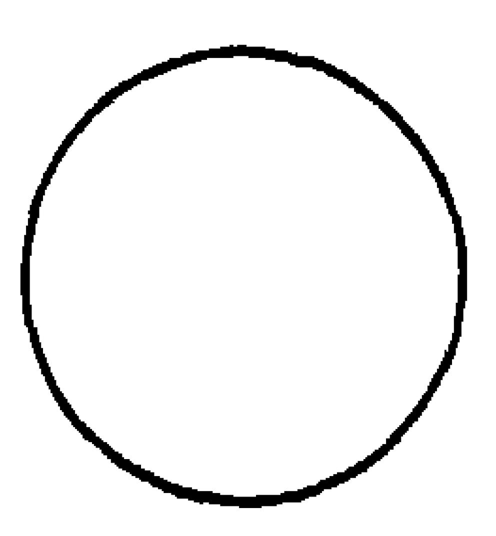


أي، إن اتحاد الطبيعة الإلهية في المسيح يسوع بطبيعته الإنسانية صار سر من أسرار الثالوث لا يمكن إدراك جوهره، ولكن التقرب إلى معانيه بالأمثلة، والشروح المستفيضة، ومع ذلك فإن الاتحاد هذا يبقى كما هو حادث بين الماء، والزيت، فيبقى كل واحد منهما محتفظ بخواصه من دون زيادة أو نقصان.

ثانيًا: الكنائس اليعقوبية، ومنها الكنائس الأرثوذكسية:

آمنت الكنائس اليعقوبية بلاهوت المسيح اللا متناهي، والذي استطاع أن يبتلع الناسوت كما تبتلع مياه البحر نملة تسير على شواطئه، فلا يعود لها تمايز أو وجود

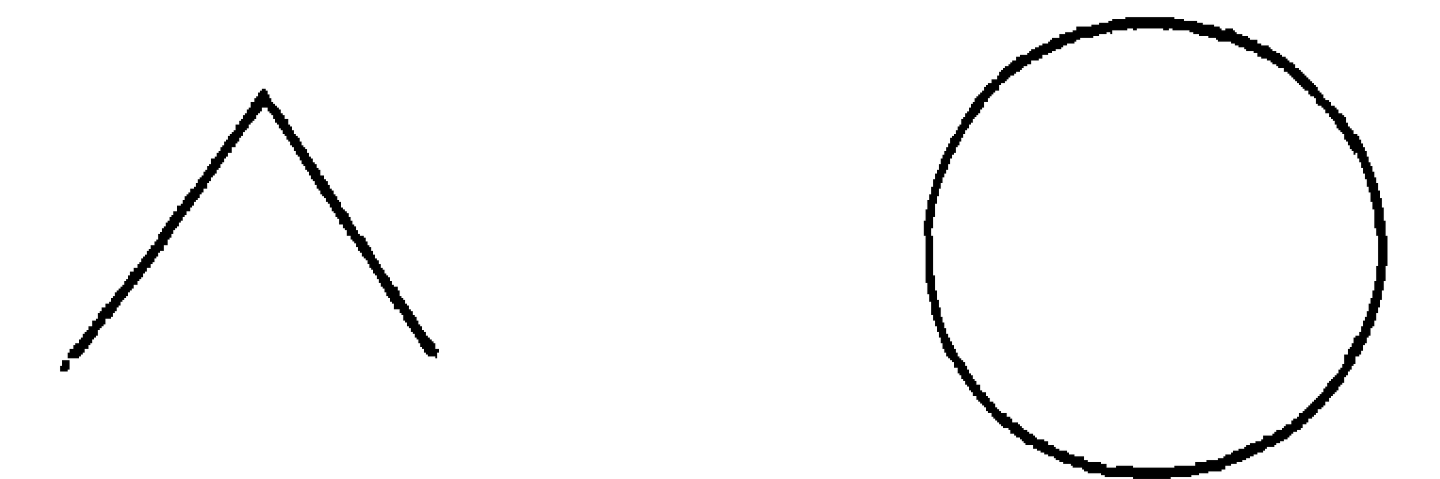
داخل هذا اللاهوت، وكما يبتلع البحر قطرات الخمر المتساقطة فيه، والصورة تتحول إلى:



وبهذا الإيمان، تكرس الفكر اليعقوبي الذي أكد على أن الطبيعة الإلهية في المسيح يسوع، قد ابتلعت الطبيعة الإنسانية فيما يُعرف بـ: المونوفيزية.

ثالثًا: النساطرة، والنسطوريون نسبة إلى نسطوريس:

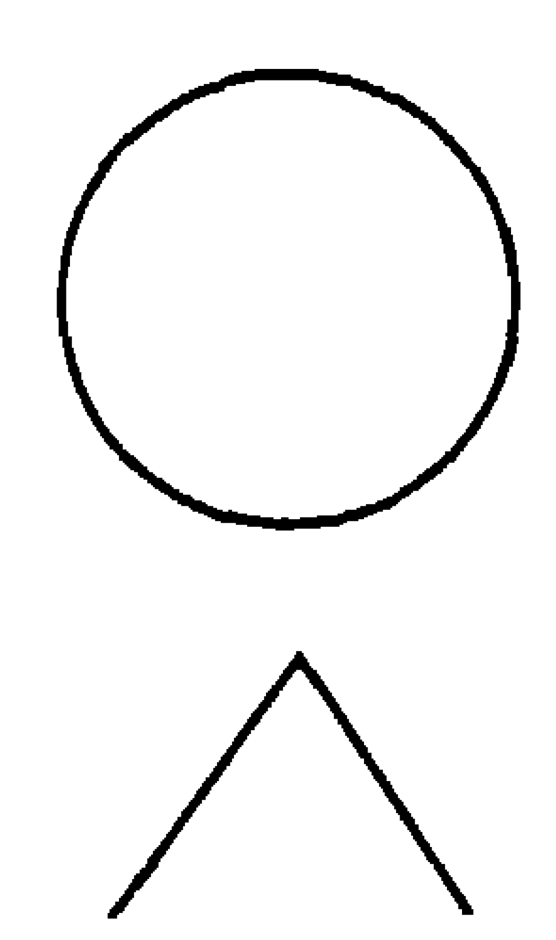
لا يمكن أن يحدث أي نوع من الاتحاد أو الموائمة بين طبيعة إلهية، وطبيعة بشرية! فأي خلط بينهما أو مزج أو اتحاد أو أي وصف كان لا يمكن أن يحدث بأي حال من الأحوال، وأن كل طبيعة لها خصوصياتها، ونحن نُدرك، ونفهم الطبيعة البشرية، ولكن أنى لنا أن نُدرك، ونفهم الطبيعة الإلهية. لذلك قرر النسطوريون في إيمانهم أن تبقى كل طبيعة مستقلة استقلالاً تامًا، لا تداخل بينهما بأي حال من الأحول، وهذه هي الصورة المعبرة عن إيمانهم:



فالطبيعة الإلهية عند النسطوريين، هي منفصلة تمامًا عن الطبيعة الإنسانية.

رابعًا: الآريوسيون، والآريوسية:

لم يكن أصحاب آريوس يؤمنون بأن المسيح هو مساوي لله الأب في الجوهر؛ وإنما آمنوا منذ البدء بأن المسيح يسوع، هو عبد مخلوق، في مصاف الأنبياء، والرسل، ولكن طبيعيته أقل من طبيعة، وجوهر الله، وهذه هي الصورة التي يمكن أن توضح هذه العلاقة، حيث يأتي اللاهوت أي الله في المرتبة الأعلى عن ناسوت الخلق:



إذًا، فالآريوسيون، يؤمنون بأن طبيعة المسيح يسوع هي أقل من طبيعة الله من دون جدال؛ لأن الأول قد خلق الثاني، ولا يمكن أن تكون طبيعة المخلوق ندًا لطبيعة الخالق.

ما هي أهم الكنائس التي وصمت في بعض المجامع بأنهم هراطقة - أي: أهل بدع -، ولكن تكرست هذه الكنائس فيما بعد كـ: كنائس إيمان مُعترف بها، وهذه الكنائس تُعرف بـ: "الكنائس المونوفستية" (المونوفيزية) أو "الكنائس اليعقوبية"، وقد تكرس هذا الانشقاق في مجمع خلقدونية الشهير سنة ٤٥١م. وأهم هذه الكنائس هي:

١) كنائس مصر.

٢) كنيسة الحبشة.

٣) كنيسة أرمينيا.

٤) وقسم من كنائس سوريا.

هذا هو باختصار مفهوم المسيحية، والمسيح يسوع بحسب القراءة المسيحية من خلال نصوص العهد الجديد، ومن خلال المجامع المسكونية التي انعقدت خلال الألفية الأولى.

ويتعبد المسيحي في "الكنيسة" كما يذهب المسلم إلى الجامع أو المسجد أو الزاوية، فما هي الكنيسة؟

"كنيسة": لم ترد في أي من الأناجيل الأربعة كلمة "كنيسة"، إلا في الإنجيل بحسب القديس متى، إذ يقول: "وأنا أقول لك أيضًا: أنت بطرس، وعلى هذه

الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها"[١] .

ويقول البشير نفسه: "وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة. وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار"[٢] . والمعنى الحقيقي لكلمة "كنيسة" هو جماعة المؤمنين الذين يجتمعون معًا من أجل العبادة، والصلاة.

وقد وردت كلمة "كنيسة" أيضًا في سفر تعاليم الرسل، والمعروف باسم "الديداخي" أي كتاب تعلم الرسل في اللغة اليونانية. هذا، ولم يرَ هذا الكتاب النور إلا في العام ١٨٦٣م، فلم يكن كتاب الديداخي معروفًا للمسيحيين لقرون عديدة حتى تم اكتشافه في العصر الحديث. ولكن لم يتم ترجمته إلا بعد مرور عشر سنوات على اكتشافه. ويحتوى كتاب الديداخى، أو كتاب تعاليم الرسل على أمور كثيرة وهامة تساعد في فهم الحياة المسيحية الأولي نذكر منها فقط على سبيل المثال:

(أ) أسرار الكنيسة في المرحلة الأولى، وهذه الأسرار هي:

١) سر المعمودية.

٢) وضع الأيدى "سر التثبيت".

٣) كسر الخبز "سر الأفخارستيا".

ثم صارت سبعة أسرار، كما هو معروف اليوم، وتمارس في الكنائس بصفة عامة، عدا الكنائس البروتستانتية.

(ب) الصلاة وطريقتها، ومواقيتها: وأهم ما يميز الصلوات المسيحية الأولى، أنها كانت يومية، وتتم في اليوم في ثلاث أوقات هي: الساعة الثالثة، والساعة السادسة، والساعة التاسعة.

(ج) الفرق بين من يكلم الله، ومن يكلم الناس؟[٣]

لقد فرق كتاب الديداخي أيضاً بين، النبى الضارب في الأرض، والنبى المستقر في الكنيسة فيما يُعرف بأنبياء الكنيسة.

---

(١) متى ١٦: ١٨ .

(٢) متى ١٨: ١٧ .

(٣) يمكن مراجعة، رسل ١١: ٢٧ - ٢٨، ١ قور ١١: ٢٠ - ٢٣ .

وفرق أيضًا بين النبى، والمعلم حيث أن مهمة كل من النبي، والمعلم هي التبشير، والإرشاد، وهما يتفقان في هذا الشأن.

لكن النبى، يعتمد بصورة رئيسة على الوحي من الله؛ بينما المعلم يعتمد على الاجتهاد، وهذا هو الفرق الجوهري بين المعلم، والنبي كما ورد في كتاب تعليم الرسل "الديداخي".

علم تحقيق النصوص المسيحية

هذا، ويحتاج كل شخص مسيحي أو من يريد دراسة العهد الجديد - الإنجيل - عند المسيحيين إلى دراسة علم نقد النصوص؛ لأنه لم يصل إلينا أي من صحائف الإنجيل التى دونها الرسل الأول، ولا حتى المخطوطات الأولى بأيدى آباء الكنيسة الأول، لكننا حصلنا على نسخ باليد، وهي منسوخة عن نسخ أخرى.

وقد استعملت اليراعي في عملية النسخ هذه. واليراعي، هى قصبة تُغمس في الحبر، واللفظة اليونانية هي (Kalamos قلموس). .

وقد كتب آباء الكنيسة، والنساخ النصوص المقدسة على ورق من البردي، وعلى جلود الحيوانات. والبردي نبات ينمو على نهر النيل في مصر، أما جلود الحيوانات فأتخذت للكتابة عليها في إيطاليا في القرن الثانى، وهى ما تُعرف بـ: "البرغامي". وقد عُرف النسيج البرغامي، بأنه أغلى ثمناً من البردي، وأطول عمرًا.

ولهذا، فإن كثير من الكتابات المسيحية على ورق البردي، قد فقدت مع مرور الزمن، نتيجة عدم الجودة، وضعف ورق البردي من جهة أخرى.

أما السبب الرئيس في فقد كثير من المخطوطات، وجل المخطوطات الأصلية، فيعود بصور رئيسة إلى عصور الاضطهاد التى وقعت على الكنيسة الأولى، والحروب المسيحية اللاحقة.

هذا، ولم يستخدم المسيحيون الكتابة على جلود الحيوانات بدلاً من البردي إلا في القرن الرابع الميلادي، وبالتحديد بعد مرسوم ميلانو الشهير عام ٣١١ - ٣١٣م.، والذى أعطى للمسيحية، وللمسيحيين حرية العبادة، وبعد أن صار الإمبراطور مسيحياً، ودين الدولة الرسمى المسيحية، وفي هذا الانفتاح الجديد على العهد الجديد علينا إدراك أمور هامة، وهي:

إن الأسلوب الجديد، والمتطور في الكتابة على جلود الحيوانات، قد تسبب بصورة عامة في إهمال كبير من قِبل المسيحيين لمخطوطاتهم الأصلية القديمة أي المخطوطة على البردي، وتم ضياعها في هذه المرحلة.

تعرض التطور الجديد أيضًا، أي الكتابة على جلود الحيوانات لمشاكل تقنية عديدة، لم تُعالج في تلك الفترة من قِبل المسئولين عن عملية النسخ. فأثناء الكتابة على جلود الحيوانات كانت الجلود تمتص الحبر، وتتداخل الحروف مع بعضها البعض، وعند إعادة النسخ تحدث الأخطاء نتيجة التداخل.

وإذا عرفنا أن جميع المخطوطات الأصلية، لم يصل إلينا أيٍ منها، وكل ما وصل إلينا، وهو موجود الآن في المتاحف العالمية، وغيرها من مراكز الدراسات هو نسخ عن نسخ عن نسخ للمخطوطات المفقودة.

إذًا، لا مناص لأى دارس أو باحث يريد التعمق في الدراسات المسيحية من اللجوء إلى "علم تحقيق النصوص"؛ لأن النص الأصلي مفقود، ولا يوجد بين أيدينا اليوم إلا ألاف من النسخ المنقولة عن نسخ أخرى مفقودة. فكيف لنا أن نتوصل إلى أقرب صيغة للنص الأصلي التى خرجت من أيدى الرسل؟ هذه هي معضلة الدارس في النصوص اللاهوتية المسيحية.

ويمكن تلخيص الوضع الذي آلت إليه دراسات نسخ المخطوطات القديمة عند المسيحيين في النقاط الآتية:

أ - عدم وجود أي مخطوطة أصلية من اللواتي قد كتبها الرسل، أو الكتبة الأولون، ولا جدال حول هذا الموضوع إلا إذا تم اكتشاف حديث في المستقبل يبرهن على عدم صحة هذه النتائج، ويقدم لنا بعضٍ من المخطوطات الأصلية التي خرجت من تحت يد الرسل، وآباء الكنيسة الأول.

ب - كثرة المخطوطات اليونانية لنص العهد الجديد وتفاوتها في القدمية.

ج - الأختلاف في النصوص أو القراءات بين المخطوطات اليونانية، وهذا بطبيعة الحال ناتج عن أخطاء عفوية أو مقصودة من قِبل النساخ.

ولفهم طبيعة الخطأ في تحرير، وكتابة نص من نصوص العهد الجديد كما هو مسجل في المخطوطات القديمة، علينا معرفة أوليات العمل في هذا المجال، وكيف

كان يتم. ثم نسأل، لماذا هذا الخطأ، وكيف حدث، وهل هو متعمد أم إنه هو مجرد سهو، وخطأ طبيعي يحدث أثناء عملية النسخ في صورها البدائية القديمة.

ولفهم أكثر، يمكن عرض هذه النماذج في طريقة النسخ، والخطأ الذي حدث في أثناء الكتابة على النحو الآتي:

(١) أخطاء عفوية ناتجة عن السمع عند تشابه الكلمات في الأصل اليونانى، مثال على ذلك: (حياتنا ...، وحياتكم). فإذا ما عرفنا أن الناسخ أو الكاتب، كان يملى عليه النص بالصوت، وهو يقوم بالتدوين المباشر أثناء سماعه الكلمات، كما في بعض مؤسسات اليوم التى يعمل فيها موظفون برتبة "أمناء سر"، ومن ضمن مهام، وعمل أمين السر، هو تدوين ما يسمعه في الاجتماعات في محاضر رسمية، ولنا أن نتخيل الناسخ في القرن الثالث الميلادي أو الرابع الميلادي، إذ لم يكن لديهم الوقت الكافي، ناهيك عن فقدهم لتكنولوجيا العصر من مسجلات، وكاميرات، وغيرها من وسائل التسجيل الدقيقة.

(٢) أخطاء ناتجة عن النظر، نتيجة ضعفه، أو نتيجة قلة الضوء أو فقدانه، وحتى نتيجة الخطأ البشري الناجم عن الإجهاد الشخصي للناسخ. وهذا واضح في بعض نسخ المخطوطات التي وصلت إلينا عبر العصور، والخطأ في هذه الحالة، يقع على جهتين هما:

خطأ ناتج عن القفز بين السطور.

خطأ ناتج عن تشابه في الأحرف.

كل هذه الأمور أدت بصورة أو بأخرى إلى أخطاء في نسخ العهد الجديد الذي بين أيدينا اليوم نتيجة خطأ النُساخ.

ناهيك عن أخطاء شائعة، قد يرتكبها أناس عاديون، وهي:

١ . أخطاء في الذاكرة.

٢ . أخطاء في التقديم.

٣ . إزالة الصعوبات التاريخية والجغرافية؛ لأن الناسخ، وهو يكتب النص من مخطوطة سابقة، يحاول أن يزيل بعض الصعوبات من وجهة نظره الخاصة، فيضيف أمور لتوضيح صعوبات تاريخية أو جغرافية، وفي النهاية يتغير النص إلى آخر.

٤ . محاولة الناسخ للتوفيق بين النصوص، في حال صعوبة فهمها أو عدم توافقها.

٥ . إزالة بعض الصعوبات اللاهوتية التى قد يتصورها الناسخ بأنها صعوبة لاهوتية، ومثال ذلك: ورد في سفر أعمال الرسل النص اللاهوتي الآتي: "احترزوا إذًا لأنفسكم، ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه"(١) .

وهنا قد يسأل الناسخ نفسه: هل الله له دم؟ فَيُشَكِّل هذا النص القصير الكلمات، والمُبهم الألفاظ عقبة لاهوتية أمام الناسخ، فيُحاول تذليلها، بالإضافة، والتوضيح. فتحول النص الإنجيلي لاحقًا إلى: ".. كنيسة الله التى اقتناها بدم ابنه" أي تم إضافة "بدم ابنه" بدلاً من الـ: هـ التي حُذفت من النص؛ ثم جاء ناسخ آخر، وأضاف للإيضاح أيضًا، كلمة "يسوع" إلى النص الأصلي، فأصبح النص الإنجيلي، يُقرأ على النحو الآتي: ".. كنيسة الله التى اقتناها بدم ابنه يسوع"؛ ثم جاء ناسخ آخر، وأضاف كلمة "المسيح" إلى كل النص، ليصبح في النهاية على الشكل الآتي: ".. كنيسة الله التى اقتناها بدم ابنه يسوع المسيح". وهذا ليس كلامًا عامًا؛ وإنما هو واقع ما حدث بالفعل، وأن المخطوطات التي بين أيدي المسيحيين اليوم بها كل هذه الاضافات، وتم اختيار النص الأخير من بينها، مع أن النص الأخير هو الأطول، وليس الأقصر، والمفروض في علم مقارنة النصوص الأخذ بالنص الأقل في عدد الكلمات؛ لأن الناسخ اللاحق قد أضاف للإيضاح على النص الأصلي، إذا افترضنا وجود هذا النص.

٦ . إدخال تشديدات لاهوتية على نص المخطوطة من قِبل الناسخ.

٧ . الميول الشخصية، ولا يُفهم من الميول الشخصية الرغبات، والمزاج الشخصي للكاتب، والناسخ؛ وإنما الميول الشخصية قد عنينا بها الأسباب الاجتماعية، والأعراف السائدة في مكان العمل، والنسخ كـ: تقديم الرجل على المرأة، كما في النص الإنجيلي: أكلا وبريسكلا(٢)، ولم يقل: بريسكلا، وأكلا. والتشديد على الصوم، وهو خصوصية من خصوصيات الرعيل الأول من اليهود، ومثاله في النص الإنجيلي:

---

(١) رسل ٢٠ : ٢٨ .

(٢) راجع، روم ١٦ : ٣، ١ قور ١٦ : ١٩ .

".. لا يخرج إلا بالصلاة والصوم"[١] . وقد أضاف الناسخ من عنده كلمة "الصوم"؛ لأن جميع النسخ، والمخطوطات القديمة، لا يوجد بها كلمة "صوم"!

أذًا، فقد أضيفت كلمة "صوم" لاحقًا، وهو خطأ وقع فيه الناسخ.

أو قد يقوم الناسخ بإضافة آية من عنده لمجرد الإيمان، أو لتوضيح فكرة ما كما حدث مع الزيادات الواردة في رسالة القديس يوحنا، وهي آيات شهيرة، وقد عُرفت الرسالة فيما بعد بهذه الكيفية[٢] .

لم يقتصر الأمر على زيادة كلمات أو رفع كلمات؛ وإنما أصبحت هذه الصبغة هي الصورة العامة التي نسجت كتب العهد الجديد أي الإنجيل. ومن هنا يمكن فهم مدلولات الثالوث، وسر التجسد كما ورد في المجامع المسكونية، وكما وضحته الأناجيل؛ فكلمة ثالوث أو اقنوم لا ترد أبدًا في أي من الأناجيل، ولا في كل كتابات العهد الجديد.

فقضية الثالوث، وخصوصاً ما ورد في رسالة القديس يوحنا[٣]، لا يوجد في أي مخطوطة من المخطوطات المسيحية القديمة، وكل المعاهد، ومراكز الأبحاث اللاهوتية قد عرفت ذلك، ولكن يصعب على الإنسان تغيير المكتوب؛ لأن ما قد كُتب قد كُتب!

والثالوث بصعوباته قد دخل عن طريق توضيح لقراءة صعبة الفهم، وبالتالي تغيرت من عبارة قصيرة إلى عبارة أطول، وهذا هو السبب الذى جعل اللاهوتيون يعتمدون الإنجيل بحسب القديس مرقس كـ: "مصدر"، نتيجة لقصر نصه بمقارنته مع الأناجيل الأخرى أي متى، ولوقا، وحتى يوحنا.

إذًا، قصة النسخ قد دخل عليها عامل التوضيح، والإفهام، فنجد بعض النساخ الذين حاولوا توضيح نص أثناء نسخهم له، فخرج على صور أخرى كـ:

- جاء الناسخ الأول، ووضح، وقال بأنه هو الله؛

(١) متى ١٧: ٢١ .

(٢) ١ يو ٥: ٧ - ٨: "فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم واحد". يتفق جميع اللاهوتيين أن النص الإنجيلي السالف الذكر هو مجرد إضافة، ولا أساس له من الصحة في النصوص المقدسة، ومع ذلك نراه مكتوبًا، ولم يتم حذفه!

(٣) ١يو ٥: ٧ - ٨

● ثم جاء الناسخ الثاني، ورأى أنه من الأفضل أن نبين أنه هو الله الأَب، فأضاف إلى النص، وجعله يظهر: بأنه هو الآب؛

● ثم جاء ناسخ ثالث، فلم يكتفي بما رآه في النص من وجود الله الآب، وإنما أضاف المسيح معه، ليكون الله هو المسيح، وبهذا يتحقق: بأنه هو المسيح.

● ثم جاء ناسخ رابع، وأكمل العمل ليخرج في صورة التمام، ويُضيف إليه أقنوم الابن، وبهذا يتوضح أن المسيح هو يسوع "الابن".

ومن هنا، حصلت الكنيسة على نص في رسالة يوحنا، غير موجود في المخطوطات القديمة جميعها، واعترف اللاهوتيون في نهاية الأمر بأن هذا النص دخيل على الإنجيل، ولا يُعرف على وجه الدقة مصدره.

٨ . ادماج في القراءات: وهو خطأ شائع، ينشأ في بعض الأوضاع نتيجة لادماج في النصوص، ومثاله:

يسبح؛ - يبارك . تصبح بعد الادماج: يباركون ويسبحون.

ليس الهدف من دراسة تحقيق النصوص هو التشكيك في النصوص المقدسة الموجودة بين أيدي الكنيسة اليوم، فما قد كُتب، قد كُتب، ولا يمكن أن نغير المكتوب، وليس بالنصوص وحدها يمكن التشكيك في الأديان؛ لأن الإيمان بالدين هو سر. فمهما كان الدين ركيكًا في نظر الآخرين، وليس فيه صلاح البتة؛ وإنما هو كنز ثمين عند أصحابه، والمؤمنين به.

إذا كان الأمر كذلك، فما هي الفائدة من دراسة النصوص القديمة، وتحقيقها، ومقارنتها؟!

إن استهداف التوصل إلى ما تقوله نصوص المخطوطات الأصلية للعهد الجديد كما خرجت من أيدى الرسل، والكتاب الأولين هو الغاية الفُضلى عند الباحث أو الدارس، ليقف على حقائق الأمور المتجردة، والمجردة.

وهل يمكن معرفة المراحل التي ساعدت على تزايد الاختلاف بين قراءات نصوص العهد الجديد أي الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم؟

نعم، يمكن معرفة ذلك، وهذه المراحل هي:

المرحلة الباكرة:

في هذه المرحلة لم تكن ثمة كتب العهد الجديد معتبرة قانونيًا.

ملحوظة: لم تبدأ المسيحية في وضع لائحة بالكتب القانونية المعتمدة من قبل الكنيسة إلا في سنة ٣٩٨م، - أي بعد ٤ قرون من ظهور الديانة المسيحية - وهذا أمر متأخر جدًا، وقد شَكّلَ عقبة أمام النصوص القانونية، وشرعيتها، والاضافات التي دخلت عليها. أما في المرحلة السابقة فكان يتم الاستشهاد بالكتب المسيحية حتى تثبتت.

وإذا عرفنا أن الناسخ لم يكن يشعر بالقدسية قبل أن تصير الكتب قانونية، فكان ينقل كلمة من كتاب أو من رسالة إلى رسالة أخرى؛ أو كان يوضح من عنده، كما ذكرنا آنفًا، حتى آل الوضع إلى ما هو عليه اليوم.

ومثال على ذلك، يوجد في المخطوطات الغربية لسفر أعمال الرسل زيادة تقدر بعشرة في المئة (١٠٪) على ما يوجد بين أيدينا الآن من الترجمات لسفر أعمال الرسل، فكانت زيادات تضاف عن معلومات بلدان أو أشخاص، وغيرها، تم حذفها في النصوص التي بين أيدينا.

المرحلة التبشيرية:

أصبحت نصوص العهد الجديد واقعة تحت ضغط العرض، والطلب، الناجم عن مرحلة التبشير، والحاجة إلى نسخ كثيرة يمكن استعمالها في هذا المضمار.

إن زيادة السرعة من أجل زيادة الانتاج لمخطوطات الكتاب المقدس من أجل التبشير، قد سمحت بزيادة الأخطاء في نسخ المخطوطات، وهذا راجع؛ لأن واحد يقرأ، ويُملي على الآخرين، وكثيرون يجلسون يستمعون إلى القارئ، هم ينسخون ما يستمعون إليه، فوقعت أخطاء كثيرة في هذا السياق.

المرحلة التنقيحية:

في المرحلة الباكرة، والمرحلة التبشيرية، وقعت الأخطاء في نصوص النسخ، والمخطوطات التي بين أيدينا اليوم، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد؛ وإنما دخل الخطأ أيضًا حتى في مرحلة تنقيح النصوص!

ففي محاولة التنقيح تم تغيير بعض الكلمات لتلائم العصر الذى تعيش فيه، ومن

بين هذه الأمثلة الأكثر شيوعًا:

أ ـ كلمة "المحبة" الواردة في رسالة قورنثوس[١]، كانت هكذا في وقت الكتابة أي "المحبة"، ثم تحولت لاحقاً إلى الإحسان والعطف على الفقراء.

ب ـ كلمة "الدبابات" كما وردت في سفر التكوين، وهو سفر من أسفار التوراة، وقد حاول البعض تغيير الكلمة؛ لأنها لا تلائم العصر؛ لأن "الدبابات" تُستعمل اليوم للقتل، والدمار، بعد أن كانت هذه الكلمة تدل على كل ما هو يدب على سطح الأرض من بهيمة الأنعام حتى الإنسان.

وهكذا، لم تسلم مرحلة التنقيح من بث الكلمات الجديدة بين ثنايا كتابات العهد الجديد.

مرحلة وضع نص جامع Textus Receptus:

هذا النص يُعرف الآن باسم "النصوص البيزنطية"، وهو مليء بالأخطاء نتيجة اعتماد كل شيء من دون تدقيق في هذه المرحلة.

ففي القرنين، الخامس، والسادس، كانت بيزنطة في أوجها، وحدث أن هناك قراءات مختلفة لبعض المخطوطات. وقد رغب قادة الكنيسة البيزنطية آنذاك في وضع نص قياسي جامع حتى لا يكون بلبلة، فأخذوا كل النصوص التي كانت موجودة آنذاك، بين أيديهم، ووضعوها جنبًا إلى جنب من دون تدقيق، فماذا كانت النتيجة؟

خرج نص تحت اسم: Textus Receptus، وهذا النص هو الذي كرس، وثبت الأخطاء في الكتاب المقدس من دون رجعة؛ لأن هذا النص في تلك المرحلة قد أخذ كل شيء، ثم أُكتشف لاحقاً وجود هذه الأخطاء، وهو النص الذي اعتمدت عليه ترجمة king jams، وكذلك ترجمة فانديك التي بين أيدي الكنيسة الأرثوذكسية، والبروتستانتية اليوم.

إشكالية التحريف

هل المسيحيون محترفي تزوير، وتحريف؟

للأسف نعم، فمسيحيو القرون الأولى هم من محترفي التزوير، والتحريف العالمي.. كيف؟

---

(١) ١ قور ١٣ .

لم يكتفِ المسيحيون الأوائل بتزوير تاريخهم وحدهم؛ وإنما تعدوا على طقوس، وديانات الشعوب الأخرى بالتحريف، والتزوير، ولنأخذ أمثلة على ذلك:

١) التوراة، والإنجيل مليئان بالأخطاء التاريخية، واللاهوتية، واللغوية، وأخطاء في الأنساب، والأماكن، والأسماء، وهذا يتضح بسهولة تامة لأي دارس لاهوت في المعاهد، والكليات اللاهوتية، ولو بالحد الأدنى أي ٤ سنوات من الدراسة المعمقة. نعم، يستطيع الدارس معرفة كل هذه التفاصيل، ولا داعي لذكرها؛ لأنها تحتاج إلى كتاب لوحدها.

كنت أجلس مع رئيس جمعية الكتاب المقدس للشرق الأوسط بعد أن أهداني نسخة جديدة من الإنجيل بحسب الترجمة المشتركة .. فقلت له: إن الترجمة هذه مليئة بالأخطاء المطبعية .. لا أتكلم هنا عن الأخطاء اللاهوتية أو التاريخية أو غيرها؛ وإنما أخطاء فقط ناجمة عن الطباعة! حتى إن بعض الآيات من اصحاحات كاملة قد فُقدت أو سقطت من الطبعة الأولى، وهذا كله مسجل. وقد يكون هذا سهو في الطباعة .. فماذا قال لي؟ "أنا على علم بذلك، ولكن خلينا ننتهي من توزيع النسخ التي في مخازننا، وسوف نعالج هذا الأمر، وهذه الأخطاء في الطبعة الثانية من الإنجيل المقدس"!

أي إنجيل، وأي مقدس؟! هل هذه هي الأمانة في الطباعة، والنشر لا سيما الأمر يتعلق هَهنا بـ: الكتاب المقدس؟!

كنت أتوقع من رجل في هذا المنصب، وهذا الموقع أن يقول لي: شكرًا على سرعة قرائتي لهذه النسخة، وعلى تحمسي في رفع هذه الأخطاء الواردة في الطباعة، واكتشاف هذه الأغلاط المطبعية، وأن يعدني بجمع كل هذه النسخ الفاخرة الطباعة، وأن تقوم دور النشر بإتلافها، والتخلص منها .. لكن شيئًا من هذا الأمر لم يحدث!

٢) يُفترض أن الصوم الكبير هو ٤٠ يومًا عدًا، ونقدًا، وهذا تقليد راجع للتشبه بالسيد المسيح له المجد عندما اقتاده الروح إلى البرية، وصام ٤٠ يومًا ثم جاء الشيطان بعد هذه المدة ليجربه، والقصة مذكورة في الإنجيل بحسب القديس متى[1]. ولكن المسيحيون عبر التاريخ حولوها إلى ٥٥ يومًا، وذلك بحسب أدق

---

(١) راجع: متى ٤ : ١ - ١١ : "ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس. فبعد ما صام أربعين نهارًا وأربعين ليلة جاع أخيرًا. فتقدم إليه المجرب ، [الشيطان] وقال له ...".

الروايات أنهم أضافوا اسبوعًا قد نذروه إذا شفى لهم المسيح (له كل المجد) أحد ملوكهم، وكان مريضًا. فلما شفاه الله، أضافوا أسبوعًا إلى الـ: ٤٠ يومًا. ثم في أيام البطريرك ديمتريوس الكرام، أضاف أسبوع آلام السيد المسيح إلى الـ: ٤٧ يوم، فأصبحت تقريبًا ٥٥ يومًا. هذه الطقوس لم ينزل الإله بها من سلطان. ماذا نسمي هذا العمل؟!

٣) ماذا عن تاريخ الصوم، والاحتفال بالأعياد؟

نجد بعض أساتذة اللاهوت في المعاهد، والكليات، والإكليريات يقدمون هذه الدروس في مناهجهم، ويشرحون لك التقويم اليولياني نسبة إلى يوليوس قيصر ٤٦ ق. م. والتقويم الأبقتي المعروف بحساب الكرمة نسبة إلى البطريرك ديمتريوس الكرام ٢٣٢م، والتقويم الغريغوري نسبة إلى غريغوريوس الثالث عشر ١٥٨٢م الذي أخذ مكان التقويم اليولياني نتيجة لاكتشافهم خطأ في طريقة حساباته.

لقد اتبعت الكنائس الغربية التقويم الغريغوري، واتبعت الكنائس الشرقية التقويم الابقتي الكرامي. ولهذا تعود الاختلافات في تواريخ الأعياد إلى هذه القضية.

ومع كل هذه الفرضيات الجميلة إلا أن التاريخ الميلادي الذي يكاد يستعمله كل البشر من جميع أنحاء العالم المعاصر بفضل ضربات الاستعمار الموجعة لدول العالم من التاريخ القديم إلى التاريخ المعاصر مرورًا بالتاريخ الوسيط، والتاريخ الحديث. هل تعلم عزيزي القارئ إن هذا التاريخ هو محرف أيضًا؟ ومن حرفه؟

لقد أُخذ التاريخ الميلادي مقرونًا بعبادة الشمس، ولذلك أحد ايام الأسبوع يُسمى Sunday وكلمة sun تعني شمس، وكلمة day تعني يوم، فهو يوم الشمس، وعيدها!

لو كان هذا اليوم بالفعل للمسيحية، وعيد لها؛ لكان من المفترض أن يُسمى بـ: Christday (Christ day) أي: يوم المسيح. ولو لم يكن هذا اليوم بحق هو عيد للشمس، لكان من المفترض أن يُسمى بـ: Lordday (Lord day) أي: يوم الرب، وغيرها من التسميات المناسبة للديانة الإبراهيمية المسيحية.

أما أن يُسمى بـ: يوم الشمس، فهذا يدعوا إلى التساؤل للبحث عن مصدر اسمه في التاريخ الأغريقي، والروماني القديمين، والأمر لا يخرج عما ذكرت.

فإذا سألنا: ومتى وُلد السيد المسيح عليه السلام؟

قال لنا العارفون: أن السيد المسيح له كل المجد لا بد أن يكون قد وُلد ما بين الأعوام ٦ - ٤ ق. م. نظرًا لأن حادثة قتل الأولاد من قِبل أرخيلاوس في بيت لحم قد تمت، وكان ليسوع المسيح الطفل عامين على ولادته، وهذا لا ينكره التاريخ بل يثبته بالوثائق. وهذا الأمر يعرفه جميع اللاهوتيين من كبيرهم إلى صغيرهم حتى المقمط في سريرهم!

فإذا كان الأمر كذلك، فنحن على أقل تقدير في سنة ٢٠٠٣م أو سنة ٢٠٠٢م، وليس كما يُروج المسيحيون على أننا نحتفل هذا العام بسنة ٢٠٠٨م.

إنها أكاذيب اختلقها القوم، ثم حرفوها، وصدقوا أنفسهم، وبعد أن تأكد لهم صحة الحقيقة، لم يتجرأ أحد على الإقدام من أجل تصحيح التاريخ، وتركوا كل شئ على علته، فالخطأ ظل خطأً إلى أن يرث الوارث الأرض، ومن عليها.

ربما لأن الإنسان لا يُحب أن تُلصق به تهمة التحريف أو التزوير. ولا يُحب أيضًا الرجوع عن خطأه لا سيما إذا كان الخطأ كبيرًا، وكبيرًا جدًا.

فما قد كُتب قد كتب، ولا يمكن للمسيحيين اليوم من تغيير المكتوب. لكن أقله، على أصحاب الديانات الإبراهيمية معرفة تاريخهم المحرف حتى لا يتصارعون من أجل خِرق بالية، ويصطلمون مع البشرية بعاصفة صراعهم الديني.

يكفي الإنسان من هموم يومه، وشر غده! ويكفيه أيضًا شر وجوده على هذه الأرض التي تتنازعها صراعات الآلهة لا سميا آلهة الديانات الإبراهيمية! إنه عالم ليس فيه غير الشوك، والحصرم، والحسك!

٤) لا شك أن شم النسيم هو عيد من الأعياد الفرعونية القديمة. يعود الاحتفال بعيد شم النسيم بحسب البرديات القديمة إلى أكثر من ٤٠٠٠ ق. م. أي إنه قبل الديانة الإبراهيمية الأولى أي قبل اليهودي. وهو أيضًا كان مكرسًا قبل الديانة الإبراهيمية الثانية، وهي المسيحية.

ماذا فعل المسيحيون بعد دخلوهم إلى ارض مصر؟

كان عيد "شموش" هو عيد فرعوني بامتياز لـ: بعث الحياة، وأن الخالق، قد خلق الكون في هذا اليوم بحسب الاعتقاد المصري القديم.

حرف المسيحيون هذا العيد من اسمه إلى يوم تاريخ الاحتفال فيه بطقوس خلق

الكون - أي حرفوا أسم العيد، وحرفوا تاريخه أيضًا، ولله الحمد! - فسار عبر الزمن، والتاريخ المسيحي المصري من شوم ن سيم، و"شوم" تعني بستان، و"سيم" تعني زروع[1]؛ لأن الفراعنة كانو يحتفلون في مواسمهم الثلاثة على مدار السنة من موسم الفيضان إلى موسم البذر إلى موسم الحصاد كما ذكر المؤرخ أفروديت. فسارت الكلمة تحمل معنى "بستان الزروع"، والأصل كما ذكرنا "شموش" أي "بعث الحياة"، الذي يترافق مع مقاومة إله الشر "ست"، ومحاولة استبعاد إله الموت "سكر". ماذا نقول؟

إنها عادة المسيحيون المصريون! أليس هم من حرفوا كلمة "ياسة" المغلية التي تعني اليسق؟! وغيروا في ياسة القوانين التي وضعها الفاتح المغولي جنكيز خان في مصنفاته. فأضاف المصريون لها سينًا ثم ألف ولام، فتحولت الكلمة إلى ما هي عليه اليوم أي "السياسة" وهم لا يمارسونها!

لقد كان أحد أبناء الملوك مريض بمرض عضال لا يُعرف منه العافية. فجاء أحد الكهنة، ومارس بعض الطقوس السرية، وعلق كمية من البصل المصري على جنبات مرقد المريض، وفي نواحي قصور الملك، ووضع بصلة تحت رأس الابن الراقد على فراش الموت.

لقد فعل الكاهن الفرعوني كل هذه الممارسات من أجل أن يطرد "ست" إله الشر، ويستبعد "سكر" إله الموت بحسب العقائد الفرعونية، وقد كان له ذلك.

فعند اقبال الصباح، كسر الكاهن المصري البصلة، ووضع ماؤها على أنف الولد، فقام من فراشه، وكأنه لم يكن مريضًا. لقد تصادف هذا اليوم مع يوم الاعتدال الربيعي، وهو عيد "شموش" الذي يتساوي فيه الليل مع النهار في هذا اليوم الموافق لوقت حلول الشمس في برج "الحمل"، وهو الموافق ٢١ آذار (مارس) من كل عام.

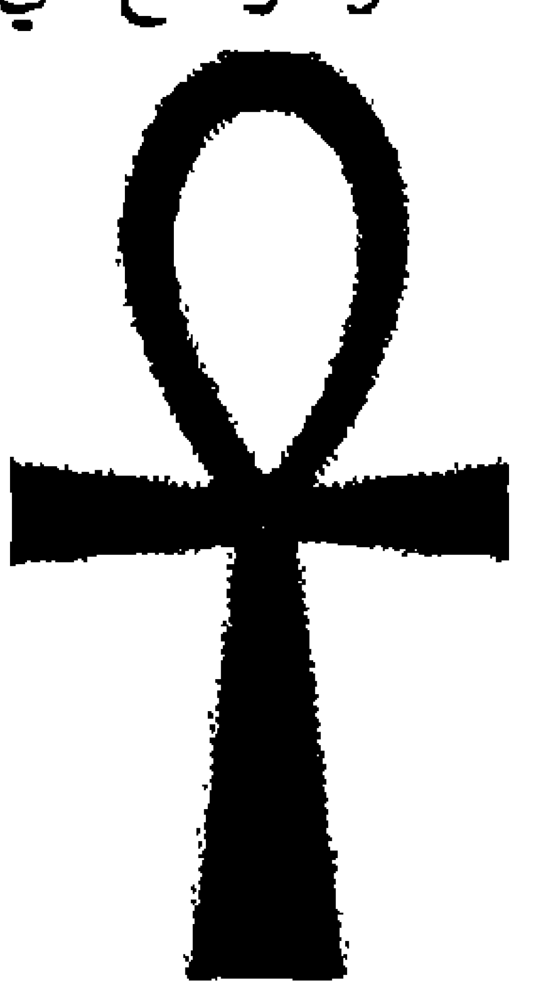
ولهذا يخرج المصريون في هذا اليوم بعد أن يكونوا قد علقوا في الأيام السالفة لهذا اليوم بصلاً في شرفاتهم، وعلى سطوح منازلهم، وإن أمكن تحت وسادتهم في غرف نومهم من أجل طرد إله الشر "ست"، واستبعاد إله الموت "سكر". فبالبصل نتغلب على المرض، ونقهر الموت.

ثم يُحَضِرُون البيض، ويكتبون عليه طلباتهم، وأمانيهم من إله الكون، وخالقه لعلهم يستعطفوه في هذا اليوم، ويُقدم لهم بمناسبة يوم خلقهم ما كانوا يشتهون إليه

(١) في داخل قلب هذا العيد أي "عيد شم النسيم" تحريفات كثيرًا، فلم يكتفِ المحرف بتغيير موعد الاحتفال به من ٢١ آذار (مارس) من كل عام إلى يوم الاحتفال بعيد القيامة المسيحي؛ وإنما التحريف أيضًا طال أسم العيد نظرًا للتحريف الذي دخل على اللغة المصرية آنذاك، وأسفر عن تغيير حروفها إلى اليونانية. لا يوجد في اللغة المصرية القديمة أداة التعريف!

كل بحسب ما قد طلب.

ويهتم المصري الفرعوني بالبيضة التي هي سر الحياة، ولذلك فإن مفتاح الحياة الفرعون له رأس على شكل بيضة كما هو موضح في الشكل الآتي:



بل إن الإله بتاح الفرعون بذاته يجلس في الرسومات الفرعونية القديمة على بيضة بشكل الأرض؛ لأن البيضة ترمز إلى خلق الحياة من الجماد كما ورد في كتاب الموتى.

هذا، ولا يخفى على أي باحث أو دارس أن مفتاح الحياة الفرعوني ليس له أي علاقة من قريب أو بعيد بالصليب عند المسيحيين؛ وإنما هو أداة استخدمها المسيحيون من أجل تدعيم فكرتهم لا أكثر، ولا أقل! إن هذا ما فعله بالتمام والكمال الرسول بولس مؤسس المسيحية عندما كان يُبشر الأثينيين. فقد رأى نُصب لإله مجهول، فاستخدم هذا النص، وسأل أهل أثينا بعد أن امتدحهم على معرفتهم بالأمور الأخيرة "من هو الإله المجهول؟" ثم قال لهم بأن الإله المجهول هذا، هو يسوع المسيح الناصري، وبدأ يُبشرهم بالمسيحية!

ونص الإنجيل يقول على لسان بولس الرسول: "أيها الرجال الأثينويون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيرًا. لأنني بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضًا مذبحًا مكتوب عليه لإله مجهول. فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادي به." (أعمال الرسل ١٧: ٢٢ - ٢٣).

والـ: "أنخ : (Ankh عنخ) هو مفتاح الحياة الفرعون، وقد رُسم بالهيروغليفية. ويتكون من منحنى فوق حرف T. ويمثل عقدة صندل. وهذا المفتاح كان يحمله الآلهة وملوك الفراعنة."[١] ولا علاقة لمفتاح الفراعنة بأي صليب. وإذا كان الأمر كذلك فإننا يمكن أن نرى الصليب أيضًا في الدب القطبي عند النظر إليه من كوكب الأرض! ونرى الصليب في بعض أنواع الأبواب، والشبابيك المصنوعة من الخشب أو الحديد، وهي قد تبدو للناظر على شكل صليب! ونرى الصليب في بعض أشكال

(١) عوف، أحمد محمد، *موسوعة حضارة العالم*، ويكي الكتب، ج١ .

الأنفاق، والجسور، وما شابه! فهل هذا يُشكل مرض، وهوس بالنسبة لبعض المسيحيين فيما يختص برسم الصليب حتى إن بعضهم رأى الصليب في صلاة المسلمين عند نهايتها حيث يسلم المسلم عن يمينه ثم عن يساره برأسه، وادَّعى بعضهم بأن المسلمين يرسمون الصليب في صلواتهم برأسهم كما يرسم المسيحيون الصليب في صلاتهم بأيديهم! وإذا ارتدى المسيحيون الحجاب، فهل على المسلمين أن يتخلوا عن حجابهم؟! إن هذه بتلك. فلا يتوجب على المصريين التخلي عن مفتاح حياتهم الفرعوني، ولا عن شم نسيمهم الفرعوني الذي يأتي في ٢١ آذار (مارس) من كل عام، ليستمتعوا بالظاهرة العجائبية التي لو أدَّعى أصحابها - الفراعنة - بأنهم أهل ديانة سماوية لكنا اليوم نصدقهم، ولربما نقاتل بعضنا البعض من أجل هذه الأمور، فليعود الطقس الفرعوني إلى سابق عهده من دون أي تحريف، وليذهب أعداء الهيروغليفيه الأصلية إلى الجحيم.

أما السمك؛ لأن بداية الحياة على الأرض، كانت في الماء، والسمك هو رمز للماء، ورمز لهذه الحياة، ورمز لبدء الخلق. إنه ثالوث السمك، والبيض، والبصل، وأعظمهن البصل؛ لأنه طارد إله الشر ست، ومُستبعد إله الموت سكر .

لذلك يطالب بعض الباحثين المصريين المستقلين أن تعود الحياة إلى هذا اليوم، ويتم القضاء على التحريف المصري المسيحي لا سيما أن ٢١ آذار (مارس) هو عيد لـ: "شم النسيم" الأصلي المصري، من كل عام؛ لأنه تحدث فيه - في هذا اليوم من كل سنة، - ظاهرة فرعونية سحرية، وعجائبية. فعند مراقبة الشمس عند الغروب في هذا اليوم من أيام السنة، وعند النظر في الجهة الشمالية المواجهة للهرم .. وبالتحديد عندما تخترق الشمس قمة الهرب .. يظهر الهرم وكأنه قد انشق إلى نصفين، وبينهما خط شعاع الشمس. إنها ظاهرة فريدة، وعجيبة جدًا، ولا يمكن مشاهدتها إلا عند غروب شمس هذا اليوم، وأمام واجهة الهرم. فلماذا يضيع المصريون على أنفسهم مثل هذه الظواهر، ويركضون وراء التحريفات. فليعودا إلى الأصل، وينبذوا كل تحريف إن هم أرادوا ذلك.

٥) كانت اللغة، ولا زالت لغة إلى أن جاء المسيحيون فحرفوها، وحولوا اللغة إلى دين .. كيف؟!

لا أحد يدَّعي أن اللغة الفرنسية مسيحية أو اللغة العربية إسلامية؛ لأنه كان في تاريخ ما قبل الإسلام يهود يعيشون في جزيرة العرب، ويتكلمون اللغة العربية. والدين الإسلامي جاء في لغة العرب كما جاء الدين اليهودي في لغة اليهود، وكما

جاء الدين المسيحي في لغة السريان. ولا يعني هذا أن كل من يتكلم السريانية أو اليونانية هو مسيحي.

ثم إن المسيحيين المصريين يدَّعون أن الإسلام هو من قضى على لغتهم القبطية! فمن قضى على لغة المصريين من قبل؟! أليسوا هم المسيحيون؟!

إن الحقيقة الواضحة للعيان هي عدم قراءة المسيحيين للحكمة القائلة: "كما تَفعَل يُفْعَل بك". فقد شوه المسيحيون لغة أباء المصريين القديمة، وحرفوها، وغيروا حروفها، وبدلوها بحسب أهوائهم إلى الحروف اليونانية كما فعل مصطفى كمال أتاتورك بالحروف العربية التي ألقاها جانبًا، وأستعمل الحروف الغربية في الكتابة بالتركية.

لقد حرف المسيحيون اللغة المصرية، وغيروا حروفها من الحروف الديموطيقية المصرية الأصيلة إلى حروف اليونان للتقرب من المسيحية، والابتعاد عن المصرية الفرعونية التي يدَّعي البعض أنهم يريدون العودة إليها! فنالوا على عملهم هذا جزاء سنمار حيث ذهبت اللغة القبطية - أي المصرية - القديمية على أيدي المسيحيين كما ذهبت لغة المسيحيين القبطية المُيَوْنَنَةُ - أي: المتحولة حروفها إلى الحروف اليونانية - على يد المسلمين!

إنه العقل الاستعماري الذي لا يكسره إلا عقل مثله، ونظيره في الشر.

٦) أرجو أن لا يغضب أحد من مسألة التحريف هذه، ولا ينتقد الكتابات الخاصة بالتزييف، والتحريف أو يتهم الباحث بأنه يتحامل على أصحاب الديانات الإبراهيمية، ويصفهم بأمور سلبية هم منها، وعنها براء!

ليس الأمر كذلك؛ لأن الله بنفسه - أي إله الأديان الإبراهيمية - هو الذي اتهم المسيحيين، وأصحاب الديانات الإبراهيمية بالزيف، والتحريف. أليس هو من قال: "مَّا وَحْيُ الرَّبِّ فَلاَ تَذْكُرُوهُ بَعْدُ لأَنَّ كَلِمَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ تَكُونُ وَحْيَهُ إِذْ قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلاَمَ الإِلَهِ الْحَيِّ رَبِّ الْجُنُودِ إِلَهِنَا"(١) .

---

(١) ار ٢٣ : ٣٦ .

وبعد ذلك نسأل: متى، وأين حُرف الإنجيل؟!

الله بجلاله، وقدره هَهنا هو من يتهمهم في هذا النص المقدس الواضح، والصريح بأنهم محترفو غش، وتزوير، وتحريف لكلامه هو فما بالك بأشياء مثل شم النسيم أو تاريخ المسيحية أو أيام الصوم، وطقوس العبادة أو حتى اللغة!

لذلك يتوعدهم الخالق بعذاب لا يُبقى ولا يذر.

ما الذي يُضير إذا كانت الديانات الإبراهيمية محرفة؟! وإذا كان أصحاب الديانات الإبراهيمية جمعاء لديهم كل الثقة بحسب طريقة كل واحد منهم، ومنهاجه بأنه ذاهب إلى جنات الخلد، والنعيم المقيم .. فلماذا يُجبر الآخرين من أجل الدخول إلى هذا النعيم بالقتل في العراق، وفي أفغانستان؟! ليترك الناس وشأنها. إنه دينه هو المحرف، ولا يجب أن يفرضه على الآخرين بأي وسيلة كانت من تعليم او طبابة (صحة) أو خدمات اجتماعية أو إعلام موجه، وغيرها من الأساليب التي يعرفها أصحاب الخبرة، وأهل الدراية.

وإذا كانت هذه حرية شخصية، فقتل الآخر في العراق، وفي أفغانستان، وفي السودان، وفي الصومال ليست حرية شخصية!

كما أن الحرية الشخصية يجب أن تكون للجميع .. لأصحاب الديانات الإبراهيمية في نشر تعاليمهم الخنفشارية، ولغيرهم من الباحثين المتنورين لكي يُطلعوا الناس على مثل هذه الأكاذيب، والادعاءات.

إن ما يهم المواطن العادي البسيط، ليس كل هذه التُرّهات من تحريف، وغيره؛ وإنما ما يهمه هو أن يتركوه يعيش في سلام، وبحد أدنى من الكرامة الإنسانية من دون التعدي عليه. إنه يحمل شعار "دعوني أعيش"!

هذه هي المسيحية، والكنيسة، والإنجيل، وكتابات العهد الجديد. هذا، ويؤمن المسيحي بأن يسوع المسيح المخلص الذي صُلب على عهد بيلاطس البنطي، قد مات، ودفن، وقبر، وقام من بين الأموات في اليوم الثالث على ما تقوله كتب العهد الجديد، ثم صعد إلى السماء، وهو جالس الآن عن يمين الله الآب، وسوف يأتي ثانية، ليدين الأحياء، والأموات، فيذهب الأشرار للنار الأبدية، ويذهب المسيحيون المؤمنون به إلى الفردوس حيث المسيح هناك.

ولا يؤمن كل المسيحيين بـ: المطهر، وهو المكان الذي تذهب فيه أرواح الموتى، وتمكث منتظرةً يوم المجئ، وفي المطهر هذا يتعرض الأشخاص لصنوف من العذاب تطهرهم، ويكون ممرًا لهم إلى الأبدية، والنعيم، ولهذا تصلى هذه الكنائس التي تؤمن بالمطهر من أجل راحة نفوس الذين رقدوا على رجاء القيامة، وهم في الحالة اللاجسمانية ينتظرون في المطهر يوم الإعلان المقدس.

لعل هذه المباحث قد ألقت الضوء على الديانة المسيحية، وتاريخها الطويل حتى وصلت إلينا اليوم في فرقها، ومذاهبها، وطوائفها المتنوعة. وهي جميعًا تقف في صراع مرير مع الإسلام. من أجل هذا لزم أن نتعرف على طرف الصراع الآخر وهو الإسلام، ونبين طبيعته، وطريقة انتشاره، ووصوله إلينا اليوم. كل هذا، وغيره سوف نتعرف عليه في الفصل الآتي، وهو يختص بتاريخ الإسلام، ونشأته.

الفصل الثاني

التعريف بالإسـلام

الإسـلام هو آخر الديانات الإبراهيـمية التي نزلت في جزيرة العرب على أحد أبناء قبيلة قريش هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ، الذي كان متزوجًا في تلك الفترة من السيدة خديجة المسيحية العقيدة، والإيمان، وكان أحد أقربائها من الرهبان، ويُدعى "ورقة بن نوفل".

عندما رجع محمد ﷺ، ذات يوم إلى منزله على غير عادته بعد أن قطع فترة التعبد التي كان ينذرها تقربًا لله الواحد القهار، ونزل من غار حِراء، وهو يتصبب عرقًا، ويطلب من زوجته أن تدثره باللحاف، والأغطية من شدة الألم .. برد، رعاف، لكنها ليست الحمة؛ وإنما هو هول الوحي الذي نزل على محمد ﷺ، يأمره بالقراءة، وهو أمي.

ولد محمد ﷺ، في سنة ٥٧١م، ونزل عليه الوحي عندما بلغ الـ: ٤٠ من عمره، واستمر في تبليغ رسالة الأديان الإبراهيمية لمدة ٢٣ سنة حتى توفاه الله. فما هو الإسلام الذي دعى إليه النبي الآتي من جزيرة العرب؟

والأرجح أن ولادة النبي المختار ﷺ، ما بين ٥٧٠ - ٥٧١م، بحسب حديث ابن المثنى، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن المطّلب بن عبد الله بن قَيْيس بن محرمة، عن أبيه، عن جدّه، قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ، عام الفيل، قال: وسأل عثمان بن عفان قباث بن أشيم، أخا بني عمرو بن ليث: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ قال: رسول الله أكبر مني، وأنا أقدم منه في الميلاد، ورأيت خذق الفيل أخضر محيلاً بعده بعام، ورأيت أمية بن عبد شمس شيخًا كبيرًا يقوده عبده. فقال ابنه: يا قَبَاث، أنت أعلم وما تقول. وحدثت عن هشام بن محمد، قال: ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ، لأربع وعشرين مضت من سلطان كسرى انو شِرْوان، وولد رسول الله ﷺ، في سنة اثنتين

وأربعين من سلطانه[١] .

أولاً: الجو العام

ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي في الجزيرة العربية: "مكة، والمدينة". لقد كانت مكة في القرن السابع الميلادي مركز تجاري، وكانت قوافل العرب تقوم برحلات تجارية، ومن المشهور عنها: "رحلة الشتاء والصيف"، وقد ورد في قرآن المسلمين آيات في شأن هذه الرحلات. وكانت "قريش" القبيلة الأساسية في مكة، وقد كانت لها الزعامة الدينية على العرب، ويعود السبب في ذلك إلى الكعبة التي بناها إبراهيم مع ابنه إسماعيل، عليهما السلام، وكانت دعوة للدين، والتوحيد. ثم تحول الدين مع مرور الزمن إلى وثنية، وتحولت الوحدانية إلى الشرك، والعياذ بالله. ثم أصبحت مكة مركز هذا الدين، وقد وضع صنم لكل قبيلة للعبادة، وكان العرب ذو الأغلبية الوثنية يقصدونه من كل مكان، أما الأقليات العربية: فقد كانت مسيحية، ويهودية في يثرب، وهي تقع حوالى ٤٠٠ كليومترًا شمال مكة، وقد تركزت بها آنذاك الجاليات الحبشية.

اهتم العرب في هذه الفترة بقضايا الشعر، والنثر، وإقامة أسواق للشعر مثل "سوق عكاز". واشتهر العرب في تلك الحقبة بالحكم والأمثال. ولم يكن في تلك الفترة عطاء فكري، ولا عقائد مطروحة على صعيد عملي.

ثانيًا: الوضع السياسي

كانت جزيرة العرب في ذلك الوقت مفتتة سياسيًا، إذ لم يكن يجمعها كيان سياسي واحد. وكان لكل قبيلة حاكم، وتنازعت الصراعات بين الحكام، والزعماء، وقد بلغ مبلغه قبيل ظهور الإسلام. ومما يبرز هذا الصراع، ما قد ورد في النصوص الدينية ذاتها كـ: "تنازعنا الملك نحن وبني عبد مناف. أطعموا، أطعمنا، سقوا، وسقينا، فلما تحازينا على الركب، قالوا: منا نبي يأتيه وحيٌ من السماء .."[٢] . وقد

---

(١) الطبري، أبو جعفر بن جرير (ت. ٣١٠ هـ)، *تاريخ الطبري، تاريخ ما قبل الهجرة النبوية الشريفة*، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩١م، ١/ ٤٣٥ - ٤٥٦، وابن جابر، أحمد بن يحيى (ت. ٢٧٩ هـ)، *جمل من أنساب الأشراف*، تحقيق: د. سهيل ذكار، ود. رياض زركلي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ص ص: ٨٧ - ٨٩ .

(٢) لمزيد من المعلومات حول شئون العرب، وتنازعهم الملك قبل ظهور الإسلام، راجع: الألوسي، محمود، *بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب*، (٣مج).

تمثلت الصراعات في تحالفات - عشائرية، وقبلية - متنوعة.

ثالثا: الوضع الأخلاقي

اهتم العرب بالشرف، والفروسية، والكرم. وقد انعكس ذلك على أقوالهم، ومن بينها أقوال جعفر ابن عم النبي ﷺ، التي تُبرز حالة الحرب، والصراع المريرين التي مرت بها القبائل العربية، وغير العربية في جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام، إذ يقول: "كنا قومًا أهل جاهلية. نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف". إن هذا يبين بوضوح الوضع الأخلاقي في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

رابعًا: ملخص لحياة نبي الإسلام، والمسلمين:

ولد محمد ﷺ، سنة ٥٧١م. وقد نشأ يتيمًا، واشتهر في شبابه بالصدق، والأمانة، والاستقامة. ولم يُعرف عنه عبادة الأصنام، أو إتيان أخلاق سيئة كما يُسجل ذلك في السيرة النبوية. وقد جاءت سنة ٦١١م كنقطة بداية لتكليف محمد ﷺ، بالرسالة إلى قومه من أجل هدايتهم إلى الله الواحد القهّار، وهو ما عُرف فيما بعد بـ: "الوحي"، وقد كان ينزل عليه في غار حراء أثناء تعبده، وانفراده عن الجماعة. وقد كانت دعوة محمد ﷺ، في بدايتها سرية للغاية، واستمر هذا الوضع حوالي ثلاث سنوات تقريبًا. ثم انتشرت الدعوة بين الناس، وقد كانت دعوته لدين جديد، وإصلاح ذات البين في شبه جزيرة العرب. وقد نشأ مع الدعوة منذ بدايتها مؤيدين، ورافضين لها. وعندما انتشرت الدعوة الإسلامية، بدأت قبيلة قريش تتأذى من هذه الدعوة. من أجل ذلك حاولت قريش مقاومة الدين الجديد عن طريق إيذاء المؤمنين حتى لا تخسر مكاسبها الاقتصادية، والسياسية بين القبائل العربية.

ونتيجة لهذه الأوضاع، وانتشار القلاقل التي رافقت ظهور الدين الجديد، هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة هربًا من الاضطهاد، باعتبار أنها كانت بلدًا آمنًا لهم في تلك المرحلة. ثم توالت الأحداث، وتعقدت الأمور أكثر مما كان عليه في بداية الدعوة إلى الإسلام، فهاجر نبي الإسلام محمد ﷺ، سنة ٦٢٣م، إلى يثرب، وسُميت بعد ذلك بـ: "مدينة الرسول"، أو "مدينة النبي". وبعد انتشار الإسلام بشكل كامل في المدينة، ونشأ ما يُعرف بـ: المجتمع المسلم، بدأ التنظيم التشريعي لهذا المجتمع من كل النواحي، ووضُعت نصوص قوانين للعلاقات بين القبائل بعضها مع بعض، وبين

المسلمين وغير المسلمين، وبين المسلمين أنفسهم فيما يُعرف بفقه الشريعة. وقد شكل اليهود في تلك المرحلة قوة أمام الإسلام؛ لأنهم كانوا ثلاثة قبائل في المدينة. ثم عاد محمد ﷺ، إلى مكة سنة ٦٣٠م فاتحًا لها. وابتداءًا من هذه السنة بدأ الإسلام في الإنتشار، وأُزيلت الوثنية من شبه جزيرة العرب حتى جاء اليوم الذي توفى فيه نبي الإسلام، والمسلمين ﷺ، وقد حدث ذلك في سنة ٦٣٢م.

خامسًا: مبادئ الدعوة الإسلامية

قام الدين الإسلامي على الوحدانية المطلقة للذات الإلهية، وهي تتلخص في "الإيمان بالله، ووحدانيته في ذاته .. وصفاته .. وأفعاله". وجاء الإسلام ليدعو إلى وحدة الرسالات السماوية. لقد جاء الأنبياء كلهم برسالة واحدة مكلفين من عند الله حتى يؤمن البشر بوحدانية الله، وكان الإسلام خاتمًا لهذه الرسالات كما يعتقد المسلمون اليوم. وقد انتهج الإسلام منذ بدايته إلى الدعوة الأخلاقية، والتخلق بالأخلاق الصالحة القويمة، وكان هذا من أجل إصلاح مسيرة، وحياة الإنسان التي فسدت بتغير أخلاقه.

ثم دعا الإسلام إلى عالمية الرسالة الإسلامية، وهذا يعني أن الإسلام لم يكن لمجموعة العرب الموجودين آنذاك أمام نبي جزيرة العرب ﷺ، في مكة أو المدينة. لقد جاء الإسلام بدعوة للبشرية جمعاء كما يعتقد المسلمون، وليس لمجموعة قومية واحدة أو عشائر قبلية. وقد جاء هذا الدين الجديد لينظم حياة المسلم بكل نواحيها الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية، ولم يأت ليدعو فقط للعبادة، والتوجه نحو الله في مسائل كـ: الصلاة، والدعاء، والصيام، ومناسك الحج، وغيرها من شئون الدين. وإنما جاء الإسلام لينظم حياة المسلم بحسب المنظور الأول فيما يُعرف بعصر الخلفاء الراشدين، جاء هذا الإسلام من أجل كل شئون الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والعقائدية، والأخلاقية، والتربوية، والسياسية. ولكن الإسلام المعاصر في ظل الأنظمة الشمولية ذات الأحزاب الواحدة التي تُعرف بـ: الحزب الحاكم، كرست بين شعوبها مبدأ لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة من أجل مصالح المحافظة على كراسي الأنظمة، وليس بالمفهوم الأنطولوجي لهذه العلاقات بحسب الفهم الأيديولوجي!

إذًا، كان، ولا يزال الإسلام من المفترض أن يتدخل في جميع شئون الحياة، لولا

محاولة بعض المتحذلقة أن يفصل بين الدين والسياسة، وقد بنى بعضهم نظريات شاملة في هذه الدعوة مؤسسًا آراءه الخنفشارية على مبدأ الإنفصال الذي حدث بين الدين، والسياسة في حادثة - ثقيفة بني ساعدة - الثقيفة.

لقد دعا الإسلام إلى التوازن بين أمور الدنيا، وأمور الآخرة. إذ يتوجب على المسلم أن يعيش دنياه دون أن يغرق بها وينسى أن هناك آخرة. أذًا فقد دعا الإسلام إلى الاهتمام بالآخرة دون الإنفصال عن المجتمع. ودعا الإسلام أيضًا إلى مبادئ العدل الاجتماعية، والتكافل الاجتماعي. هذا، ولا يعترف الإسلام بشئ أسمه "الفروقات القومية"، إذ لا فضل لعربي على أعجميّ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح.

لذا فقد توحدت الجزيرة العربية في حياة نبي الإسلام، والمسلمين ﷺ، وصارت كأنها بلدٌ واحد، وذهب التفتت من قبائل، وعشائر العرب.

سادسًا: ما هي أهم الأحداث بعد وفاة نبي الإسلام، والمسلمين ﷺ؟

جاءت فترة الخلافة الراشدة بعد وفاة النبي ﷺ، سنة ٦٣٢م. وقد كان أصحاب السلطة من المسلمين البارزين الذين عاصروا النبي ﷺ، وكان لهم دور كبير في الدعوة الإسلامية. ويعتبر معظم المسلمين أن هذه الفترة هي من أهم الفترات الناجحة في الإسلام؛ لأنه قد طُبق فيها مبادئ الإسلام الاجتماعية على أرفع مستوى. وكانت أمام الإسلام في هذه الفترة دولتان كبيرتان، لكنهما قد بدأتا بالضعف، وهما: دولة فارس المجوسية، والدولة البيزنطية المسيحية. وقد تهاوت دولة الفرس، وانهارت.

أما دولة بيزنطة فقد تقلصت قوتها، وتراجعت حتى تركيا، ثم دخلها الإسلام لاحقًا. وقد انتشر الإسلام في فترة زمنية صغيرة جدًا مقارنة مع انتشار الديانات الإبراهيمية الأخرى السابقة له، فحوالى ٢٥ سنة، أي ربع قرن من الزمن فقط لا غير، كانت كافية لكي ينتشر فيها الإسلام، ويزدهر، ويزول كل مظهر من مظاهر الاضطهاد، ويفرح المسلمين بانتصاراتهم العسكرية على غيرهم من القوى المعادية. ثم انتشر الإسلام، وتوسع في الأمصار بعد وفاة نبيه ﷺ.

لقد نشأ بعد الخلافة الراشدية الدولة الأموية (٦٦١ - ٧٥٠م) التي كانت تمثل الخلافة الإسلامية بعد الراشدية، ثم تحولت إلى نوع من النظام الملكي. في تلك

الفترة بدأ تعدد ظهور المذاهب العقائدية بين المسلمين فيما يُعرف بالفرق الإسلامية. وتفرق المسلمون بين هذه الفرق. وأهم هذه الفرق التي استمرت في التاريخ الإسلامي، وكان لها أثر كبير في التجاذبات الإسلامية، الفرقة الشيعية في مقابل فرقة أهل السنة والجماعة.

وتُعد الفرقة الشيعية من الفرق الإسلامية المهمة في تاريخ الصراع الديني. فالشيعة ينقسمون إلى طوائف، وأكبرها الامامية الاثنا عشرية الموجودة اليوم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، والمتمثلة في حزب الله، وحركة أمل في الجمهورية اللبنانية. هذا، ويمثل الشيعة في لبنان ٣٤٪ من السكان بحسب الاحصاءات غير الرسمية، مع الغياب التام للاحصاءات الرسمية. ويوجد الشيعة الامامية أيضًا في الجمهورية العراقية حيث يشكلون ٦٠٪ من عدد السكان، كما يوجد شيعة إمامية في البحرين، وغيرها من الدول. وتوجد طائفة الزيدية الشيعية في اليمن، والإسماعيلية، والعلوية المتمثلة اليوم في النظام السوري الحاكم؛ حيث إن نظام سوريا هو علوي على غالبية سنية كما يسكن بعض العلويين في جبل محسن من مدينة طرابلس اللبنانية، وغيرها من الأماكن، وكلهم منشقون من الفرقة الشيعية.

كما توجد في الإسلام فرق أخرى غير أهل السنة والجماعة، وغير الشيعة، وهم: الخوارج وينقسمون إلى طوائف، وملل متعددة منها: الأزارقة، والنجدات، والأباضية، وهذه الأخيرة لا يعتبر معتنقوها أنفسهم من الخوارج، وهم يعيشون اليوم في شمال أفريقيا لا سيما الجزائر. كما توجد البهائية، والأحمدية.

بعد نشأة الدولة العباسية سنة ٧٥٠م بفترة قصيرة، انقسمت المنطقة إلى دول اقليمية ولم تعد سلطة واحدة في نظام الحكم الإسلامي. وكان الاهتمام في تلك المرحلة بالمدن الكبرى؛ لأن بها كثافة سكانية؛ ولأن بها حركة علمية كبيرة مثل: بغداد، والبصرة، والكوفة، ودمشق، والقاهرة.

مراحل الخلافة الإسلامية

لقد مرت الخلافة الإسلامية بمراحل أولية ساهمت بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تشكيل ما يُعرف بـ: الإسلام المعاصر. تمثلت هذه الحقبة في المراحل

الآتية[١]:

المرحلة الأولى: الخلافة الراشدية

الخليفة الأول: أبو بكر الصديق رضي الله عنه: هو عبد الله، وقيل عستق بن أبي قحافة القرشي من بني تيم رضي الله عنه، ثان اثنين إذ هما في الغار. بويع أبو بكر الصديق يوم مات النبي ﷺ، وسمي خليفة رسول الله ﷺ، وكانت خلافته عامين وثلاثة أشهر وثمانية أيام، وقد سُميّ بالصديق؛ لأنه صدق محمد وآمن بما نزل عليه من دون أن يتردد أو يتلعثم أو يفكر في أمره. ولم يفكر للحظة فيما سوف يجنيه أو يحصل عليه بعد دخوله إلى الإسلام؟ لهذا سُميّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

الخليفة الثاني: عمر بن الخطاب القرشي رضي الله عنه: من بني عدي. سمي بالفاروق؛ لأن سيفه، وشجاعته في مواجهة كفار قريش قد فرقت بين الحق، والباطل. وقد أعز الله به الإسلام، ونزل بتصديقه القرآن وكان هو، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما، وزيرين للنبي ﷺ، في حياته، وضجيعين له في مماته. وقد عهد إليه أبو بكر بالخلافة وهو أول من دعي بأمير المؤمنين، وهو من وضع الناس في الديوان بترتيب معتبر كما قال الماوردي[٢] . وترتيب الديوان جاء على

---

(١) راجع: ابن شبة النميري البصري، أبو زيد عمر (ت. ٢٦٢ هـ)، *كتاب تاريخ المدينة المنورة "أخبار المدينة النبوية"* ، تخريج أحاديث وتعليق: علي محمد دندل، وياسين سعد الدين بيان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦، ١/٣٤٥ ـ ٤١٥، و٢/١٥ ـ ٣٠٧؛ ديورانت، ول، *قصة الحضارة*، الجزء الثالث من المجلد الرابع: عصر الإيمان، تعريب: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٣/٧٠. ١٠٥؛ وابن جزي الغرناطي المالكي، محمد بن أحمد، *قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية*، طبعة منقحة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ص ص: ٤٤٩ ـ ٤٥٤؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: المؤرخ (ت. ٧٤٨ هـ.)، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام* .. عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ص ص: ٥ ـ ١٤، ٧٨، ٣٠٣ ـ ٣٠٧، ٥٤٧ ـ ٥٥٤، ٦٢١ ـ ٦٥٢؛ وشبارو، عصام، *الدولة العربية الإسلامية الأولى*، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص ص: ٢٣١ ـ ٢٨٣، والخضري، محمد، *تاريخ الأمم الإسلامية* .. الدولة الأموية، دار الفكر، د.م.، ٢مج، والسيوطي، جلال الدين (ت. ٩١١ هـ.)، *تاريخ الخلفاء*، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ص ص: ٢١ ـ ١٤٠؛ والنجار، عبد الوهاب، *الخلفاء الراشدون*، تحقيق وتخريج: الشيخ خليل الميس، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م؛ وبدوي، عبد المجيد أبو الفتوح، *التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي: من القرن الخامس الهجري حتى سوط بغداد*، الطبعة الأولى، علم المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣م.

(٢) راجع: الخزاعي التلمساني، أبو الحسن علي بن محمد (ت. ٧٨٩ هـ.)، *كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله* ﷺ، من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق: الشيخ أحمد محمد أبو سلامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٩٨١م، ص ص: ٢٤٠ – ٢٤١ .

أساس ترتيب عام، وخاص. ثم استقر الترتيب على تقدم النسب المتصل برسول الله ﷺ. ثم جاء الترتيب العام، وهو ترتيب القبائل، والأجناس حتى تتميز كل قبيلة عن غيرها.

أما الترتيب الخاص، فقد تم ترتيب الواحد بعد الواحد. وقد كثرت الفتوحات في مدة خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر ونصف شهر. وقتله أبو لؤلؤة العلج - العلوج هم الكفرة، ولم يسمح لهم الإسلام بدخول جزيرة العرب كما سنبينه في الباب الثاني - المجوسي، وقتله رضي الله عنه، وهو يصلي بالناس في المحراب.

يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾(١)
وعن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما أنه كان يكتب إلى أمراء الجيوش: لا تجلبوا علينا من العلوج أحدًا جرت عليه المواسي - أي من ينبت عانته يعني من بلغ الحلم من الكفار - فلما طعنه أبو لؤلؤة قال: من هذا قالوا: غلام المغيرة قال: ألم أقل لكم لا تجلبوا علينا من العلوج أحدًا فغلبتموني(٢) .

الخليفة الثالث: عثمان بن عفان القرشي رضي الله عنه: من بني أمية. سُمي ذا النورين لتزوجه بنتي النبي ﷺ، وجمع القرآن في المصاحف، وجهز جيش العسرة. وقد وُلي الخلافة بعد عمر بإجماع أهل الشورى، وجماعة المسلمين. وقتله العامة، وقيل الخوارج، وهو الأرجح. وقد كان النبي ﷺ، وعده بالجنة على ذلك. وكانت خلافته اثني عشر عامًا غير عشرة أيام. وأبرز نقاط ضعفه هو تهاونه مع أقاربه، ووضعهم في مناصب الدولة، وتوزيع الحقائب الوزارية الإسلامية عليهم من دون سواهم من المسلمين الأكفاء كما سجل التاريخ تهاونه مع قريبه الذي تولى على الشام معاوية بن أبي سفيان.

وبعد موت الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، بدأت سلسلة من الفتن، والاضطرابات بين صفوف المسلمين نتيجة تقاتلهم على المناصب، وتنازعهم فيما بينهم على الحكم.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٨ .

(٢) ابن الجوزي، الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، *تاريخ عمر بن الخطاب*، دار احياء علوم الدين، دمشق، ص ص: ٢٣٨ - ٢٤١ .

الخليفة الرابع: علي بن أبي طالب القرشي رضي الله عنه: من بني هاشم، وصهر رسول الله ﷺ، ونسيبه، وأخوه وابن عمه، وأسد الحروب، وبحر العلوم، ومطلق الدنيا.

بويع يوم قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، فانتقل إلى سكنى الكوفة وكان الخلفاء قبله يسكنون بالمدينة. وقتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي الشقي. وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام.

إذاً، فترة الخلفاء الراشدين الأربع لم تكن طويلة بالنسبة للأعمال التي تم إنجازها في هذه المرحلة. وكانت هذه المدة بالأيام، والشهور، والسنين: ٢٣ يوم، و٦ أشهر، و٢٩ سنة بالكمال، والتمام.

المرحلة الثانية: التنازع حتى الخلافة الأموية

في هذه المرحلة، انتهى عهد، وبدأ عهد آخر مغاير لما كان عليه العهد الأول. ولو أن بعض المؤرخين يضعون الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، في مصاف الخلفاء الراشدين.

الخليفة الخامس: الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سبط رسول الله. بُويع يوم ممات أبيه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فبقي ستة أشهر ثم سلم الأمر إلى معاوية تورعًا، واشفاقًا على الدماء، وحفاظًا على وحدة المسلمين. فهل أصلح الحسن رضي الله عنه ما أفسدته مخططات الساسة المسلمين آنذاك؟! لم يسلم الحسن رضي الله عنه، من غدر معاوية بن أبي سفيان بحسب بعض آراء المفكرين؛ لأن معاوية أرسل من يدس للحسن السم في طعامه، وقد كان له ذلك، ومات الحسن رضي الله عنه، ولم تسلم الخلافة الإسلامية من إراقة الدماء من بعده في عهد الحسين أخو الحسن عليهما السلام[1].

وقد قال رسول الله ﷺ: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به فئتين عظيمتين من المسلمين".

---

(١) **تنبيه:** لا تسمي المراجع التاريخية الحسن بن علي رضى الله عنه بالخليفة الخامس، وكذا ما بعده من الخلفاء كما ذكرنا: الخليفة السادس، فالخليفة السابع، فالثامن، وهكذا إننا أدرجنا هذا التسلسل للخلفاء حسب التسلسل التاريخي لهم في الحكم الإسلامي، ولم نلتفت إلى الخلافات الأيديولوجية أو العقائدية أو العرقية أو غيرها حول صحة الخلافة أو عدمها من قبل الفرق الإسلامية لا سيما السنة، والشيعة.

الخليفة السادس: معاوية بن أبي سفيان القرشي رضي الله عنه: من بني أمية كان أبوه سيد قريش وأسلم هو وأبوه يوم الفتح وكان كاتبًا للنبي ﷺ. ولاه عمر بن الخطاب خليفة المسلمين الثاني، الشام فبقي عليها إلى أن قُتل عثمان بن عفان، ثم بايعه الحسن بن علي بن أبي طالب، في ربيع الأول عام واحد وأربعين، وقد سُمي بعام الجماعة.

استوطن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، دمشق هو وسائر خلفاء بني أمية.

قال ول ديورانت في موسوعته، عندما ذكر حكم معاوية: يجب علينا ألا نظلم معاوية. لقد استحوذ على السلطة في بادئ الأمر حين عينه عمر الخليفة الفاضل النزيه واليًا على الشام، ثم بتزعمه الثورة التي أوقد نارها مقتل عثمان، ثم بما دبره من الدسائس البارعة التي أغنته عن الالتجاء إلى القوة إلا في ظروف نادرة، ومن أقواله في هذا المعنى: "لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت" قيل: وكيف يا أمير المؤمنين؟ قال: "إذا مدوها خليتها وإن خلوها مددتها"(١).

و تنسب الدولة الأموية إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان سيدًا من سادات قريش فى الجاهلية.. وكان بنو أمية من المتأخرين فى دخول الإسلام إذ أسلم أبو سفيان بن حرب عند فتح مكة. وبدأت الدولة الأموية في يوم ٢٥ ربيع الأول عام ٤١ هـ، ويُعرف هذا العام بـ: عام الجماعة، وكان هذا بعد مقتل الخليفة الرابع من الخلفاء الراشدين - علي بن أبي طالب رضي الله عنه - على يد أحد الخوارج.

الخليفة السابع: يزيد بن معاوية: أول من عهد إليه أبوه بالخلافة وفي أيامه قتل الحسين بن علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين وكانت وقعة الحرة بالمدينة .

الخليفة الثامن: معاوية بن يزيد بن معاوية: ولي بعد أبيه فبقي أربعين يومًا، ثم ترك الأمر تورعًا ومات بعد ذلك.

الغريب في الأمر، أن من يتركون الخلافة تورعًا، يموتون من بعد ذلك بوقت قليل إما عن طريق السم كما حدث مع الإمام الحسن رضي الله عنه، أو بطريقة غامضة، ومشبوهة. هذا هو التاريخ الإسلامي! ألعل السبب في تقاتل الأفراد، وتنازعهم على

(١) ديورانت، ول، قصة *الحضارة*، عصر الإيمان، ١٣/٨١، مرجع سابق.

الحكم يكون من أجل إطالة أعمارهم؟!

الخليفة التاسع: عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي: من بني أسد. أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وجدته صفية بنت عبد المطلب. وهو أول مولود في الإسلام. قام بمكة أول مدة يزيد فملك على الحجاز، والعراق، وغيرهما إلى أن حاصره الحجاج بن يوسف الثقفي وقتله وصلبه كما كانت عادة الحجاج بعد قتل خصومه.

الخليفة العاشر: مروان بن الحكم القرشي: من بني أمية ولد في حياة رسول الله ﷺ. قام بعد معاوية بن يزيد.

الخليفة الحادي عشر: عبد الملك بن مروان: تمهدت له الدنيا، وقَتَلَ كل من نازعه. وملك بلاد الإسلام شرقًا، وغربًا، وأورث الخلافة أهل بيته وهم على النحو الآتي: الوليد بن عبد الملك، وفي عصره قد تم فتح الأندلس حيث أرسل في عام اثنين وتسعين موسى بن نصير عامل أفريقية في خلافة الوليد بن عبد الملك مولاه طارقًا ابن زياد، ففتحها. ووجد فيها مائدة سليمان عليه السلام، وغيرها من الزخائر بحسب الروايات الإسلامية المذكورة في كتب التاريخ الإسلامي. ووليها جماعة من الولاة إلى أن انقرضت دولة بني أمية بالمشرق[1] .

---

(١) خرج رجل منهم فارًا بنفسه وهو: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان فدخل الأندلس وملكها عام ثمانية وثلاثين ومائة ولذلك سمي بـ"الداخل" واستوطن قرطبة وأقام بها ملكاً ثم ملكها بعده ابنه "هشام بن عبد الرحمن" ثم "الخكم بن هشام" ثم "عبد الرحمن بن الحكم" ثم "محمد بن عبد الرحمن" ثم "المنذر بن محمد" ثم "عبد الله ابن محمد" ثم "عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله" وهو الناصر وهو أول من دعي بالأندلس بأمير المؤمنين. وكان جيشه مائة ألف، وكان يعطيهم ثلث جبايته ويختزن ثلثها ويتصرف في ثلثها وكانت خلافته خمسين سنة، ثم "الحكم المستنصر بن الناصر" وكان محباً للعلم والعلماء، واقتنى من الكتب ما لم يجمعه أحد قط.. ثم "هشام المؤيد بن الحكم" بويع وهو صغير فاستولى على الأمر حاجبه "المنصور محمد بن أبي عامر" وضعف أمر بني أمية إلى أن انقرضت دولتهم في محرم عام سبعة وأربعمائة. وكانت دولتهم بالأندلس مائتي سنة وتسعة وستين سنة وعشرين يوماً. ثم ظهر الشرفاء بني حمود وهم: "علي" ثم "القاسم" ثم "يحيى" وكانت دولتهم سبعة أعوام وسبعة أشهر وثمانية أيام. ثم قام الثوار بالبلاد فقام باشبيلية بنو عباد وبقرطبة بنو جهور وبطليطلة بنو ذي النون وبغرناطة بنو صهناجة وبالمرية زهير وخيران ثم ابن صمادح وبسرقسطة بنو هود وببطليوس ابن مسلمة وبدانية مجاهد ثم جاز إلى الاندلس أمير المؤمنين "يوسف بن تاشفين" اللمتوني صاحب المغرب وقومه المسمون بـ"المرابطين"" فقتل المتوكل به مسلمة وأولاده وخلع المعتمد بن المتعضد بن عباد وعبد الله حفيد باديس بن حيوس صاحب غرناطة وغيرها عام أربعة وثمانين واربعمائة وملك الأندلس مع العدوة ثم ملكها بعد ابنه "علي بن يوسف" وقام ببلاد الأندلس قضاتها على اتفاق منهم نظراً للمسلمين فقام بقرطبة ابن حمدين وبغرناطة ابن أضحى ويحيان أبو بكر بن عبد الرحمن بن جزي. (جزي، محمد، *قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية*، ص ص: ٤٥٢ - ٤٥٣، مرجع سابق).

ثم تولى سليمان بن عبد الملك، ثم عمر بن عبد العزيز بن مروان الإمام العادل ذو الفضائل المشهورة[1] .

ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، ثم الوليد بن يزيد، ثم يزيد بن الوليد، ثم إبراهيم بن الوليد، ثم مروان بن محمد بن مروان، وهو آخر خلفاء بني مروان، وقد قُتل في ربيع عام اثنين وثلاثين ومائة. كانت جملة حكم دولة بني أمية، بالأيام، والشهور، والسنين هي: ١٧ يوم، و١١ شهر، و٩٠ سنة بالتمام، والكمال.

المرحلة الثالثة: الخلافة العباسية

قاموا بخرسان، واستوطنوا بغداد، وملكوا بلاد الإسلام شرقًا، وغربًا إلا الأندلس، وأفريقية، ومصر، في دولة بني عبيد الله.

أول من وُليّ منهم الحكم هو أبو العباس السفاح. واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب. وقد لُقب بالسفاح نتيجة منهجه في قتل أعدائه، وسفك دمائهم! بُويع بعد مروان بن محمد. وقَتّلَ كثيرًا من بني أمية. ثم استلم الحكم من بعده أخوه أبو جعفر المنصور، ثم محمد المهدي بن المنصور، ثم موسى الهادي بن المهدي، ثم هارون الرشيد بن المهدي، ثم محمد الأمين بن الرشيد، وهو المخلوع. ثم تولى الحكم من بعده عبد الله المأمون بن الرشيد، ثم الواثق بن المعتصم، ثم المتوكل بن المعتصم، ثم المنتصر بن المتوكل، ثم المستعين، ثم المهدي، وكان حاكمًا صالحًا عادلاً، ثم حكم من بعده المعتضد، ثم المكتفي، ثم المقتدر، ثم القاهر، ثم الراضي، ثم المتقي، ثم المستكفي، ثم المطيع، ثم الطائع، ثم القادر، ثم القائم، ثم المقتدي، ثم المستظهر، ثم المسترشد، ثم الراشد، ثم المقتفي، ثم المستنجد، ثم المستضئ، ثم الناصر، ثم الطاهر، ثم المستنصر، ثم المعتصم، وهو آخرهم.

قُتل ببغداد عام ستة وخمسين وستمائة، وكان عدد الخلفاء العباسيين سبعة وثلاثون خليفة.

إذاً، جملة حكم دولة العباسيين: خمسمائة وأربعون سنة بالتمام، والكمال.

---

(١) يعتبر البعض أن الخلفاء الراشدين خمسة؛ لأن عمر بن عبد العزيز بن مروان هو خامس الخلفاء الراشدين.

المرحلة الرابعة: الخلفاء الموحدين

ظهر المهدي محمد بن عبد الله الحسني بالمغرب عام خمسة عشر وخمسمائة واجتمع عليه قوم يسمونه بالموحدين، فجرى بينه وبين المرابطين حرب إلى أن توفي عام أربعة وعشرين وخمسمائة. فقام خليفته عبد المؤمن بن علي القيسي، فملك المغرب كله، وأفريقيا، والأندلس وتسمى الخليفة آنذاك بـ: أمير المؤمنين، وعظم ملكه وساعدته دولته. ثم تولى ابنه من بعده، وهو أبو يعقوب يوسف، ثم ابنه المنصور أبو يوسف يعقوب. وكان أبو يعقوب يوسف عالمًا محدثًا. ألف أبو يعقوب كتاب "الترغيب في الصلاة"، وحمل الناس على الظاهرية، وأحرق كتب المالكية.

ثم تولى من بعده ابنه محمد الناصر بن المنصور، ثم المستنصر أبو يعقوب يوسف بن الناصر، ثم عبد الواحد بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن، وهو المخلوع. ثم تولى من بعده العادل عبد الله بن المنصور، ثم المأمون أبو العلاء ادريس بن المنصور، ثم يحيى بن الناصر، ثم الرشيد عبد الواحد بن المأمون، ثم السعيد علي بن المنصور، ثم المرتضى عمر بن إبراهيم بن إسحاق بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن، ثم الواثق، المعروف بأبي دبوس وهو ادريس بن أبي عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن، وهو آخرهم. وقد قُتل الواثق في محرم سنة سبعة وستين وستمائة، وكان عدد الخلفاء الموحدين بعد ظهور المهدي ثلاثة عشر خليفة عدًا، ونقدًا.

وقد انقرضت دولتهم بالأندلس بعد قيام أمير المؤمنين المتوكل محمد بن يوسف بن هود داعيًا لبني العباس عام أربعة وعشرين وستمائة.

ثم ظهر أمير المسلمين الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر عام تسعة وعشرين وستمائة. وملك حضرة غرناطة واستوطنها عام خمسة وثلاثين، وملك ما بقي للمسلمين من بلاد الأندلس، وأورثها أهل بيته.

ثم انقرضت دولة الموحدين بني عبد المؤمن بقيام بني حفص عليهم بتونس، وقيام بني عبد الواد بتلمسان بالجزائر، وقيام بني مرين بالمغرب.

إذًا، جملة حكم دولة الموحدين كانت: مائة سنة واثنان وخمسون سنة بالتمام، والكمال[1].

(١) المهدي بن تومرت، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي (ت. ٥٢٤ هـ)، *حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب*، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص ص: ٩٢ - ٩٣.

لقد ربط كثير من المفكرين بين الخلافة، والسلطنة، والحكم في الدولة الإسلامية بمنهج الاستبداد؛ لأن الخليفة المسلم لا يترك سدة الحكم إلا بعد موته أو خلعه من أحد أقربائه، أو قتله، أو نفيه أو قيام نظام إسلامي مخالف للنظام الذي كان موجودًا إبان المكفوت له من الحاكم المسلم(١)

وبعد هذه القراءة التاريخية في عصر الخلافة، والخلفاء المسلمين، يمكننا القول أن أساليب الخلافة، والوصول إلى السلطة في الدول الإسلامية قد انحصر في ثلاثة طرق لا غير، وهي على النحو الآتي:

الأول: التعين: أن يقوم خليفة المسلمين بتعيين من يتولى الحكم من بعده، ويكون التعين قبل موته، وأمام أشهاد الناس، أو بعض منهم كما عين الخليفة الأول للمسلمين أبو بكر الصديق من يأتي بعده، فاختار لهذا عمر بن الخطاب الخليفة الثاني من خلفاء المسلمين، والملقب بأمير المؤمنين.

الثاني: التزكية: وذلك بأن يرشح خليفة المسلمين عددًا معينًا ممن يرى أنهم جديرون بتولي الخلافة من بعده. ثم يترك الأمر لمشورة المسلمين من بعد موته، لينتخبوا واحدًا منهم بعد موت الخليفة. وقد فعل ذلك عمر بن الخطاب حيث رشح بقية الصحابة المبشرين بالجنة، وكانوا عشرة، ولم يتبق منهم عند موت عمر إلا ستة، فرشحهم جميعًا للخلافة من بعده، وترك الأمر للمسلمين بحيث لا يخرج الحاكم عن هذه الأسماء.

الثالث: لا يعين خليفة المسلمين أو يزكي أحد بالخلافة من بعده، ويترك الأمر للتشاور فيما بين المسلمين بعد وفاته، لينتخبوا بديلاً عنه. هذا، ولم يحدد النظام

---

(١) ثمة خلط بين الشورى والاستبداد: إن الاستبداد يقال على معنيين: أحدهما: تصرف الواحد في الكل، على وجه الإطلاق في الإرادة، إن شاء وافق الشرع والقانون وإن شاء خالفهما، فيكون اتباع النظام مفوضًا إليه وحده، إن أراد قام به وإن لم يرد لا يؤخذ عليه، وهو الاستبداد المطلق. وأن تكون في يده جميع السلطات، والصلاحيات. فهو وحده القائد الأعلى للقوات المسلحة، وهو رئيس النظام، ولا يمكن تغيير شئ إلا بأمر نافذ منه، وله صلاحيات واسعة في حل البرلمان، واسقاط الحكومة، وتغيير وزرائها، وتعيين المحافظين، ومدراء الجامعات، وغيرها من الصلاحيات حتى إنه يقوم بتعيين رأس السلطة الدينية. وثانيهما: استقلال الحاكم في تنفيذ القانون المرسوم والشرع المسنون، بعد التحقق من موافقتهما على قدر الإمكان، وهذا بالحقيقة لا يسمى استبدادًا إلا على ضرب من التساهل وإنما يسمى في عرف السياسيين توحيد السلطة التنفيذية. (عبده، محمد، *ديوان النهضة ـ الإمام محمد عبده*، اختيار نصوص وتقديم: أدونيس، وخالدة سعيد، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص ص: ١٢٨ - ١٢٩).

الإسلامي بدقة طريقة البحث في تولى سدة الرئاسة، والدولة، ولم يجزم بكيفية انتخاب خليفة المسلمين، ولذلك نرى في معظم فترات الحكم الإسلام هذه الثغرة، ولهذا آلت الخلافة إلى الوراثة فأصبحت شبيهة بالملكية، وغاب عن دولة المسلمين الحريات السياسية فيما يُعرف بـ: "التداول على السلطة".

وانتشر الفساد، والمحاباة بالوجوه، والتسلط على كراسي الحكم، والانتهاك الفاضح لحقوق الإنسان، وعدم السماح لمبدأ التداول على السلطة، واستغلال فكرة الفتنة، والتلويح بها إذا أراد جمهور المسلمين أن يخلعوا الحاكم من على كرسي الحكم!

ونتيجة لمعرفة الحاكم لا سيما في الأنظمة الشمولية الإسلامية السنية أن محاولة عامة المسلمين تجنب الفتنة، والرضا بما قسم الحاكم الظالم لهم، والخنوع تحت سيطرة وقبضة السلطة بواسطة مخالبها الأمنية. ومن هنا برزت إشكالية تغيير نظام الحكم في التاريخ المعاصر لا يكون إلا بتقويض نظام الحكم، والدولة، والعياذ بالله كما حدث في نظام صدام حسين البائد!

لم يكن لدى العرب قبل الإسلام عمل حضاري يذكره التاريخ. ولم يكن لديهم أيضًا عمل علمي ينافس الاكتشافات العلمية في تلك الحقبة؛ وإنما تركز جل نشاطهم العلمي أو الثقافي في الشعر، والنثر، والأسواق. ولهذا فإن تلك المرحلة قد عكست نشاط العرب، وبينت ميولهم.

أما بعد مجئ الإسلام، ونزول الوحي، وجمعه في كتاب مقدس يسميه المسلمون "القرآن الكريم"، ويحيطونه رعاية، وحفظًا، فقد اختلف الوضع إلى حد ما. وقد كانت بداية اللغة العربية غير معجمة، فقد كانت الكتابة من دون أي نقط! ومن دون أي تشكيل على غرار ما يحدث اليوم أي، من دون فتحة، ولا ضمة، ولا كسرة، ولا حتى نقطة.

ونتيجة الاهتمام بالقرآن الكريم، وتدوينه، وضبط التلاوة والقراءة الصحيحة له، اهتم المسلمون بعد انتشار دينهم بهذه الشئون لا سيما بعد دخول العجم إلى الإسلام، وانتشار غير العرب بين المسلمين. فنتج عن ذلك قراءة غير صحيحة من قبلهم أي من قبل العجم - غير العرب -. لذا تم وضع النقط والتشكيل. فبدأ يظهر نتيجة هذا العمل ما يُعرف الآن بـ: "علم اللغة"، و"قواعد اللغة العربية" من "علوم

البلاغة"، و"علوم البيان"، و"علوم المعاني"، وغيرها. وقد أعطى هذا ميزة للعرب، ولنصوصهم لا سيما المقدسة منها؛ لأن أي إنسان يستطيع أن يقرأ نص عربي موجود من ١٢٠٠ سنة بنفس الطريقة التي كان يقرأ بها أصحابها هذا النص! ولا نتكلم هنا عن النص القرآني، بل أي نص عربي أو مخطوطة في تلك المرحلة.

إن هذا ليس موجودًا في كثير من اللغات غير العربية؛ لأن اللغات قد تطورت كثيرًا، ومن يريد أن يقرأ نصًا فعليه فهم اللغة القديمة أولاً قبل أن يستطيع فهم النص الموجود بين يديه.

إذًا، ضبط اللغة مبكرًا، ساعد كثيرًا على حفظ اللغة العربية من الضياع. وكما حدث مع القرآن الكريم، يمكن القول أنه نتيجة الاهتمام بالحديث النبوي الشريف، فقد بدأ تدوين الأحاديث بعد وفاة نبي الإسلام، والمسلمين ﷺ؛ لأنها تحتوى على أحكام الدين خصوصًا فيما يتعلق بالقضايا التفصيلية، ولهذا نشأت علوم أخرى كـ: كتابة الأحاديث، ونشأ عن ذلك علم اسمه "مصطلح الحديث" الذي يتبين فيه المسلم كيفية ضبط الرواية، أي: رواية الحديث النبوي عن النبي ﷺ، بمعنى: كيف تتأكد أن هذا الحديث صادر عن النبي أم لا، وهل هذا الحديث صحيح أم حديث ملفق، ورواية كذب؟ وقد كانت هذه القواعد، والضوابط. إذًا، لا يمكن القول بأن هذه رواية إلا بعد الإتيان بسند لها. إن هذا ينطبق أيضًا عند قراءة الشعر، فنقول: قال فلان عن فلان. إذًا، تم وضع ضوابط علمية في المجتمع ، ونتيجة لهذا كله، فقد ظهر علم الأدب، وظهر الاهتمام بالتاريخ أي: كتابة السيرة النبوية، وظهرت حركة التشريع، وتطبيق الأحكام الدينية في القضايا الاجتماعية، والمالية.

من هذا أيضًا، نشأت حركة الاجتهاد: وهو وضع أحكام تطبيقية استنباطًا من القواعد الأساسية بالدين. وقد سبب كل هذا حركة علمية في البلاد العربية، والإسلامية. ليس هذا فحسب، بل طال الأمر العلوم الحياتية أيضًا. فبدأت حركة الترجمة في عصر الخليفة المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ)، وبدأ الاهتمام بالعلوم المختلفة كمعرفة أوقات الصلاة، وارتباطها بحركة الشمس من شروق، وغروب. وتم ترجمة المؤلفات، وزادوا عليها. واهتموا بإنشاء المكتبات.

ونتيجة الفتوحات الإسلامية، وغزوات المسلمين، تم الاهتمام بالجغرافيا، والطوبغرافيا، والاهتمام بالخرائط. ونتيجة لهذه الحركة العلمية اخترع العرب الصفر.

ثم نشأ ما يُسمى بالتصوف الإسلامي، وبدأ التعرف إلى الملل والنحل الإسلامية. ونشأت مراكز علمية جديدة في : القيروان، وقرطبة، وصقلية. ثم تعرض الإسلام إلى هزات عنيفة وأهمها :

١) التتار أو المغول، وقد جاءوا من حدود الصين، وسقطت بغداد عاصمة المسلمين آنذاك سنة ١٢٥٦م في يد جيوش المغول.

٢) الهجمة الصليبية من القوى الأوروبية، وتوالي الحملات الصليبية على أراضي الإسلام، والمسلمين، وكان عددها ثمانية في الفترة الممتدة ما بين سنة ١٠٩٦ إلى سنة ١٣٠٠م أي: حوالى ٢٠٠ سنة من الصراع العسكري الكبير بين الشمال، والجنوب ناهيك عن الحملات الصليبية غير المنظمة التي كان يقودها العوام، وهي غير معلومة العدد.

٣) الاستعمار البريطاني البغيض الذي دوخ العالم الإسلامي في الألفية الثانية كما يدوخه اليوم الاستعمار الأميركي اللعين. وسقوط العاصمة بغداد على يد الجنود الأميركان المرتزقة في سنة ٢٠٠٣م.

٤) الحرب على الإسلام والمسلمين من قِبل الغرب الأميركي، والأوروبي الحاقدين، واسقاط العواصم الإسلامية كـ: بغداد، وكابول، وضرب الصومال، ومحاولة ضرب طهران، وإسلام آباد، والسودان!

وقد أتعبت هذه الصراعات الأمة الإسلامية، فأي بلد يدخل حروبًا تُنهكه سياسيًا، واقتصاديًا، وغيرها، لا بد أن يلاقِ نفس المصير أو ربما أكثر. ثم ظهرت بعد ذلك مدن جديدة كـ: القاهرة، ودمشق، والمغرب. وظهرت لاحقًا الدولة العثمانية، واستمرت زهاء ٥٠٠ سنة، أي خمسة قرون عُرفت بـ: الامبراطورية العثمانية الإسلامية.

ثم بدأ التراجع الحضاري، والسياسي، والعلمي عن العالم الإسلامي ابتداءًا من القرن السابع عشر. وبدأت الدولة العثمانية بالإنحلال منذ ذاك الوقت رغم بقائها بعد ذلك فترة كبيرة على سدة الحكم في المنطقة.

وبدأ الغرب الأوروبي كعادته يغزو البلاد الإسلامية، فظهر الاستعمار من الهند حتى المغرب العربي، وهو ما قد سُميّ بالاكتشافات آنذاك؛ وإنما هو استعمار بكل معنى الكلمة من استعمار.

تلاه هجمة فكرية ثقافية استطاعت أن تضرب الفكر الإسلامي وتضعفه إلى حد كبير، وقد ترافق ذلك مع الاستشراق، والتبشر، في ظل المستعمر الغربي الأوروبي من بريطاني، وفرنسي، وإيطالي، وهولندي، وحتى الأسباني، وقد رسم هذا المستعمر صورة سيئة عن الإسلام، وعن المسلمين في تلك المرحلة، وما تلاها من مراحل، وقد استمر هذا إلى نهاية القرن العشرين.

ثم ظهرت الحملات الصليبية الحديثة فيما يُعرف بـ: الحرب على الإرهاب، وما هي إلا حرب على الإسلام والمسلمين من قِبل الغرب الأوروبي الحاقد، ومعه الاستعمار الجديد في المنطقة المتمثل بالامبراطورية الأميركية المعاصرة!

سابعًا: وضع المجتمعات الإسلامية المعاصر

لا تمثل المجتمعات الإسلامية الحالية أصالة الإسلام، إذ هي مجتمعات تعيش أثر ضربات فكرية، وأثر استعمار قاصي، ومرير، وتتفاعل فيها المشاكل، ويؤثر فيها الفكر الغربي على الفكر الإسلامي إن كان موجود أصلاً في ظل غياب المؤسسات التي يمكن لها أن تتصدى لهذه الغزوات!

إذًا، لا يمكن القول أن الفكر الإسلامي هو المسيطر، بل الفكر الغربي الأوروبي، والأميركي هما المسيطران على الساحة الإسلامية المعاصرة، إلا في نواحي محدودة مثل: "الشعائر، والصلاة، والعبادة، والصيام، وشعائر الحج، والزواج، والطلاق"، وحتى هذه، يُريد الغرب التدخل فيها، وتغيير مناهج التعليم.

هذا، ولا يوجه التفكير الإسلامي الحياة بشتى نواحيها مثلما كان موجودًا في قديم الأزل. وقد أصبح الإسلام في الوقت الراهن غير مؤثر إلا في النواحي الدينية المحضة، وُيعمل الآن في بعض البلدان ذات الأكثرية المسلمة على التأثير حتى في هذه النواحي عن طريق تغيير برامج التعليم فيها، وإدخال ما يُعرف بمنع الحض على الكراهية، والعنف، وهي برامج لا ترقى بأي حال من الأحوال لهذه الغاية؛ وإنما السبب الرئيس منها هو السيطرة على حياة المسلم اليومية، وملاحقته من جميع الجهات لا سيما من الداخل؛ لأن عدو في الداخل خير من ألف عدو خارج حدود الوطن أو المنزل أو البيت الكبير للمسلم!

أما في الحياة العامة فالإسلام الآن غير مؤثر خصوصاً بعد فترات الاستعمار المتعاقبة، والمتلاحقة. وجل ما يحدث اليوم هو محاولة إعادة الفكر الإسلامي لكي

يوجه المجتمعات، ومحاولة خجولة للتخلص من التفكير الغربي، وثقافته المنحرفة.

إن هذه المحاولة يسميها الغرب "الأصولية"، وهو ليس مصطلحًا عربيًا؛ لأن عِلم الأصول في الفقه: هو استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الشرعية، وليس الأصولية بمفهومها الحديث الغربي. ولهذا نرى الغرب الأوروبي، والأميركي يشن حملة شعواء ضد الأصولية الإسلامية، ويساعده في ذلك بعض الحكام العرب، والمسلمين من أجل الحفاظ على كراسيهم، والبقاء أطول فترة ممكنة من الحكم في ظل أنظمتهم الدكتاتورية التي لا تخطط إلا لشئ أسمه القضاء على مبدأ التداول على السطلة، وحصر الحكم فيهم، وفي أزلامهم أو أولادهم إن أمكن لهم ذلك!

لقد حاول العالم الإسلامي العودة إلى تراثة، لكن محاولة رفضه للإستعمار، واسرائيل تترافق أحيانًا مع العنف، لذا فتتحول الأنظار إلى أن الأصولية تترافق مع العنف، والتصق الإرهاب بمصطلح الأصولية بعد أن نجح الغرب الأوروبي بمساعدة العملاء من الحكام العرب، المسلمين على ذلك العمل الشائن.

وقد نسي الغرب الأوروأميركي الحاقد أن من حق كل شعب التعبير عن تاريخه، وشخصيته، وثقافته أي: هويته.

هذا، والإسلام ليس دين التقوقع كما يتصور كثير من المفكرين الغربيين؛ وإنما دين الانفتاح على الآخر. فمن خلال محاولة العالم الإسلامي اثبات شخصيته، يدعو إلى التفائل الحضاري، وليس الانزواء الحضاري، والتعايش مع الأديان، وليس الصراع معها، وكلها أمور نظرية لا ترقى إلى التطبيق العملي في شيء من الواقعية المعاصرة.

والبرهان دائمًا، وأبدًا، يكون من الماضي، فقد أخذ العالم الإسلامي من الحضارات وعاش معها، أما عندما دخلت فرنسا أسبانيا عملوا على إضطهاد شامل على اليهود، والمسلمين معًا.

هذا، وينادي البعض في الألفية الثالثة وما قبلها بالحرية، وحقوق الإنسان، والديمقراطية، والحوار الحضاري، والحوار الديني، ثم يأخذون بعض السلبيات الصغيرة ويضخمونها. والحقيقة التي لا مناص عنها هو أن هناك فرق بيّن، وواضح بين الممارسة في الإسلام، والقانون الإسلامي الذي لا يرقى إلى التطبيق! فالممارس قد يخطئ، ويصيب، ولا يعني خطأه هذا أن ثمة خطأ في القانون الإسلامي. ولكن

الصورة تبدو قاتمة جدًا؛ لأن السبب في ذلك يعود إلى أن الخطأ أكبر من الصواب، وأصبح عالم الإسلام والمسلمين يتشح بالسواد نتيجة حكم الأقليات، وسيطرة الأنظمة الحاكمة، وكثرة الدكتاتوريات، وقلة الحريات، وخرق الأنظمة الحاكمة، وانتهاكها الدائم لحقوق الإنسان، وفتح المعتقلات، والسجون أمام أصحاب الآراء السياسية أو الدينية، وغيرها من الممارسات القمعية من دون أن تبدو بارقة أمل في التغيير لغد أفضل!

ونكتفي بهذا القدر من عرض، وتعريف بالإسلام؛ لأن الفصل الأول من الباب الثاني يقدم مزيدًا من المعلومات التي من شأنها أن تُعطي قراءة واضحة لفترات حكم الإسلام، ولا سيما في العصر الراهن.

ولما جاء هذا الكتاب من أجل أن يبين طبيعة المسيحية، وطبيعة الإسلام، فقد احتوى الباب الأول منه على تعريف بالمسيحية، وتعريف بالإسلام، وكذلك الأمر في الباب الآتي الذي سوف يُلقي ضوءًا أكثر على مسيحية الديانات الإبراهيمية، ويضعها في إطار مقارن ما بين الأمس، واليوم. وكذا الحال بالنسبة إلى الإسلام خاتم الأديان الإبراهيمية.

ولهذا جاء الفصل الأول من الباب الثاني مكملاً لما قد شرعنا في الحديث عنه في الباب الأول. ولأن المسيحية منذ بداية الإسلام، وظهوره قد صُنفت في الفقه الإسلامي، وفي معاملات المسلمين اليومية على أن أصحابها، ومعتنقوها هم أهل ذمة، لزم أن نعرف أهل الذمة. فمن هم أهل الذمة؟ وهل ثمة أهل ذمة في المسيحية على غرار أهل الذمة في الإسلام؟ هذا ما سوف نعرفه في المباحث الأتية.

الباب الثاني

المسيحية والإسلام مرايا متقابلة

صحيح أن الإسلام والمسيحية مرايا متقابلة؛ وإنما هي مرايا مشروخة؛ لأن كل واحد منهما لا يستطيع أن يرى تفاصيل الآخر إلا من منظاره هو!

فالإسلام منذ ظهوره وإلى يومنا هذا يصنف المسيحية على أنها ديانة الشرك بالله، وأن المسيحيون أتباع هذه الديانة هم أهل ذمة. ويتوجب على المسلمين أن يطردوا الشرك وأهله من جزيرتهم أي جزيرة العرب!

في الجهة المقابلة، وفي خصوص أحد المرايا المشروخة للمسيحية نجد أن المسيحية، والمسيحيون يصنفون الإسلام، والمسلمين على أنهم غزاة، ورجال حرب، أقاموا إسلامهم على دماء كثير من الضحايا، والأبرياء!

إنها حكاية المرايا المتقابلة، وليست متقابلة فحسب؛ وإنما هي مرايا مشروخة.

الفصل الأول

أهل الذمة في الإسلام

من هم أهل الذمة؟

المعنى اللغوي لأهل الذمة:

جاء في القاموس المحيط أن الأصل يرجع إلى: ذِّمامُ والمَذمَّةُ: الحق، والحُرْمَةُ. والذِّمامُ: كل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة، ومن ذلك يسمى أهل العهد "أهل الذمة"[١]، وهم الذين يؤدون الجزية من المشركين كلهم. ورجل ذِمِّي: معناه رجل له عهد. والذمة: العهد منسوب إلى الذمة؛ قال الجوهري: أهل الذمة هم أهل العقد. قال: وقال أبو عبيدة الذمة الأمان في قوله ﷺ: "ويسعى بذمتهم أدناهم"[٢] . وقوم ذمة: معاهدون أي ذوو ذمة.

أذًا، الذِّمَّة: كل حركة يلزمك من تضييعها الذم، ويقال لها ذِمة، وتُجمع على ذم، وذمام، وذمم[٣] .

المعنى الفقهي لأهل الذمة:

استعمل الفقهاء هذا المصطلح بمعنى "العهد"، واستعملها بعض الأصوليين بمعنى "أهلية الوجوب"، وجاء في المُغرب أن الذمة تُطلق على محل الالتزام كقولهم: ثبت في ذمتي، وبعض الفقهاء يقولون هي محل الضمان والوجوب، وبعضهم يقول هي معنى يصير بسبب الآدمي على الخصوص أهلاً لوجوب الحقوق له وعليه[٤] . وجاء في القاموس الفقهي: الذمة: الذات والنفس. ومنه قولهم: ثبت المال في ذمته، وبرئت ذمته. لأن النفس والذات محل الذمة. وهو تسمية للمحل باسم الحال، والجمع ذمم، وقد يحمل المصطلح معاني متعددة مثل: العهد، والأمان: وفي الحديث الشريف:

---

(١) الفيروزآبادي، أبو اسحاق، القاموس المحيط، باب الميم فصل الذال، ٤/٦٥ .

(٢) ابن منظور، لسان العرب، حرف الميم، فصل الذال، ١٢/٢٢٠ - ٢٢٣ .

(٣) الكفوي، معجم الكليات، ص ص: ٤٥٣ ـ ٤٥٤ .

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٩٩٢م، ٢١/ ٢٧٤ - ٢٧٩ .

"ذمة المسلمين واحدة" أي: أمانهم صحيح فإذا أمن واحدٌ منهم الكافر حرم على غيره التعرض له. سواء كان المسلم رجلاً، أو امرأة، حرًا، أو عبدًا، شريفًا، أو وضيعًا؛ لأن المسلمين كنفس واحدة. وعقد الصلح: ومنه الحديث الشريف: "وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك، وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذمتكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله"، والكفالة، والحق، والحرمة: ومنه الحديث الشريف: "من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا، فقد برئت منه ذمة الله". وأهل الذمة: المعاهدون من أهل الكتاب، ومن جرى مجراهم. والذمي: هو المعاهد الذي أُعطي عهدًا يأمن به على ماله، وعرضه[١] .

مصطلح "أهل الذمة" عند فقهاء المذاهب:

عند الحنفية[٢]: وصف شرعي به الأهلية لوجوب ما له، وما عليه.

عند الشافعية[٣]: وصف قائم بالإنسان، صالح للإلزام، والإلتزام، وهو يزول بالموت.

عند المالكية[٤]: معنى شرعي، مُقدر في المكلف، قابل للإلزام، واللزوم.

---

(١) أبو جيب، سعيد، القاموس الفقهي، ص. ١٣٨ .

(٢) نسبة إلى الإمام أبو حنيفة، وهو: النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة (ت. ١٥٠هـ). قيل: أصله من أبناء فارس. ولد ونشأ بالكوفة. وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء. وأراده عمر بن هبيرة (أمير العراقين)، على القضاء، فامتنع ورعاً، ويقال أن المنصور العباسي حبسه حتى مات عندما رفض القضاء، وتنسب إليه رسالة "الفقه الأكبر" (الزركلي، خير الدين، *قاموس تراجم الأعلام*، الطبعة التاسعة، ١٩٨٦م، ٣٦/٨).

(٣) نسبة إلى الإمام الشافعي، وهو: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة (ت. ٢٠٤هـ)، ولد بغزة بفلسطين، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة ١٩٩ وعاش بها حتى توفاه الله، وقبره معروف في القاهرة، له كتابات كثيرة جداً منها: المسند، واحكام القرآن، والسنن، والرسالة في أصول الفقه، وغيرها. (المرجع نفسه، *قاموس تراجم الأعلام*، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م، ٢٦/٦- ٢٧).

(٤) نسبة إلى الإمام مالك، وهو: مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، ابو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية (ت. ١٧٩هـ)، كان صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، مولده ووفاته في المدينة المنورة، وشي به إلى جعفر عم المنصور العباسي، فضربه سياطاً انخلعت لها كتفه. ووجه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يؤتى؛ فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم، فجلس بين يديه، فحدثه. من أشهر مؤلفاته: "الموطأ"، و"تفسير غريب القرآن"، وغيرها. (المرجع نفسه، *قاموس تراجم الأعلام*، ٢٥٧/٥ - ٢٥٨).

إذًا، الذمة: العهد والأمان جمعها ذمم وأهل الذمة المعاهدون من النصاري، واليهود ممن يقيمون بدار الإسلام، والمطلع على ما قرره الإسلام في حق الذميين من الرعاية وحسن المعاملة والمساواة بالمسلمين في القضاء يدهش ويعد ذلك من المعجزات التي خص بها أهل الإسلام دون سواهم[١] . ولكن الحروب قد خربت ما قد حققته النصوص.

هذا، ويُعَد مصطلح "أهل الذمة" شرعًا مختلف فيه كما ذكر الكفوي[٢] . فمنهم من جعلها وصفًا، وعرّفها بأنها وصف يصير الشخص به أهلاً للإيجاب له وعليه، وظاهر كلام أبي زيد في "التقويم"، يشير إلى أن المراد بالذمة العقل. ومنهم من جعلها ذاتًا، وهو اختيار فخر الإسلام عليه الرحمة، ولذلك عرفها بأنها نفس لها عهد. فإن الإنسان يُولد وله ذمة صالحة للوجوب له، وعليه بإجماع الفقهاء حتى يثبت له ملك الرقبة، وملك النكاح، ويلزمه عشر أرضه وخراجها بالإجماع وغير ذلك من الأحكام، وهذه الذمة الصالحة للوجوب له، وعليه؛ إنما تثبت له بناءً على العهد السابق الذي جرى بين العبد وبين ربه جل وعلا، يوم الميثاق كما أخبر الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾[٣]، حتى التزم بهذا العهد جميع ما يمكن أن يجب عليه من الحقوق عند تحقق أسبابها، فإذا وجد سبب حق ولزم ذلك عليه قيل: وجب في ذمته، أي هذا الواجب مما دخل في عهده الماضي ولزم عليه بحكم ذلك العهد. غير أن الوجوب غير مقصود بنفسه بل بحكمة وهي الأداء على اختيار حتى يظهر المطيع به عن العاصي فيتحقق الابتلاء المذكور في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[٤]، فجاز أن ينعدم الوجوب لانعدام حكمه كما ينعدم بانعدام سببه ومحله.

وقد ذكر التهانوي، أن الذمة أمر لا معنى له، بل هو من مخترعات الفقهاء يعبرون به عن وجوب الحكم على المكلف بثبوته في ذمته. وهذا القول ليس بصحيح إذ في المُغرب للمطرِّزي أن الذمة في اللغة العهد، ويعبر بالأمان والضمان. ويسمى

---

(١) وجدي، محمد فريد، *دائرة معرف القرن العشرين*، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٤/١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) الكفوي، معجم *الكليات*، ص. ٤٥٤ .

(٣) سورة الأعراف: ١٧٢ .

(٤) سورة هود: ٧ .

محل التزام الذمة بها في قولهم: ثبت في ذمتي كذا، أي: على نفسي. فالذمة في قول الفقهاء يراد به نفس المكلف[1] .

المفهوم الحديث لأهل الذمة

يوجد مفاهيم حديثة لـ: "أهل الذمة"، كيف؟

لم يعد المسيحيون هم وحدهم أهل ذمة .. لقد أصبح جل المواطنين في البلدان العربية الإسلامية الشمولية من أهل الذمة في رقبة الحاكم الدكتاتوري!

ولو نظرنا إلى بعض الأنظمة الدكتاتورية، فإننا سوف نتعرف على المفاهيم الجديدة لأهل الذمة. ففي بعض الأنظمة الشمولية، يُمارس الحاكم، ونظامه، وميليشياته "السخرة" على مواطنيه .. كيف؟

إن نظام السخرة كان معروفًا إبان الحكم الرومان، فيأتي الجندي الروماني المرتزقة، ويأخذ من يصادفه في الطريق من أجل تسخيره في أعمال خاصة به أو بالدولة! لم يتغير هذا الوضع كثيرًا في حِقب الاستعمار كما حدث مع الاستعمار البريطاني البغيض الذي دوخ العالم حتى الألفية الثانية، ويريد أن يسترجع مجده الآفل في العراق أو في أفغانستان. وما يحدث من تسخير على يد المرتزقة الأميركي في العراق حيث تُجْبِّر فرق المشاة الأميركية المرتزقة بعض العراقيين الأبرياء على السير أمامهم كدروع بشرية أو سير مركباتهم لتلاقي حتفها إن كان ثمة عبوة ناسفة في الطريق! ويُعد هذا نوع من أنواع السُخرة؛ لأن الأفراد يُجبرون على مثل هذه الأفعال من قِبل الميليشيات أو المرتزقة.

لم يختلف الوضع كثيرًا في حروب الفتن الطائفية كما حدث في لبنان بين العامين ١٩٧٥ - ١٩٩٠م.

لنقرأ التاريخ القديم، والوسيط، والحديث، والمعاصر من أجل فهم أعمق لمثل هذه القضايا.

والعجب العجاب أن بعض الأنظمة الدكتاتورية تُمارس هذا الأمر مع مواطنيها عن طريق عناصر ميليشياتها التي تُوقف الفانات أو سيارات الأجرة أو الخاصة،

---

(١) التهانوي، *كشاف اصطلاحات الفنون*، وضع حواشيه: أحمد حسن بسج، طبعة ١٩٩٨م، ص ص: ١٥٩ - ١٦٠.

وتسخرها طوال اليوم في أعمال لصالح الدولة أو لصالح فئات خاصة من دون أن يحصل أصحاب هذه المركبات على أجر يومي أو حتى شكر من العناصر الميليشياوية التابعة لوزارات الداخلية في هذه البلدان.

وقد تُقْدِم هذه الميليشيات على تسخير هذه المركبات لاستعمالها في انتخابات حزب النظام الحاكم! فهل يمكن أن نُعد هؤلاء المواطنون "أهل ذمة" في رقبة النظام الحاكم الذي يقوم بمثل هذه الأعمال؟! سؤال برسم الأنظمة التوتاليتارية.

أهل الذمة في المذاهب الفقهية الأربعة، وفي المذهب الجعفري

لننظر إلى الفتاوى الإسلامية في الصدر الأول حتى نتبين حقيقة مفهوم أهل الذمة، وطريقة معاملة المسلمين لأهل الذمة؛ لأن خير وسيلة للمعرفة، الفتاوى، وخير وسيلة للبيان، آراء الفقهاء، ولا يخفى على باحث متمرس أن الفقه، والفتاوى هي مرآة المجتمع الإسلامي، فإذا ما أراد باحث أن يعرف طبيعة، وجوهر العالم الإسلامي في فترة معينة من فترات الإسلام، ويحدد بلد بعينه، فما عليه إلا الذهاب إلى مصادر الفتوى، ويُلقي نظرة على الفتاوى التي صدرت في هذه الحقبة. ولا بد له في هذه الحالة أن يرى ما وصل إليه المسلمين من حال عند النظر في مرآة الفتوى؛ لأن الفتوى تعكس طبيعة، ومنهاج، وسلوك المجتمع المسلم في تلك الفترة.

ثم لنقارن هذه الفتاوى مع الفتاوى الإسلامية الحديثة في أهل الذمة، وننظر إن كان ثمة اختلاف فيما بينهما، وهل تُطبق هذه الفتاوى في الشئون الحياتية العامة أو الخاصة في أي من البلدان الإسلامية الصادرة عنها مثل هذه الفتاوى؟ وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا توجد مثل هذه الفتاوى؟! وهل هي تساعد على العيش المشترك بين المسيحيين، والمسلمين؟!

فتاوى إسلامية قديمة في حق أهل الذمة بحسب المذاهب الفقهية الإسلامية الأربعة لأهل السنة والجماعة، والمذهب الجعفري للمسلمين الشيعة:

أولاً: أهل الذمة في المذهب الفقهي الحنفي:

١) في المحاكم لا تجوز شهادة الذمي[1] على المسلم أبدًا، وذكر ابن عابدين، أن

(١) محمد السعدي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت. ٤٦١ هـ الموافق: ١٠٦٨م ببخاري)، *النتف في الفتاوى*، تحقيق وتخريج: المحامي الدكتور: صلاح الدين الناهي: أستاذ بجامعة بغداد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م، ٢/٧٩٧ .

الذمي إذا سكر لا تقبل شهادته - قوله على مثله - أما على مسلم فلا تقبل لقوله عز وجل: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾؛ ولأنه لا ولاية له على المسلم؛ ولأنه يتقول عليه؛ لأنه يغيظه قهره إياه[1] . ولهذا يجد العرب صعوبة في أن يَمثل الرئيس المسلم السني عمر البشير أمام محاكم دولية جنائية.

٢) في التعدي على الأملاك: إذا أتلف المسلم خمرًا لذمي أو خنزيره ضمن. وفي شرح مختصر الكرخي، وذكر صدر الإسلام البزدوي في شرح الكافي، ولو أتلف مسلم على ذمي خنزيرًا على قول أبي حنيفة لا يضمن شيئًا، وعلى قول أبي يوسف ومحمد يضمن قيمته، وهذا كما ترى ذكر الخلاف، وهو نوع من أنوا القياس - اي: رد الشيء إلى نظيره -.

إذًا، إذا غصب رجل خمرًا أو خنزيرًا لذمي، فهلك في يده، يضمن سواء كان الغاصب ذميًا أو مسلمًا، غير أن الغاصب إن كان ذمياً فعليه في الخمر مثلها، وفي الخنزير قيمته، وإن كان مسلمًا، فعليه القيمة فيهما جميعًا وهذا في المذهب الحنفي[2]، وهل يمكن أن يقضى من بيع الخمر دينه؟[3]

أما الشافعي لا ضمان عنده على غاصب الخمر، والخنزير، كائنًا من كان كما سيأتي على ذكر ذلك لاحقًا.

٣) في وصية الذمي: لو جعل ذمي داره بيعة أو كنيسة في صحته، ثم مات فهيَّ ميراث بالاتفاق، ولو أوصى به لقوم مسلمين، جاز من الثلث، وكذا في غير المسمين خلافًا لهما. وتصح وصية مستأمن لا وارث له في دار السلم أي دار المسلمين، بكل ماله لمسلم أو ذمي، وإن أوصى ببعضه رد الباقي إلى ورثته. ووصية الذمي تعتبر من

---

(١) ابن عابدين، محمد أمين، *حاشية رد المحتار على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان*،دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ١٠٩/٧ .

(٢) أحمد العيني، أبو محمد، *البناية في شرح الهداية*، تعليق: المولوي محمد عمر، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ٢٩٤/١٠ - ٢٩٥؛ والكاشاني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي المُلقب بأبو العلماء (ت. ٥٨٧ هـ)، *كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع*، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م، ١٤٧/٧ .

(٣) إن بيع الخمر من المسلم باطل لأنها ليست بمتقومة في حق المسلم فلا يملك ثمنها فيبقى على حكم ملك المشترى فلا يصح قضاء الدين به، وإن كان البائع نصرانياً فالبيع صحيح لكونها مالاً متقوماً في حقه، فملك ثمنها، فصح قضاء الدين منه. (الكشاني، علاء الدين، *كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع*، ١٢٨/٥. مرجع سابق).

الثلث، ولا تصح لوارثه، وتجوز لذمي من غير ملته لا لحربي في دار الحرب. وبناء كنيسة لا يخرج عن ملكه؛ لأن البناء نفسه ليس سببًا في زوال الملك عن الباني؛ وإنما يزول بخلوصه لله تعالى كما في مساجد المسلمين. والكنيسة لا تصير لله تعالى فتبقى ملكاً للباني، بخلاف الوصية لوضعها لإزالة الملك لكن امتنع ثبوت مقتضاها فيما لا يعتقدونه قربة، وبقيت فيما يعتقدونه على مقتضاها فيزول ملكه فلا يورث. والظاهر أنها تنفذ عند أبي حنيفة في الثلث كسائر الوصايا[1] .

إذًا، إذا أوصى الذمي بداره كنيسة لقوم غير مسلمين، جازت الوصية عند أبي حنيفة، حتى وإن كانت الوصية باطلة. مع أن هذه الوصية عند غير أبي حنيفة معصية حقيقية، وإن كان في معتقدهم قربة، والوصية بالمعصية باطلة لما في تنفيذها من تقرير المعصية. أما أبو حنيفة، فيرى أن هذه قربة في معتقدهم أي معتقد النصارى، ونحن أُمرنا بأن نتركهم وما يدينون، فتجوز بناءً على اعتقادهم.

٤) لا يجوز أن تُدفع الزكاة إلى ذمي مهما كان الأمر[2] .

٥) عقد الذمة ينتقض بالفعل، وهو الالتحاق بجيوش العدو، ولا ينتقض بالقول أو التهديد أو الوعيد حتى يُتبين حقيقة الأمر، وأمان الحربي ينتقض بالقول؛ لأنه رجل عسكر[3] .

٦) نجاسة العين أم نجاسة المعتقد، وهل النصراني نجس عينًا أي لا يمكن لمسه أو الجلوس معه أو الأكل معه كما يعتقد بعض العوام من المسلمين، وحتى بعض فقهاء المسلمين للأسف يفتون بذلك أم إن نجاسة النصراني هي نجاسة معتقد لا غير، ولا تضر بغيره من سائر المسلمين أو الجيران؟

(١) *كتاب كشف الحقائق شرح كنز الدقائق، مع الحواشي، الإمام عبد الحكيم الأفغان*، تصحيح: محمود العطار، مطبعة الموسوعات، باب خلق، القاهرة، ١٣٢٢، ٣٢٤/٢ - ٣٢٥؛ وشيخ زاده الحنفي المعروف بـ: داماد أفندي، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي (ت. ١٠٧٨ هـ.)، *مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر*، والعلاء الحصكفي، محمد بن علي (ت. ١٠٨٨ هـ.)، تخريج: خليل عمران منصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ، ١٩٩٨، ٤٥١/٤ - ٤٥٣ .

(٢) ليس فقط فيما يخص الذمي، بل: لا يبنى بها مسجد، ولا يكفن بها ميت، ولا يشترى بها رقبة تعتق، ولا تدفع إلى غنيٍّ، وغيرها. (الحيداني، عبد الغنيمي، *المختار من كتاب اللباب*،على المختصر المشتهر باسم "الكتاب"، تصنيف: الإمام أبو الحسين أحمد بن محمد القدوى (ت. ٤٢٨ هـ)، ١٩٧٤م، ص ص: ١٤٧ - ١٥١).

(٣) الزيعلي، فخر عثمان بن علي، *البحر الرائق شرح كنز الدقائق*، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٢٥/٥ .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1] .

ولفهم هذه الآية الكريمة، لا مناص من الرجوع إلى حال العلاقات الإسلامية المسيحية في صدر الإسلام، حيث إن المشركين من وفد العرب وغيرهم كانوا يدخلون المسجد على رسول الله ﷺ، فإنه رُويَ، أن أبا سفيان دخل المسجد عام الحديبية، وكذا وفد ثقيف دخلوا المسجد، وقال رسول الله ﷺ، يوم فتح مكة: "من دخل المسجد فهو آمن". فقد جعل عليه السلام المسجد مأمنًا، ودعاهم إلى دخوله، وما كان عليه السلام ليدعوا إلى الحرام. وأما الآية الكريمة فالمراد أنهم نجس الاعتقاد والأفعال لا نجس الأعيان، إذ لا نجاسة على أعيانهم حقيقة. أما قوله تعالى: ﴿فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾، فهو نهي عن دخول مكة المكرمة، لا نهي عن دخول المسجد الحرام نفسه لقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾، ومعلوم بأن خوف العيلة يتحقق بمنعهم عن دخول مكة لا عن دخول المسجد الحرام نفسه؛ لأنهم إذا دخلوا مكة، ولم يدخلوا المسجد الحرام لا يتحقق خوف العيلة. واستنادًا لما رُوي أن رسول الله ﷺ، بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ينادي: "ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك"، فثبت أن هذا نهى عن دخول مكة، وليس نهي عن دخول النصراني المسجد[2] .

٧) يُروى أن نصرانيًا من أهل نجران ممن صالحهم رسول الله ﷺ، على الحلل كان بينه وبين نبطي جارية، فجاءت بولد، فادعياه ثم كبر الولد نصرانيًا، فعليه الجزية نصف ذلك من خراج أهل نجران، ونصفه من خراج أهل السواد؛ لأن كلتا الوظيفتين جزية في حق المأخوذ منه والآخذ جميعًا، وقد تردد حال هذا الولد بين الأب النجراني والنبطي فلهذا جعل رسول الله ﷺ، الجزية عليه نصفين[3] .

٨) أهل الذمة، والميراث: مات ذمي فقالت عروسه: "أسلمت بعد موته"، وقال ورثته: "بل قبل"، فيصدق أهل الورثة وليست الزوجة، لأن الإسلام ثابت في الحال،

---

(١) سور التوبة: ٢٨ .

(٢) الكاشاني، علاء الدين، *كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع*، ١٢٨/٥، مرجع سابق.

(٣) السرخسي (ت. ٤٩٠ هـ)، *النكت*، وهو شرح لزيادات الزيادات، الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت. ١٨٩ هـ)، وشرحها للإمام أبي نصر أحمد محمد العتابي البخاري (ت. ٥٨٦ هـ)، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، الطبعة الأولى، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م، ص ص: ١٥٨ ـ ١٦٠ .

والحال تدل على ما قبلها كما في مسألة الطاحونة إذا اختلف المؤجر والمستأجر في جريان الماء، وانقطاعه حيث يحكم الحال ويستدل بها على الماضي، وهذا ظاهر يعتبر للدفع وإن لم يعتبر للاستحقاق، كما في مسلم مات فقالت زوجته أسلمت قبل موته وقال أهل الورثة: لا بل بعده، فإن القول للورثة أيضًا؛ لأنها تَدَّعي أمرًا حادثًا، والأصل في الحوادث أن يضاف حدوثها إلى أقرب الأوقات[1] .

ثانياً: أهل الذمة في المذهب الفقهي الشافعي:

١) في التعدي على الأملاك: لا تضمن الخمر لذمي لانتفاء قيمتها كسائر النجاسات، ومراده بالخمر ما يشمل النبيذ، قال الماوردي: إلا أنه لا يريقه إلا بأمر حاكم مجتهد لئلا يتوجب عليه الغرم عند بعض الأئمة، والحال كذلك في الخنزير[2].

٢) أهل الذمة والقضاء: على القاضي أن يسوى بين الخصمين في القيام، والنظر، وجواب السلام، وأنواع الكرم، وله أن يرفع المسلم على الذمي في المجلس على أحد الوجهين، ثم يقول: من المدعي منكما، فإذا ادّعى طالب الثاني بالجواب، فإن أقر ثبت الحق من غير قوله قضيت على الأصح، وإن أنكر قال للمدعي ألك بينة فإن قال: لا بينة لي ثم جاء ببينة سُمعت على أظهر الوجهين فلعله تذكر. فإن تزاحم المدّعون قدم السابق، فإن تساووا أقرع بينهم، ولا يقدم لشرف إلا المسافر المستوفر، والمرأة فيقدمها إن رأى فيه مصلحة، وكذلك يفعل المفتي والمدرس عند التزاحم، ولا ينبغي أن يحضر ولائم الخصمين، ولا ينعقد اليمين إلا باسم خاص بالله تعالى أو صفة من صفاته: كـ: والله، والرحمن، والإله، ورب العالمين، وخالق الخلق. ولو قال: وكلام الله أو وكتاب الله أو وقرآن الله أو والتوراة أو والإنجيل فيمينٌ. وكذا والمصحف إن لم ينو بالمصحف الورق والجلد[3] .

(١) منلا خسرو الحنفي، *درر الحكام في شرح غرر الأحكام*، وبهامشه: حاشية العلامة أبي الاخلاص حسن بن عمار بن علي الوفائي الشرنبلالي الحنفي، د. ن.، ص ص: ٥١٤ - ٥١٥ .

(٢) شهاب الدين الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس: الشهير بالشافعي الصغير (ت. ١٠٠٤ هـ.)، *نهاية المختار إلى شرح المنهاج في الفقه على مذهب الإمام الشافعي*، ومعه حاشية أبي الضياء نور الدين علي بن علي الشبراملسي القاهري (ت. ١٠٨٧ هـ)، وحاشية أحمد بن عبد الرزاق بن محمد أحمد المعروف بالمغربي الرشيدي (ت. ١٠٩٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ٥/١٦٧ - ١٧٠ .

(٣) السيد البكري، أبو بكر بن محمد شطا، *حاشية إعانة الطالبين، على حل الفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين*، زين الدين بن عبد العزيز المليباري الفناني، عناية: محمد خالد العطار، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ٤/٤٨١ ـ ٤٨٦؛ والغزالي، محمد أبو حامد، *كتاب الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي*، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ٢/٢٤٢ .

٣) ينبغي منع الذمي من خدمة الملوك والأمراء[(١)] .

٤) في وصية الذمي[(٢)]: تصح وصية كل مكلفٍ حر وإن كان كافرًا، والشرط أن لا تكون معصية كعمارة كنيسة للتعبد فيها ولو ترميمًا، وكتابة التوراة والإنجيل وقراءتهما، وكتابة كتب الفلسفة والنجوم وسائر العلوم المحرمة؛ ومن ذلك الوصية لدهن سراج الكنيسة تعظيمًا لها؛ أما إذا قُصد انتفاع المقيمين والمجاورين بضوئها، فالوصية جائزة، وإن خالف في ذلك الأذرعي. سواء أوصى بما ذكر مسلم أو كافر، بل قيل: إن الوصية ببناء الكنيسة من المسلم رِدَّةٌ. ولا تصح أيضًا الوصية ببناء موضع لبعض المعاصي كالخمارة.

٥) في ميراث أهل الذمة: الكافران يتوارثان وإن اختلفت ملتهما كيهودي ونصراني، لأن الملل في البطلان كالملة الواحدة، ولا توارث بين مسلم وكافر، وإنما جاز نكاح المسلم الكافرة؛ لأنه مبنى هَهنا على الموالاة والنصرة وأما النكاح فهو نوع من الاستخدام[(٣)] .

٦) الجزية وأهل الذمة: إن مسألة الجزية في الإسلام عوض عن الحقن والمساكنة، فهي كالأجرة في الإجارة إلا أن الإجارة يجوز شرط تعجيل العوض فيها، وإذا أطلقت تعجل العوض، والجزية لا يتعجل بالإطلاق بل يتأجل مدة الحول، والفرق بينهما أن المنفعة في الإجارة يتعجل للعاقل؛ لأنه إذا تسلم العين ملك التصرف في منفعتها بالإجارة، والإجازة، وغيرهما، والمعوض في الجزية لا يتعجل للذمي، بل يستوفيه يومًا فيومًا، ولا يملك نقله إلى غيره بالإجارة وإلا صارت كالمضاربة لما كانت

---

(١) حجازي الفشني، شهاب الدين أحمد (ت. ٩٧٨ هـ.)، *تهذيب تحفة الحبيب في شرح نهاية التدريب*، عناية: قاسم النوري، الطبعة الأولى، الناشر: مسلم الرحال، د.م.، ١٩٩٦م، ص ص: ٤٤٣ ـ ٤٤٥ .

(٢) النووي، أبو زكريا، *مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني على متن منهاج الطالبين*، ومعه المنهج السوي في ترجمة الإمام النووي، الإمام السيوطي، تعليق: الشيخ جبلي الشافعي، إشراف: صدقي محمد جميل العطار، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ٣/٤٩ - ٥١ .

(٣) *حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المختار بشرح المنهاج*، ضبط وتصحيح: محمد عبد العزيز الخالدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ٨/٣٩٢؛ والجمل، سليمان بن عمر (ت. ١٢٠٤ هـ)، *حاشية الجمل على شرح المنهج، على شرح منهج الطلاب*، الشيخ زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت. ٩٢٦ هـ)، وهو مختصر: *منهاج الطالبين*، الإمام محيى الدين يحيى بن شرف النووي (ت. ٦٧٧ هـ)، تعليق وتخريج: الشيخ عبد الرزاق غالب المهدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ٦/٩١ - ٩٣ .

منفعته بدن العامل لا يتعجل لرب المال لم يتعجل العوض فيه للعامل، وكالكتابة لما لم يتعجل المعوض الذي هو الجزية للمكاتب بل يقوى على الأداء لم يتعجل العوض للسيد. ولا تُؤخذ الجزية من عبدة الأوثان مطلقًا. واتفقوا على أن الجزية لا تُضرب على نساء أهل الكتاب، ولا على صبيانهم حتى يبلغوا، ولا على عبيدهم، ولا على مجنون، ولا على أعمى أو شيخ فانٍ، ولا على أهل الصوامع[١] .

٧) إذا تعامل الذمي مع العدو ينقض عهده ويبطل مأمنه، ولكن لم يبطل مأمن نسائهم والصبيان في الأصح، أما إذا أراد الذمي نقض العهد واللحوق بالعدو بلغ المأمن[٢] .

٨) دماء الذمي، والحدود الشرعية في التعامل مع المسلم: إذا قتل مؤمن ذميًا فإنه يُقتل، لما روي عن ربيعة عن ابن البيلماني أن النبي ﷺ، قتل مؤمناً بكافر وقال: "أنا أحق من وفّى بذمته"[٣] . وروى عن نافع، عن ابن عمر أن رسول ﷺ، قال: "دية الذمي دية المسلم"، وقال رواه أبو كرز عبد الله بن عبد الملك الفهري، وهو متروك، ولكن تقدم عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر في قصة عثمان ما يؤيده، ثم ذكر البيهقي من حديث ابن جريح، عن الزهري "كانت دية اليهودي والنصراني مثل دية المسلم في زمن رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم" الحديث. ثم ذكر أن الإمام الشافعي رضي الله عنه، رده لانقطاعه، وأن الزهري قال عنه، قبيح المرسل، وليس كل مرسل قبيح. وعلى كل الأحوال فالحديث ذكره أبو داوود في مراسيله بسند صحيح عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: "كان عقل الذمي مثل عقل المسلم في زمن رسول الله ﷺ، وزمن أبي بكر، وزمن عمر، وزمن عثمان، حتى كان صدر من

(١) الشعراني، أبو المواهب عبد الوهاب (ت. ٩٧٣ هـ)، *الميزان الكبرى الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية*، ضبط وتصحيح: الشيخ عبد الوارث محمد علي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ٢/٢٥٣ – ٢٥٧؛ والجرجاني، أبو العباس أحمد (ت. ٤٨٢ هـ)، *المعاياة في العقل أو الفروق*، تحقيق: محمد فارس، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص ص: ٣١٣ ـ ٣١٤ .

(٢) عميرة، شهاب الدين أحمد (ت. ٩٥٧ هـ)، وسلامة، شهاب الدين أحمد (ت. ١٠٩٦ هـ)، *حاشيتان: قليوبي – عميرة، الأولى*، على شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت. ٨٦٤ هـ)، على منهاج الطالبين، الإمام زكريا أبي يحيى بن شرف النووي (ت. ٦٧٦ هـ) في الفقه الشافعي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ٤/٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

(٣) الشافعي، *مختصر المزني على الأمر*، ٩/٦٤٣ .

خلافة معاوية"[١] .

٩) المعاملات في أهل الذمة[٢]: إن كان أهل الذمة في دار الإسلام أخذوا بلبس الغيار، وشد الزنار، والغيار أن يكون فيما يظهر من ثيابهم ثوب يخالف لونه لون ثيابهم كالأزرق، والأصفر، ونحوهما، أو يخيط الذمي على ثوبه شيئًا يخالف لون ثوبه، ويكون ذلك على الكتف، والزنار بأن يشدوا في أوساطهم خيطًا غليظًا فوق الثياب، وإن لبسوا القلانس جعلوا فيها خرقًا ليتميزوا عن قلانس المسلمين لما روى عبد الرحمن بن غنم في الكتاب الذي كتبه لعمر حين صالح نصارى الشام فشرط أن لا نتشبه بهم في شيء من لباسهم من قلنسوة، ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، وأن لا نشد الزنانير في أوساطنا؛ لأن الله عز وجل أعز الإسلام وأهله، وندب إلى أعزاز أهله وأذل الشرك وأهله، والدليل عليه ما روي عن ابن عمر رضى الله عنه أن النبي ﷺ، قال: "بُعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله ولا يُشرك به شيء، وجعل الصغار والذل على من خالف أمري". كما جُعل في أعناق أهل الذمة خاتم ليتميزوا به عن المسلمين في الحمام، وفي الأحوال التي يتجردون فيها عن الثياب ويكون ذلك من حديد أو رصاص أو نحوهما، ولا يكون من ذهب أو فضه لأن ذلك إعظامًا لهم، ولا يُبدؤون بالسلام، ولا يُصدرون في المجالس، ويُمنعون من إحداث بناء يعلو بناء جيرانهم من المسلمين لقوله ﷺ: "الإسلام يعلو ولا يعلى". ولا

(١) *حاشية إبراهيم البيجوري على شرح العلامة ابن القاسم الغزي على متن الشيخ أبي شجاع*، ضبط وتحقيق: محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ٥٢٥/٢ . ٥٢٦؛ *ومختصر المزني على الأمر*، الإمام محمد بن ادريس الشافعي (ت. ٢٠٤ هـ)، يليه *مسند الإمام الشافعي واختلاف الحديث*، تخريج وتعليق: محمود مطرجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ٦٤٣/٩ . ٦٤٥؛ *وعقود الجواهر، الفقيه الأديب اللغوي*: *محمد محمد مرتضي الزبيدي* (١١٤٥ - ١٢٠٥)، تحقيق وتعليق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، ٢٣٥/٢ - ٢٣٧ .

(٢) الفيروزآبادي، أبو اسحاق (ت. ٤٧٦ هـ.)، *كتاب التنبيه في فروع الفقه الشافعي*، إشراف: مركز البحوث والدراسات، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ص ص: ٢١٠ . ٢١١؛ *وحاشية الشيخ إبراهيم البيجوري*، الغزي، ٥٢٧/٢ . ٥٣١؛ *والبجيرمي على الخطيب*، وهو حاشية الشيخ سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي (ت. ١٢٢١ هـ)، المسماة تحفة الحبيب على شرح الخطيب المعروف بالإقناع في حلّ ألفاظ أبي شجاع، الشيخ محمد بن أحمد الشربيني القاهري الشافعي المعروف بالخطيب الشربيني (ت. ٩٧٧ هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ١٧٩/٥ - ١٨٤؛ والفيروزآبادي، *المهذب في فقه الإمام الشافعي*، وبذيله صحائفه: النظم المستعذب في شرح غريب المهذب، محمد بن أحمد بن محمد بن بطال الركبي اليمني (ت. ٦٣٣ هـ)، ضبط وتصحيح: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ٣١٢/٣ - ٣٢١ .

يمنعـون من المسـاواة، ويمنعـون مـن إظهـار الخـمـر والخنزير وضـرب النواقـيس إلا خفيفًا، ويُمنعـون من الجهـر بالتوراة، والإنجيل، وإظهار الصليب، وإظهار أعيادهم ورفع الصوت على موتاهم.

أمـا المرأة فعليها أن تشد الزنار تحت الأزار وقيل: فوق الآزار، ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحمام، ويكون أحد خفيها أسود، والآخر أبيض، وذكر آخرون أن النسـاء والصبيان ونحوهما لا يمنعون من ذلك كله كما لا جزية عليهم. ويجب على الإمام الذب عنهم، ومنع من يقصدهم بسوء، واسترجاع ما أخذ منهم، وغيرها من الشـروط التي كـانت تُنفـذ على الذمي في فتـرات من الحكم التي مـر بهـا التـاريخ الإسلامي[1] .

ولا يجب علينا أن ننسى أن إسلام اليوم غير إسلام الأمس، ومسيحية اليوم غير مسيحية الأمس، حتى وإن كانت أبجديات الصراع متشابهة، وقد كان هذا في حقبة من حقب المسلمين، تمامًا كما كانت حقب محاكم التفتيش عند المسيحيين، وما قامت به من مجازر، ومهازل يندى لها جبين الشرف الأوروبي المعاصر الذي لم ينسَ بعد صراعه المرير ضد الإسلام، والمسلمين؛ وإنما تجدد في صور عصرية كالحرب على الإرهاب، وضرب منابع الإسلام، والقضاء على كل الرموز الإسلامية من الحجاب في فرنسا إلى الآذان في مدينة الضباب، وقد تبدل الحال أيضًا، عندما أصبح المسلم هو الذي يقع في ذمة المسيحي الغربي، بدلاً من أن يكون المسيحي في ذمة المسلم، لما لنفوذ أميركا، واوروبا العسكرية، والاقتصادية في المناطق الإسلامية الراهنة، وقد وهنت، وضعفت الأنظمة الإسلامية، و باتت تفتش على طريقة لتثبيت عروش حكامها لا أكثر، ولا أقل.

وتبدل الحال، وأصبح المسيحي المصري يرسم الصليب على كلتا يديه، وتضع النساء الصلبان افتخارًا، وتميزًا لهن عن غيرهن من سائر المصريات الذين لجأ البعض منهن إلى وضع الحجاب كعلامة من علامات التعلق بالدين الإسلامي من دون الولوج إلى تعاليمه الحقة أو ممارسة أخلاق الأديان الإبراهيمية الصحيحة من الناحية الأخلاقية!

---

(١) *تحفة الحبيب على شرح الخطيب*، لبجرمي على الخطيب، ٥/١٨١ .

ثالثا: أهل الذمة في المذهب الفقهي المالكي:

١) هل تجوز وصاية الذمي؟

شرط الوصيّ التّكليف، والإسلام، والعدالة، والهداية في التصرف، وبناء عليه، فلا يجوز أن يكون الوصي ذميًا[١] .

٢) أهل الذمة وأمور معاشهم، ومعيشتهم: لا يمنع أهل الذمة من التقلب في التجارات، والتشاغل بالصنائع، والتعرض للمكاسب؛ لأنه لم يعقد المسلمين لهم الذمة على أن يمنعوهم من التكسب، والتصرف في معاشهم الذي يحبونه، وطالما أنهم يؤدون الجزية من فضلها. وإذا اتجروا في البلد أقروا على القيام فيه، ولم يتعرض لهم، ولا يطالبهم أحد بعشر، ولا غيره؛ لأن عقد الذمة لهم يقتضى إباحة التصرف في موضع إقامتهم، وما يكون في حكمه من البلدان. وإذا اتجروا إلى غير البلد الذي أرادوه من بيع وشراء ففيه كلام؛ لأن الأصل فيه قول نبي الإسلام ﷺ: "ليس على المسلمين عشور إنما العشور على اليهود والنصارى"، ولأنه إجماع من الصحابة رضى الله عنهم؛ لأن عمر بن الخطاب أخذ من القبط العشر[٢]، ومضى عليه الأئمة بعده ولم يخالف عليه؛ ولأن عقد الذمة لم يُوجب لهم التقلب في بلاد المسلمين، ولا أقاليمها. فإذا تصرفوا فيها كان لهم حكم يزيد على تصرفهم في بلادهم. وهي في النهاية أقوال اجتهادية، قد يتخالف بعضها مع بعض في الحكم.

أما ابن رشد القرطبي فقد ذكر، عن جمهور العلماء أن ليس على أهل الذمة عشر، ولا زكاة أصلاً في أموالهم إلا ما روى عن طائفة منهم ضاعفوا الصدقة على نصارى بني تغلب، أي أنهم أوجبوا إعطاء ضعف ما على المسلمين من الصدقة في شيء من الأشياء التي تلزم فيها المسلمين الصدقة[٣] . وممن قال بهذا القول

---

(١) الرصاع، أبو عبد الله (ت. ٨٩٤ هـ. الموافق: ١٤٨٩م)، *شرح حدود ابن عرفة الموسوم: الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية*، تحقيق: محمد أبو الأجفان، والطاهر المغموري، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ٢/٦٨٥ ـ ٦٨٦ .

(٢) أخذ عمر العشر، اخرجه مالك في الموطأ: الزكاة (١/٢٨١) ح (٤٦ ـ ٤٨)، والبيهقي في الكبرى (٩/٣٥٤) ح (١٨٧٦٧)، أما حديث رسول الله في العشر: أخرجه أبو داود: الإمارة (٣/١٦٦) ح (٣٠٤٦)، ذكره الترمذي في الزكاة (٣/١٩) (باب: ما جاء ليس على المسلمين جزية)، وأحمد: المسند (٣/٥٧٦) ح (١٥٩٠٣). (*المعونة على مذهب عالم المدينة*، ١/٢٧٤).

(٣) ابن رشد، أبو الوليد محمد (٥٢٠ – ٥٩٥ هـ.)، *بداية المجتهد ونهاية المقتصد*، الطبعة العاشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ١/٤٠٦ .

الشافعي، وأبو حنيفة، وأحمد، والثوري، وهو من فعل عمر بن الخطاب ﷺ، وليس يحفظ عن مالك نص فيما حكوا[١] .

٣) المعاملات في أهل الذمة، وكيفية التعامل معهم في دولة الإسلام، وفي بلاد المسلمين: أُلزم الذمي بلبس يميزه، وعزر - أي يؤدب - لترك الزنار[٢] . وهي خيوط متلونة بألوان شتى يشد بها وسطه علامة على ذلك، ويُمنع من ظهور السكر، والخنزير، ومعتقده، وبسط لسانه على المسلم أو بحضرته، والمراد ببسط اللسان أن يتكلم ولا يحترم الحاضرين، أما إذا لم يظهر الخمر، وأراقها مسلم فإنه يضمن لتعديه على النصراني. ولا يُمنعون من ركوب الحمير، ولو النفيسة، ولهم الوصية بمالهم كله وأولى بعضه.

وذكرت المدونة أن أهل الذمة ليس لهم أن يحدثوا الكنائس في بلاد العنوة، أي البلاد التي دخلها المسلمون بقوة السلاح؛ لأنها فئ، ولا تورث عنهم، فقال أبو الحسن قوله: ليس لهم الإحداث في بلد العنوة مفهومه أن لهم أن يرموا ما كان قبل[٣] .

أما بخصوص المعاملات التجارية بين المسلم والذمي، فنذكر منها على سبيل المثال، القول بعدم جواز أن يؤاجر الرجل نفسه، ولا داره، ولا غلامه، ولا دابته في شيء من عمل الخمر، خلافًا لقول أبي حنيفة النعمان، بأن ذلك جائز تجب الأجرة فيه[٤]، وهذا يتناقض مع قول الله عز وجل: ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٥].

(١) ابن نصر، أبو محمد عبد الوهاب (ت. ٤٢٢ هـ.)، *المعونة على مذهب عالم المدينة*، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ٢٧٤/١ ـ ٢٧٥؛ وعبد البر النمري، أبو عمر يوسف، *الكافي في فقه أهل المدينة المالكي*، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص ص: ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) *حاشية الدسوق*، الشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت. ١٢٣٠ هـ)، على الشرح الكبير، الشيخ ابي البركات سيدي أحمد بن محمد العدوي الشهير بالدردير (ت. ١٢٠١ هـ)، وبالهامش: تقرير العلامة المحقق محمد بن أحمد بن محمد الملقب بعليش (ت. ١٢٩٩ هـ)، تخريج: محمد عبد الله شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ٥٢٣/٢ - ٥٢٥؛ وحاشية الخرشي، الإمام محمد بن عبد الله بن علي الخرشي المالكي (ت. ١١٠١ هـ)، على مختصر سيدي خليل، الإمام خليل بن إسحاق بن موسى المالكي (ت. ٧٦٧ هـ)، ضبط وتخريج: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ٨٦/٤ - ٨٩ .

(٣) *المعونة على مذهب عالم المدينة*، القاضي أبي محمد المالكي، ٤٧١/١ .

(٤) قال الكاساني: "ومن استأجر حمّالاً يحمل له الخمر فله الأجر في قول أبي حنيفة وعندما يكره لهما أن هذه إجارة على المعصية لأن حمل الخمر معصية لكونه إعانة على المعصية وقد قال عز وجل: ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ ولذلك لعن الله تعالى عشرة منهم: حاملها، والمحمول إليه، ولأبي حنيفة أن نفس الحمل ليس بمعصية بدليل أن حملها للإراقة والتخليل مباح، وكذا ليس بسبب للمعصية وهو الشرب؛ لأن ذلك يحصل بفعل فاعل مختار، وليس الحمل من ضرورات الشرب فانت سبباً محضاً فلا حكم له كعصر العنب وقطفه، والحديث محمول على الحمل بنية الشرب، وبه نقول: إن ذلك معصية ويكره أكل أجرته." (*بدائع الصنائع*، ١٩٠/٤).

(٥) سورة المائدة: ٢ .

وهذا منه لأنه عقد إجارة على شيء محظور فلم يجز، أصله كما أنه إذا اكترى إنسانًا غلامًا ليتلوط به أو امرأة ليزني بها. فهذه كتلك، وكلاهما حرام على المسلم!

الإرهاب في الإسلام .. وجهة نظر

٤) حوار الذمي مع السلطة الحاكمة: قال المتيطي: جاء في الخبر أن الوليد بن عبد الملك هدم كنيسة للروم وكان أبوه عبد الملك قد أذن لهم فيها بوجه اقتضى ذلك، فكتب ملكهم إلى الوليد وهو يقول: إن أباك قد أذن لنا في البناء لوجه اقتضى ذلك وأنت هدمتها، فإما أن يكون أباك قد أصاب وأخطأت أنت، وإما أن تكون أصبت أنت، وأخطأ أبوك؟[١]

أميا اليوم، فلا يستطيع الذمي سواء كان هذا الذمي مسلمًا أو مسيحيًا أن يخاطب السلطان أو الحاكم العربي أو الزعيم المسلم في الأنظمة الشمولية بشيء من هذا القبيل وإلا أُلقي به مذمومًا مدحورًا في سجون الحاكم التوتاليتاري الشمولي أي الحاكم الذي لا يؤمن بمبدأ التداول على السلطة، ولا بمبدأ سماع رأي آخر مغاير لآرائه الخنفشارية!

وهل النظام الإسلامي يُكرس الدكتاتوريات، ولا يُساعد بأي حال من الأحوال على إدارة شئون البلاد، والعباد بنوع من الحرية وإعطاء حقوق الإنسان، وأن يعيش مواطنو هذه البلدان بكرامة بدلاً من المهانة، والذل التي يتعرضون لها ليل نهار على أيدي ميليشيات بعض الأنظمة الحاكمة؟!

إن كان الجواب بـ: لا، وأتمنى أن يكون ذلك!

فلماذا لا نرى في كل التاريخ المعاصر، ولا حتى في التاريخ الحديث، حاكم عربي مسلم واحد يتخلى بمحض إرادته عن سدة الرئاسة، والحكم؛ لأنه يؤمن بالتداول على السلطة، ويؤمن بالتغيير، وعدم احتكار العمل السياسي في شخص أو نظام تدور من حوله الأفلاك؟!

وحتى كلمة أو مصطلح "إرهاب"، كان موجودًا، ولو ضمنيًا، منذ بداية تأسيس النظام الإسلامي. وقد تجسد في أحداث كثيرة، نذكر منها، تلك المرأة التي مرت

---

(١) المواق، أبو عبد الله (ت. ٨٩٧ هـ)، *التاج والإكليل لمختصر خليل*، *والحطاب الرعيني*، أبو عبد الله (ت. ٩٥٤ هـ)، *مواهب الجليل لشرح مختصر خليل*، ضبط وتخريج: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ٤/٦٠٠ ـ ٦٠١ .

على عبد الله بن الزبير، وهو معلق على خشبة الصليب، وأطلقت من فمها مقولتها الشهيرة: "أما آن لهذا الفارس أن يترجل!"

وكان جيش معاوية بن أبي سفيان، وجيش يزيد ابنه، ونظامهم الحاكم في الشام قد أعدو العدة للاستيلاء على كل هذه المنطقة الممتدة من الشام حتى المملكة العربية السعودية، وقمع جميع حركات التمرد، واسكات جميع الأصوات المطالبة بالتداول على السلطة. وكان عبد الله بن الزبير واحدًا من هؤلاء القوم الذين يجدون في أنفسهم الكفاءة لاعتلاء سدة الرئاسة ك: مصطفى كمال أتاتورك، ورجب طيب أردوغان، وأيمن نور، ورفيق الحريري، وغيرهم من الشخصيات في تاريخ الإسلام القديم أو الوسيط أو الحديث أو المعاصر.

خرج عبد الله بن الزبير على ظلم معاوية بن أبي سفيان، وعلى ابنه يزيد، ولم يسمح نظام الشام لعبد الله بن الزبير أن يُقيم إمارة، ولو بحدها الأدنى في المدينة المنورة، وتخومها، وكان ما كان. وكانت وسيلتهم في اسكات أصوات المعارضة هي "الإرهاب"، والإرعاب بذريعة استعمال حق من حقوق الحاكم المسلم الوراد ذكره في القرآن الكريم، وهو "حد الحرابة". وقد لاقَ كثير من الناس حتفهم في التاريخ الإسلامي منذ نشأته الأولى استنادًا إلى حد الحرابة هذا. وكان عبد الله بن الزبير، رحمه الله، واحدًا من هؤلاء!

كانت وسيلة الإرهاب آنذاك أن يُعلق الضحية؛ لأنه كان من المعارضة، أن يُعلق على خشبة الصليب في الخلاء، ويُترك هناك لثلاثة أيام أو لأكثر تأكل الطير من رأسه تحت حماية عناصر الأمن المركزي للنظام الحاكم كنوع من الإرهاب! ولم يكن يستطيع أحد مهما بلغ شأنه أن يتدخل في شئون الدولة الداخلية، ولا أن ينبس ببنت شفة، وإلا أُتهم بأنه خائن أو عميل للمغدور به، أو ممن يريدون التداول على السلطة!

كانت المرأة بحق شجاعة؛ لأنها استطاعت أن تقول: "أما آن لهذا الفارس أن يترجل!" على مسمع، ومرأى من فلول النظام الحاكم! وكانت المرأة بحق شجاعة؛ لأنها قالت ما قالت، وفي مقولتها الشهيرة أخذ، ورد إلى قيام الساعة.

قد يقول قائل: وهل يوجد في الإسلام ما يُسمى بقانون الإرهاب؟! وهل ثمة قانون إرهاب أو إسكات، وتكميم الأفواه في الإسلام؟! كيف؟

ماذا نفسر القانون الإسلامي الذي يُغطي الحاكم المسلم، ويُعطيه صلاحية بسط اليد، ووضع جميع أعداءه على صلبان بعد أن يقطع أيهديهم وأرجلهم من خلاف إن هو أراد ذلك كما هو وارد بحسب النصوص القرآنية! وكيف يتشدق بعض المسلمين بمقولة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ، "لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها" ويدلل، ويبرهن هؤلاء على ديمقراطية، وحرية، وسماحة الإسلام. فإذا خرج جمهور المسلمين كما حدث في كثير من الأماكن لبلدان العالم الإسلامي، فسوف تجد آلاف أقلام الكتاب المأجورين أو الموتورين يقولون لك: على رسلك يا رجل .. هل تريد فتنة في البلاد الإسلامية يكون القاعد فيها خير من الواقف، والواقف فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي! إنه في النهاية حاكم مسلم، أليس اسمه محمد أو عمر أو اسمه عبد الله أو حسين أو علي .. أليس خير الأسماء ما عُبِّد، وحُمِّد؟! وإن أنت رفضت الانصياع لكتبة وفقهاء السلطة، وطالبت بكل حقوقك كاملة، ورفعت الصوت من أجل رد المظالم لأهلها، ورفع الحيف، والجور عن الناس البسطاء العاديين، يُشهرون في وجهك سلاح اسمه "حد الحرابة"، ويتهمونك بالخروج على الدولة، وعلى نظام الحكم فيها، وعلى الحاكم بأمر الله شخصيًا أو إنك عميل لإحدى الدول أو إرهابي فار من وجه العدالة الدولية .. فهل هذه هي الديمقراطية في الإسلام؟!

فما هو حد الحرابة الذي يُشهره الحاكم العربي المسلم في وجه أعدائه من الذين يطالبون بحق التداول على السلطة؟

إنه حد الخروج على النظام، والدولة قد فرضه الإسلام منذ ظهورة، وذلك مصداقًا لقول الله جل جلاله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١) .

وقد استعمله الحاكم العربي، والمسلم من أجل اسكات أصوات المعارضة، وإرهابهم، وإرعابهم، وممارسة الضغوط عليهم، وهذا ما سجلته كتب التاريخ الإسلامية بكل دقة، ولا يُحتاج لمعرفته إلى عناء في البحث.

---

(١) سورة المائدة: ٣٣ - ٣٤ .

٥) لا يجوز صرف زكاة الفطر ولا غيرها من الزكوات إلى ذمي خلافًا لأبى حنيفة النعمان، لقوله ﷺ: "خذها من أغنيائهم وردها في فقرائهم"، وهذه الإضافة لابد لها من اختصاص، وقد ثبت أنه لم يرد القبيلة، ولا البلد، فعلم أن المرادُ به الدين، واعتبارًا بسائر الزكوات، وبالوثنيين؛ ولأنه ليس كالمرتد[١] .

٦) ورد في المدونة للإمام مالك رضي الله عنه: إذا زنى مسلم بكافرة يُحد، ولا تُحد هي، وتُرد إلى أهل دينها؛ لأن الحد تطهير للمسلمين، والكافر لا يطهره حد[٢] .

رابعًا: أهل الذمة في المذهب الفقهي الحنبلي[٣]:

١) أهل الذمة والميراث: من موانع الميراث اختلاف الملل، أي الدين، والشريعة، فلا يرث المسلم الكافر إلا بالولاء لحديث جابر أن النبي ﷺ، قال: "لا يرث المسلم النصراني، إلا أن يكون عبده أو أمته"، رواه الدار قطني. وإلا إذا أسلم كافر قبل قسم ميراث مورثه المسلم، فيرث. ولا يرث الكافر المسلم إلا بالولاء لقوله ﷺ: "لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر" متفق عليه. وخص بالولاء، فيرث به؛ لأنه شعبة من الرق. واختلاف الدارين ليس بمانع، فيتوارث الحربي، والذمي، والمستأمن إذا اتحدت أديانهم لعموم النصوص[٤] . وأهل الذمة يرث بعضهم بعضًا مع اتفاق

---

(١) عبد الوهاب، أبو محمد، *المعونة على مذهب عالم المدينة*، ١/ ٢٧١ .

(٢) الونشريشي، أبو العباس أحمد، *عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق*، دراسة وتحقيق: حمزة أبو فارس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ص. ٦٧٦، رقم: ١٠٧٠ .

(٣) نسبة إلى الإمام ابن حنبل، وهو: أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني الوائلي: إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة (ت. ٢٤١هـ). أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس. وولد ببغداد. سافر في طلب العلم أسفاراً كبيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والثغور والمغرب والجزائر والعراقين وفارس وخرسان والجبال والأطراف. من أشهر ما يروى عنه قصة خلق القرآن التى قال بها المأمون (١٩٨-٢١٨)، وعندما تولى المعتصم سجنه ٢٨ شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن، واطلق سنة ٢٢٠هـ، وله المسند، ستة مجلدات، ويحتوى على ثلاثين ألف حديث. (الزركلي، خير الدين، *قاموس تراجم الأعلام*، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م، ١/ ٢٠٢).

(٤) ضويان، إبراهيم محمد سالم، *منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل*، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة السابعة، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، ٢/ ٩٤ ـ ٩٧؛ والبهوتي، منصورة يونس، *الروض المربع في شرح زاد المستقنع*، حاشية: محمد بن صالح العثيمين، تعليق: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تخريج: عبد القدوس محمد نذير، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنا، ١٩٩٦م، ص ص: ٤٩٩ – ٥٠٠؛ وآل فوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، *الملخص الفقهي*، قسم المعاملات، الطبعة السادس، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٩٩٦م، ٢/ ٢٤٧ – ٢٤٩ .

أديانهم، لا مع اختلافها، وهم ملل شتى، لقوله ﷺ: "لا يتوارث أهل ملتين شتى"(١) .

٢) دية الذمي إذا قُتل: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يجعل دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف، ودية المجوسي ثمانمائة، وقد ذهب إلى كون دية الذمي نصف دية المسلم الإمام مالك. وقال الشافعي: إن دية الكافر أربعة آلاف درهم؛ كذا روي عنه، والذي في منهاج النووي أن دية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم، ودية المجوسي ثلثا عشر دية المسلم. قال شارحه المحلي: إنه قال بذلك عمر، وعثمان، وابن مسعود. وحكى في البحر عن زيد بن علي، وأبي حنيفة أن دية المجوسي كالذمي. وذهب الثوري، والزهري، وزيد بن علي وأبو حنيفة إلى أن دية الذمي كدية المسلم. وروي عن أحمد أن ديته مثل دية المسلم إن قُتل عمدًا، وإلا فنصف الدية(٢) .

لماذا الاختلاف في الفقه الإسلامي حول دية الذمي؟

احتج القائلون بتنصيف دية الذمي بالنسبة إلى دية المسلم بحديث رسول ﷺ: "عقل الكافر نصف دية المسلم".

أما القائلون بأنها كدية المسلم فاستندوا إلى قول الله عز وجل: **﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾**(٣) .

ويُجاب على كل ذلك من قِبل الفقهاء، بأن هذا الإطلاق مقيد بما ثبت عنه ﷺ، من كونها على النصف من دية المسلم. وعند الترمذي: "عقل الكافر نصف عقل المؤمن"، قال ابن القيم الجوزية: هذا حديث حسن، ويصحح مثله أكثر الحديث. وعن أبو داوود، قال: "كانت قيمة الدية على عهد رسول الله ﷺ، ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم، ودية أهل الكتاب يومئذ النصف من دية المسلمين، فكان كذلك حتى استخلف عمر رحمه الله، فقام خطيبًا، فقال: ألا إن الإبل قد غلت. قال: ففرضها عمر على أهل الذهب ألف دينار، وعلى أهل الورق اثني عشر ألفي شاة، وعلى أهل الحلل مائتي حلة، وترك دية أهل الذمة لم يرفعها فيما رفع الدية".

---

(١) رواه: أبو داود (٢٩١١)، وابن ماجة (٢٧٣١)، وأحمد (١٧٨/٢، ١٩٥) عن عبد الله بن عمر. (*الروض المربع شرح زاد المستقنع*، ص. ٤٩٩).

(٢) *منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل*، ٣٠١/١ - ٣٠٥؛ والحسيني القنوجي، أبو الطيب، الروضة الندية شرح *الدرر البهية*، تخريج: أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ٣٤٦/٢ـ ٣٤٧ .

(٣) سورة النساء: ٩٢ .

هذا، ويُحرم المذهب الفقهي الحنبلي قتال أهل الذمة، وأخذ مالهم، ويجب على الإمام حفظهم، ومنع من يؤذيهم؛ لأنهم إنما بذلوا الجزية لحفظهم، وحفظ أموالهم. وروي عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه قال: "إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا"(١) .

٣) القرض والوصية المطبقة على أهل الذمة، وحقهم في التعامل بالربا: تصح وصية الكافر إلى المسلم لقبول شهادته عليه، وعلى غيره، ومحله ما لم تكن خمرًا أو خنزيرًا أو نحوهما. وإذا كان لذمي على مثله خمر بقرض أو غصب، فأيهما أسلم، فلا شيء له بها نص عليه؛ لأنه إن كان ربها، لم يكن له أخذها؛ لأنها محرمة عليه، وإن كان الآخر، سقطت من ذمته، لعدم ماليتها إلى المسلم. وقيل: إذا لم يسلم ربها فله قيمتها؛ لأنها مال كان ثابتًا في ذمته قبل الإسلام، فلا يسقط به كغيره من الديون. ولو كانت عليه من مسلم، لم يكن لربها إلا رأس ماله. أما إذا تبايع أهل الذمة بالربا، فيمنعوا؛ لأنه عائد بفساد أموال ونقد المسلمين.

.٤) تطبيق الحدود على أهل الذمة: من أتى محرمًا من أهل الذمة، مما يعتقد تحريمه في دينه، كالقتل، والزنا، والسرقة، والقذف، وجب عليه ما يجب على المسلم، لما روى أنس: أن يهوديًا، قتل جارية على أوْضَاحٍ لها أي: حُلي من الفضة، وقد سُميت أوضاحًا لبياضها، فقتله رسول الله ﷺ، بين حَجرين؛ لأن اليهودي رض رأسها بين حجرين، وروى ابن عمر: أن النبي ﷺ، أُتيّ بيهوديتين قد فجرتا بعد إحصانهما، فرجمهما؛ ولأنه محرم في دينهما، وقد التزم حكم الإسلام، فثبت في حقه المخالف حكمه، كالمسلم(٢) .

ونلاحظ هَهنا أن هذه الفتوى تختلف مع سابقة لها تقول بعدم جواز حد الذمي؛ لأن في الحد تطهير للمسلم، ولا تطهير للذمي!

فأما ما لا يعتقد تحريمه: كشرب الخمر، ونحوه، فلا حد عليه فيه؛ لأنه يعتقد حله، فلم يجب عليه عقوبة، كالكفر، ولا يمكن من التظاهر به؛ لأنه منكر، فلا يمكن من إظهاره، فإن أظهره عزر - أي عُوقب بنوع من التأديب المتعارف عليه في تلك

---

(١) محمد بن مفلح، أبو اسحاق (٨١٦ - ٨٤٤)، *المبدع في شرح المقنع*، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ٣/٤٣٠ ـ ٤٣١؛ و٦/١٠٩ .

(٢) ابن قدامه المقدسي، أبو محمد موفق الدين، *الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل*، تخريج وقراءة: الشيخ سليم يوسف، وغيره، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ٤/٢٣٠ .

الفترة من الحكم الإسلامي كالسجن أو الضرب أو ما شابه -، كما سبق ذكره.

٥) يعزر(١) من قال للذمي يا حاج!

خامساً: أهل الذمة في المذهب الفقهي الجعفري(١):

١) علاقة المسلم بأعمال أهل الذمة الخاصة: يُكره للمسلم أن يعمل بناءًا أو

(١) سبق أن شرحنا معنى التعزير، لكن نريد أن نُضيف بأنه المنع يكون في اللغة، ويُطلق التعزير ويراد به النصرة؛ لأنه يمنع المعادي من الإيذاء، قال عز وجل: ﴿وتعزروه وتوقروه﴾؛ يعني: النبي ﷺ، ويُقال عزرته بمعنى وقرته، ويُقال عزرته بمعنى أدبته؛ فهو من الأضداد. ومعنى التعزير في الاصطلاح الفقهي: التأديب، سُمي بذلك؛ لأنه يمنع مما لا يجوز فعله؛ ولأنه طريق إلى التوقير؛ لأن المعزَّر إذا امتنع بسببه من فعل ما لا ينبغي؛ حصل له الوقار. وحكم التعزير في الإسلام أنه واجب في فعل كل معصية لا حد فيها ولا كفارة؛ من فعل المحرمات، وترك الواجبات، ويفعله ولي الأمر إذا رأى المصلحة فيه، ويتركه إذا رأى المصلحة في تركه، ولا يحتاج في إقامة التعزير إلى مطالبة، فيعزَّر المُعْتَدي ولو لم يطالب المُعْتَدى عليه، ومرجعه إلى اجتهاد الحاكم؛ حيث كانت الجرائم تتفاوت في الشدة والضعف والكثرة والقلة. والصحيح أنه ليس فيه حد معين، لكن إذا كانت المعصية في عقوبتها مقدر من الشرع كالزنى والسرقة؛ فلا يبلغ بالتعزير الحد المقدر. وقد يصل التعزير إلى القتل إذا اقتضته المصلحة؛ مثل قتل الجاسوس، وقتل المفرق لجماعة المسلمين، والداعي إلى غير كتاب الله وسنة نبيه، وغير ذلك مما لا ينفع إلا بالقتل. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهذا أعدل الأقوال، وعليه دلت سنة رسول الله ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين؛ فقد أمر بضرب الذي أحلت له امرأته جاريتها مئة، وأبو بكر، وعمر أمرا بضرب رجل وامرأة وجدا في لحاف واحد مئة مئة، وضرب عمر صبيغاً ضرباً كثيراً". وقال الشيخ: "إذا كان المقصود دفع الفساد، ولم يندفع إلا بالقتل؛ قُتل، وحينئذ؛ فمن تكرر منه جنس الفساد، ولم يرتدع بالحدود المقدرة، بل استمر على الفساد؛ فهو كالصائل الذي لا يندفع إلا بالقتل فيقتل". ولا حد لأقل التعزير؛ لتفاوت الجرائم بالشدة والضعف واختلاف الأحوال والأزمان، فجعلت العقوبات على بعض الجرائم راجعة إلى اجتهاد الحاكم بحسب الحاجة والمصلحة، ولا تخرج عما أمر الله به ونهى عنه، كما يكون التعزير بالضرب يكون بالحبس، والصفع، والتوبيخ، والزل عن الولاية ونحو ذلك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد يكون التعزير بالنيل من عرضه؛ كيا ظالم! يا معتدي! وبإقامته من المجلس". والذين أجازوا في التعزير على عشرة أسواط أجابوا عن قوله ﷺ : "لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط؛ إلا في حد من حدود الله"، متفق عليه، بأن المراد بالحد هنا المعصية، لا العقوبات المقدرة في الشرع، بل المراد المحرمات، وحدود الله محارمه، فيعزر بحسب المصلحة وعلى قدر الجريمة. ولا يجوز أن يكون التعزير بقطع عضو أو بجرح المعزَّر أو حلق لحيته؛ لما في ذلك من المثلة والتشويه؛ كما لا يجوز أن يعزِّر بحرام؛ كسقيه خمراً. (آل الفوزان، *الملخص الفقهي*، قسم المعاملات، ٢/٤٢٤ ـ ٤٣٦، مرجع سابق.)

(٢) نسبة إلى جعفر الصادق، وهو: جعفر بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق (ت. ١٤٨هـ)، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان مأجلاء التابعين. وله منزلةرفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. لقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. مولده ومماته بالمدينة المنورة. (البغدادي، *كشف الظنون*، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ٥/٢٥١؛ والزركلي، خير الدين، *قاموس تراجم الأعلام*، ٢/١٢٦ .

ويخبرنا صاحب الملل والنحل أن الجعفرية الواقفة: هم أصحاب أبي جعفر محمدعلي الباقر وابنه جعفر=

أعمال التجارة في بيعهم، وكنائسهم التي يتخذونها لصلاتهم[1] .

٢) الجزية ولواحقها في أهل الذمة: قد بات معروفًا أن الجزية من ثمار الحرب، وفرض شروط المنتصر كما هي العادة في كل الحروب المُتعارف عليها، حتى إن الحرب بين الرومانيين والأثينيين ونتيجة لانتصار الرومان، وفرض شروطهم، وكل هذا مسجل في التاريخ، كانت هناك جزية. لكن إذا كان المهزوم أكثر ثقافة من المنتصر، فيختل ساعتها التوازن كما حدث بالنسبة للروماني، واليوناني، فقد استعمر الرومان اليونان، لكن المستعمر كان يستمع لصوت اليوناني المقهور بقوة السلاح؛ لأن اليوناني كان أكثر ثقافة من الروماني.

أما بخصوص الجزية في الإسلام ولواحقها فقد ذكر صاحب كتاب هداية الأنام لشريعة الإسلام، بأنه يتوجب مقاتلة النصارى إلى أن يُسلموا أمرهم إلى الله أو يلتزموا بشرائط الذمة، وهو قبول الجزية، وأن لا يؤذوا المسلمين، وأن لا يتظاهروا بالمحرمات كشرب الخمر، وأن لا يُحدثوا كنيسة، ولا يضربوا ناقوسًا - أي جرس الكنيسة -، وأن يجرى عليهم أحكام المسلمين، فإن التزموا بهذا كُف عنهم. ولا يحدد المذهب الجعفري الشيعي حد للجزية، بل بحسب ما يراه الإمام، وهو لا يختلف بذلك مع مذاهب السنة، وأهل الجماعة، ولا تؤخذ الجزية من الصبيان، والمجانين، والبله، والنساء، ويجوز وضعها على رؤوسهم وأراضيهم، ولو أسلموا سقطت، ولو مات الذمي بعد الحول أُخذت من تركته، ويجوز أخذها من ثمن المحرمات.

=الصادق قالوا بإمامتهما وإقامة والدهما زين العابدين إلا أن منهم من توقف على واحد منهما وما ساق الإمامة إلى أولادهما، ومنهم من ساق وإنما ميزنا هذه الفرقة دون الأصناف المتشيعة التي نذكرها؛ لأن من الشيعة من توقف على الباقر وقال برجعته كما توقف القائلون بإمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق وهو ذو علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ويفيض على الموالين أسرار العلوم ثم دخل العراق وأقام بها مدة. وهو من جانب الأب ينتسب إلى شجرة النبوة، ومن جانب الأم ينتسب إلى أبي بكر رضي الله عنه، وقد تبرأ عما كان ينسب بعض الغلاة إليه، وتبرأ عنهم ولعنهم وبرئ من خصائص مذاهب الرافضة وحماقتهم من القول بـ: الغيبة، والرجعة، والبداء، والتناسخ، والحلول، والتشبيه، وغيرها، على ذمة صاحب الموسوعة، وما ورد فيها من معلومات. (ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي (ت. ٤٥٦ هـ.)، *ما بهامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل*؛ والشهرستاني، أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم (ت. ٤٥٨ هـ.)، *الملل والنحل*، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ١/٢٢٤، و٢/٢ .

ولمزيد من المعلومات يمكن مراجعة: الأشعري، أبو الحسن إسماعيل (ت. ٣٣٠ هـ.)، *مقالات الإسلاميين*، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، د. ن.، ١٩٨٥م، ١/٦٥ - ١٥٥ .

(١) مراويد، علي أصغر، *سلسلة الينابيع الفقهية*، فقه الشيعة، ٣١/١٣٤ .

من هو مستحق هذه الجزية؟

إنهم المجاهدون وحدهم أي المقاتلون.

لا يجوز بناء بيعة، ولا كنيسة في دار الإسلام، ويجوز تجديدهما، ولا يجوز أن يعلو الذمي ببنائه على بناء المسلمين، ويقر ما ابتاعه من مسلم على حاله ولا يجوز دخول الذمي إلى المسجد[١] .

٣) في أمور الميراث المتعلقة بأهل الذمة: يرث أهل الإسلام بالنّسب والسّبب أهل الكفر والإسلام، ولا يرث كافر مسلمًا على حال، فإن ترك النصراني ابنًا مسلمًا، وابنًا على ملّته أي غير مسلم، فميراثه عند آل محمد ﷺ، لإبنه المسلم دون الكافر، وإن كان للمسلم امرأة ذمية فماتت ولها ابن ذمي أو أخ فتركتها للزوج المسلم دون الابن والأخ؛ لأنهما بكفرهما كالقاتل عمدًا، اللهم إلا أن يكون لها ذو رحم مسلم فيكون للزوج النصف، والباقي لذي رحمها من المسلمين دون ولدها وغيره من قرابتها الكافرين، وغيرها من فتاوى الميراث الشيعي يمكن الاطلاع عليها من المراجع المذكورة في هذا المبحث[٢] .

٤) إسلام ابن الذمي بإسلام أحد الأبوين: ولفظ المجموع بإسناده عن علي ﵁، قال: إذا أسلم أحد الأبوين والولد صغار، فالولد مسلمون بإسلام من أسلم من الأبوين، فإن كبر الولد وأبوا الإسلام قُتلوا، وإن كان الولد كبارًا بالغين، لم يكونوا مسلمين بإسلام الأبوين[٣] .

٥) شهادة أهل الذمة: لا خلاف أن شهادة أهل الذمة لا تُقبل على المسلم، إلا بما تفرَّد به أصحابنا في الوصية خاصة في حال السفر عند عدم المسلم، أما قبول شهادة بعضهم على بعض، فقال قوم، لا تُقبل بحال لا على مسلم، ولا على مشرك. وفيه خلاف، ويقوى الدليل في عدم قبول شهادتهم؛ لأنهم كفار فساق، ومن شرط الشاهد أن يكون عدلاً[٤] .

---

(١) البغدادي، السيد محمد حسني، *هداية الأنام لشريعة الإسلام*، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ٣٣١/١ - ٣٣٢ .

(٢) مراويد، علي أصغر، *سلسلة الينابيع الفقهية*، المواريث، ٤٠/٢٢ . ٤١، والمواريث، ١٦٢/٣٤ . ١٦٣ .

(٣) أبو طالب، أحمد بن عيسى بن زين بن علي بن الحسين، *كتاب رأب الصدع*، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، باب: في الرجل يُسلم، ويأبى ولده الإسلام، رقم: ٢٥١٥، ١٥٠٦/٣ - ١٥٠٧ .

(٤) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت. ٤٦٠ هـ.)، *المبسوط في فقه الإمامية*، تصحيح وتعليق: محمد الباقر البهودي، عناية: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، حجاب حيدري، ١٣٥١ ش، ١٨٦/٨ . ١٨٨ .

٦) قتل المسلم بالذمي في القصاص: قال به أبو جعفر: سألت أبا عبد الله، أيقتل المسلم بالمعاهد؟ عن النبي ﷺ، أنه أقاد من مسلم بمعاهد، وقال: أنا أحق من وفى بذمتي، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعن علي بن الحسين رضي الله عنه، نحو ذلك، فقال: وقد روى غيره[١] .

أهل الذمة في التاريخ المعاصر.. ومفهوم أهل الذمة في المسيحية:

هل هناك شيء اسمه أهل الذمة في المسيحية؟!

لا يوجد فقه نوازل حديث في أهل الذمة ما خلا من بعض أقوال لأهل الرأي، والفكر المستقل، وبعض الأصوات التي تنادي بشيء اسمه المواطنية، والمواطنة من دون أن يكون لأي منهما سلطة فعلية في أنظمة الحكم الدكتاتورية. والمعنى أن يتساوى جميع المواطنين في الحقوق، والواجبات أمام القانون، وكأن مسلم اليوم يتميز عن مسيحي اليوم في المعاملات أو ما شابه ذلك! على العكس تمامًا، فقوات الأمن الخاصة في بعض الأنظمة التوتاليتارية الكليانية الشمولية من دول العالم العاشر، ومليشيات مباحث أمن الدولة في هذه الأنظمة تستطيع أن تدخل إلى المساجد بأحذيتهم الغالية المصنوعة من جلود التماسيح، وتدوس بنعالها المصلين من أجل أن تعتقل من ترى بأنهم يشكلون خطرًا على النظام الحاكم بينما لا تجرؤ أن تدخل كنيسة أو تهاجم ديرًا حتى لو أُطلق النار من داخله، لا حبًا في المسيحية، ولا محاباة للمسيحيين؛ وإنما هو خوف من أُم الإرهاب، والإرعاب أميركا، وتحسبًا للمستعمر القديم الجديد القابع في مدينة الضباب!

وقد نسمع نداءات من بعض علماء المسلمين من هنا أو من هناك، من دون أن يكون لهؤلاء صلة مباشرة بدور الافتاء في بلدانهم أو حتى الحد الأدنى من القدرة على تطبيق معايير المساواة في مفاهيم الدولة الخاصة، ومصطلحاتها كـ: الجنسية أو القومية[٢] .

---

(١) أبو طالب، أحمد بن عيسى، *كتاب رأب الصدع*، باب: في المسلم يقتل بالمعاهد، رقم: ٢٥١٦، ١٥٠٧/٣ .

(٢) لمزيد من الاطلاع على فكرة المواطنية راجع: المبارك، محمد، *الثقافة الإسلامية، نظام الإسلام، الحكم والدولة*، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، ص ص: ١٠٧ - ١٢٤؛ والسحمراني، أسعد، *الإسلام بين المذاهب والأديان*، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص ص: ٥٩ - ٩٧؛ ويكن، فتحي، *المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب*، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص ص: ١٢٦ - ١٢٩؛ والمبارك، محمد، *المجتمع الإسلامي المعاصر*، الطبعة الخامسة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ص ص: ٣٢ - ٤٥ .

إذًا، لم تصدر في شأن أهل الذمة المعاصرين أية أقوال ذات شأن أو فتوى من دور الفتوى لأحد البلدان الإسلامية، أو غيرها، ولذا لم نستطيع تسجيل هذا كحدث يُعتد به على صعيد الفتوى في هذا المقام، ومع ذلك، فما زالت نداءات الجهاد تصدر بصورة دورية من بعض المراجع الدينية الإسلامية، ودور الفتوى، في حين تغيب الفتاوى الخاصة بأهل الذمة من ملفاتهم غيابًا تامًا. وقد يعود السبب في ذلك إلى ضعف البلدان الإسلامية، إذ لم يعد هذا الأمر متداولاً أبدًا على الساحة الإسلامية، نظرًا للتغيرات، والتقلبات في المنطقة.

أما الفتاوى التي تُنشر في حق النصارى أي: أهل الذمة في هذا التاريخ المعاصر، وما سبقه من عهود قريبة أي في التاريخ الحديث، فلا تخرج عن الأفكار الآتية[1]:

---

(١) ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله؛ وابن عثيمين، محمد بن صالح؛ والجبرين، عبد الله بن عبد الرحمن: أصحاب السماحة، إضافة إلى اللجنة الدائمة، وقرارات المجمع الفقهي، *فتاوى إسلامية*، ١/١٤٠ – ١٤٣، و٢/٤٠٠ – ٤٠٣؛ والسلمان، عبد العزيز محمد، *الأسئلة والأجوبة الفقهية المقرونة بالأدلة الشرعية*، الطبعة العاشرة، د. ن.، ١٤١٢ هـ.، ٣/١٢٢ – ١٢٣، ٧/٤٢٠ ـ ٤٢٩؛ والنملاوي، خليل عبد القادر، *الدرر المباحة في الحظر والإباحة*، تنقيح وتعليق: محمد سعيد البرهاني، الطبعة الثالثة، المطبعة العلمية، دمشق، سوريا، ١٩٨٧م، ص ص: ٨١، ٢١٨، ٢٧١ – ٢٧٢؛ *ورسائل وفتاوى الشيخ عبد الله عبد الرحمن ابابطين*، جمعها ورتبها وخرج أحاديثها: إبراهيم بن عبد الله الحازمي، الطبعة الأولى، دار الشريف، الرياض، ١٤١٥ هـ، ص. ١٩٧؛ وابن باز، عبد العزيز، *مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز*، الجزء الأول؛ *وفتاوى العقيدة*، القسم الثالث، إعداد: عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٦، ٢٣/١٠٤٦ – ١٠٤٨؛ *ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة*، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز، جمع وإشراف: محمد بن سعد الشويعر، دار أولي النهى، الرياض، ١٩٩٣م، ٤/٤٣٥ ـ ٤٣٦؛ *ومجموع الفتاوى الشرعية*، صادر عن قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، الجزء الأول، كتاب العقائد، ص ص: ١٤٣ – ١٤٧؛ والجزء الثاني؛ وكتاب الحظر والإباحة، ص ص: ٢٠٧ – ٢٠٩، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت؛ *والمسيحيون في الجمهورية الإسلامية الإيرانية*، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية في بيروت، بيروت، لبنان؛ ودستور الجمهورية الإسلامية في إيران، تم التصديق عليه أول مرة عام ١٩٧٩م، وتم التصديق عليه وتعديله عام ١٩٨٩م، المواد رقم: ١٣، ١٤، ص. ٢١، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في بيروت، بيروت، لبنان؛ والتسخيري، محمد علي، *حول الدستور الإسلامي في مواده العامة*، ١٩٩٧م، ص ص: ٢٢٩ – ٢٣٢؛ ورابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، مديرية الترجمة والنشر، طهران، الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ ومجموعة *رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود*: رئيس المحاكم الشرعية والشئوى الدينية بدولة قطر، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص ص: ٥٩٠ – ٥٩٧؛ *وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء*، جمع وترتيب: الشيخ أحمد ابن عبد الرزاق الدرويش، الطبعة الأولى، دار أولي النهى، الرياض، ١٤١١، فتوى رقم: ١٦٤٤، ٧٧٦٦، ١/٢٦٤، ٤١٣؛ *وفتاوى شيخ الإسلام*: محمد *العزيز جعيط*، دراسة وتحقيق: محمد ابن إبراهيم بو زغيبة، الطبعة الأولى، مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ١٩٩٤م، وجاد الحق، جاد الحق علي، *بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة*، ص ص: ٨٢ – ٩٠؛ ٤٧٨ – ٤٧٩؛ والشعراوي، محمد متولي، *الفتاوى*، ص ص: ١٣٩ – ١٤٠؛ ٣١١ – ٣١٣؛ ٤٦٧ – ٤٦٨ .

الأول: فتاوى كلاسيكية:

هي عبارة عن تكرار لفتاوى قديمة أي: سبق ذكرها في الماضي، وهي كثير جدًا في حق أهل الذمة، وما يتوجب عليهم تجاه الإسلام، والمسلمين، لكن لا توجد فتاوى معاصرة فيها نوع من الابداع أو التجديد!

وقد يكون السبب في ذلك طبيعة الشريعة الإسلامية، ولا يُفهم من قولي هذا أنني أصف الشريعة الإسلامية بالجمود؛ وإنما هي الشريعة، ومثال على ذلك لتقريب وجهة نظري في هذا الشأن ما ورد في الموطأ عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: "سألت سعيد بن المسيب كم في أصبع المرأة؟ قال: عشر من الإبل، قلت: فكم في أصبعين؟ قال: عشرون من الإبل، قلت: فكم في ثلاث أصابع؟ قال: ثلاثون من الإبل، قلت: فكم في أربع؟ قال: عشرون من الإبل، قلت: حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها نقص عقلها. قال سعيد: أعراقي أنت؟ قلت: بل عالم متثبت، أو جاهل متعلم. قال: هي السنة يا ابن أخي"[1] .

هذا هو النوع الأول من الفتاوى الذي اعتمد في مجمله على الوضع أو الظروف التي كانت تسود العالم الإسلام إبان حكمه على مناطق النفوذ في العالم من المحيط إلى الخليج. على أن هناك فتاوى تصدر حديثًا، ومع أن لها نكهة مختلفة، إذ يمكن أن نُطلق عليها بأنها فتاوى عصرية أي تخاطب عصرنا الراهن الذي نحن نعيش فيه اليوم إلا أنها تمتد بظلالها إلى جزيرة العرب، كيف؟!

الثاني: فتاوى الحوار الإسلامي:

فتاوى عصرية غير متشددة البتة في حق أهل الذمة من النصارى لكنها لا تستند إلى شيء من أصول الفقه سوى آية من الذكر الحكيم، وهي: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾[2] فيؤخذ هذا الجزء الذي وضعنا تحته خطًا أخذًا مبتورًا، ثم يُلصق بأمور متنوعة حسب ما يريد المفسر الشارح لهذه الآية أو المحاضر، وغالبًا ما يكون هذا في التجمعات الإسلامية المسيحية، وفي الندوات، واللقاءات المتبادلة بين الطرفين

---

(١) القنوجي، ابن علي الحسيني؛ وابن الحسين، أبو الطيب صديق، *الروضة الندية شرح الدرر البهية*، تخريج: أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ٢/٣٤٦ - ٣٤٨ .

(٢) سورة المائدة: ٨٢ .

بواسطة طرف ثالث على الأرجح يكون من مؤسسات المجتمع المدني أو أحد الجامعات التي لها باع طويل في العلاقات الإسلامية المسيحية، من دون الاستناد إلى المراجع التفسيرية القرآنية، أو أن المحاضر يعرف كل شيء، ويريد أن يُجمع لا يُفرق، فلا يجد أمامه إلا أن يأخذ هذه الآيات المبتورة عن سياق النص.

أما بقية الآية فلا تدل بحال من الأحوال على الوضع الراهن في العلاقات الإسلامية المسيحية، ولا حتى على عهد الرسول ﷺ، إذ يقول الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾[١] . إذًا، فقد آمن هؤلاء النصارى بدين الله الإسلام، وصدقوا بالنبي والكتاب، ولم يعودوا نصارى[٢] .

الثالث: الإهمال، والتهميش:

لا يُؤتى على ذكر أهل الذمة البتة، ولا أي إشارة لهم في أي مكان بأي حال من الأحوال؛ وإنما تخرج الفتاوى الصادرة من دور الفتوى في البلدان ذات التعددية الطائفية من دون أن تذكر هذه الفئة من الوطن، رغم وجود التعامل العملي بين المسلمين والمسيحين في البلدان ذات التعددية كـ: مصر، والأردن، ولبنان، والعراق، وسوريا. وربما يعود في ذلك إلى أوامر من سلطة النظام الحاكم في هذه البلدان من أجل الحفاظ على استقرار أمن النظام، وتثبيت كرسي الحاكم فقط لا غير من دون أي اعتبارات أخرى!

الرابع: فتاوى سلفية المنبع والهوية:

فتاوى متشددة في حق النصارى من جهة جعلهم نجسين نجاسة المعتقد، والعين، فلا تصح مصافحتهم، ولا الأكل معهم أو حديثهم، ولا التودد إليهم، والتضييق عليهم في الطرقات، وهذا لم يحدث حتى في فترات الإسلام المتشدد، فما بالك ونحن نعيش في الألفية الثالثة!

لماذا المسلمون والمسيحيون في مصر يشكلون حالة من الاستقرار النسبي، وصورة من صور التعايش المشترك، ما خلا بعض الأحداث المتفرقة هنا أو هناك؟

(١) سورة المائدة: ٨٢ – ٨٤ .

(٢) الجمل، سليمان، *الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية*، ٢٨٢/٢ – ٢٨٣ .

لا، ليس هذا صحيحًا، فالأحداث كثيرة، ومتنقلة في أماكن مختلفة من الفيوم إلى كفر الشيخ إلى ملوي إلى محافظة المنيا إلى الكُشح، وإلى دشنا، وإلى محافظة أسيوط، ودير أبو فانا، وغيرها من أماكن الصراع التي تكرس أبجديات هذا الصراع بين الديانات الإبراهيمية لا سيما المسيحية، والإسلام.

لقد تعددت الأسباب، والموت واحد! فهناك الكثير من الأسباب التي تقف وراء الاستقرار النسبي بين المسيحيين، والمسلمين في مصر، وأهم هذه الأسباب من وجهة نظر الباحث هي:

١) طريقة الأنظمة الحاكمة المتوالية على القطر المصري، وطبيعة تعاملها مع الأوضاع، وسيطرتها من جهة خاصة على مواطن المشاكل، فينعم النظام بالاستقرار، والتعايش المشترك من دون أن يكون هناك تعايش حقيقي مشترك بين المسيحيين، وأخوانهم المسلمين داخل المجتمع الواحد. فهو سلام ظاهري هش يفتقر إلى المعايير الحقيقية للعيش المشترك.

٢) قلة التدخلات الخارجية، أو محاولة إزكاء روح الوطنية عند الطوائف المتعددة في مصر من قِبل النظام الحاكم والتي أثرت بدورها بشكل أو بآخر في التقليل من فاعلية التدخلات الأجنبية، أو إحباط الأنظمة المصرية المتعاقبة لهذه التدخلات الخارجية، وليس آخرها محاولة فرض النظام الأميركي شروطه على مصر، وإلا قطع عنها المعونة السنوية التي يقدمها الكنغرس الأميركي للنظام المصري الحاكم.

٣) التاريخ المشترك بمعنى: كابد المسلمون، والأقباط على السواء في احتمال ظلم الحكام وسوء الإدارة، والمشاركة الفعلية بين الأقباط والمسلمين في أنماط الحياة المختلفة في مصر بحسب التاريخ الحديث، وحتى التاريخ المعاصر مما جعل روح الالتحام أقوى من رياح التفرقة؛ لأن المصيبة تجمع أحيانًا كما يقول الخبراء العرب ما فرقته السياسات الخنفشارية، والاضطهادات المتلاحقة، والمتعاقبة على كلا الطرفين من مسيحيين، ومسلمين[1] .

٤) قدرة مباحث أمن الدولة المصرية على اختراق جميع مؤسسات المجتمع المدني، والديني في مصر، والتجسس عليهم لحساب استقرار النظام الحاكم مما

---

(١) الرافعي، عبد الرحمن، *تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر*، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ١/٦٥ - ٦٧ .

رسخ بصورة أو بأخرى الاستقرار الهش ما بين المسلمين، والمسيحيين، وقد ساهم أسلوب التهديد، والوعيد، وقانون الطوارئ الذي عُمل به في جمهورية مصر العربية لعقود في تهدئة الأوضاع، وجعلها تحت السيطرة. ولذلك نجد نظامًا مثل النظام السوري يتشابه تمامًا في طريقة عمله مع هذه القضايا بنفس العصا السحرية في يد صاحب القرار، ولا يستطيع أي مُنَظِّر أن يعرف النتائج السلبية لهذه الطريقة إلا بعد سقوط النظام الحاكم، وتأتي سلطة جديدة تُعطي الحرية لجميع فئات الشعب من دون التمييز بينهم من حيث العرق أو الدين أو النسب، والحسب كما يقول المثل المصري "اللي ليه ضهر - ظهر - ما ينضربش على بطنه" مع الاعتذار لسيبويه، والمعنى أن من له حماية تقف كالسيف في ظهره ضد أعدائه، فلا يخاف، ولا يرهب من نباح الكلاب التي تعوي عليه، وهي غير قادرة على أذيته البتة.

فهل هذه الأساليب قد عالجت جذور المشكلة الطائفية في مصر؟ أو هل الادعاء بعدم وجود طائفية دينية ذات شجون سياسية، واضطهاد كل طرف للآخر، واتهامه بأنه هو السبب وراء هذه الممارسات الفاشية، والعشوائية، والمتنقلة في أماكن متنوعة من القطر المصري لا سيما في صعيد مصر من الكشح إلى ملوي مرورًا بالفيوم، يُقدم ترياقًا لهذا السم المميت، وشفاء من هذا الاخطابوط القاتل؟! وهل النظام المصري يحاول بين الفينة والأخرى أن يخوف كل طرف من الآخر ليُمسك هو بزمام الأمور، ويكون بمثابة الأب الصالح لكل فئة بأسلوب ثعلبي؟!

أسباب تأخر فقه الذمة في الأجندة الإسلامية

إن الفقه الخاص بأهل الذمة لم يتقدم كثيرًا على غرار الحكومات، والأنظمة العربية، والإسلامية؛ وإنما قل إن شئت: قد راوح الفقه الخاص بأهل الذمة مكانه في كثير من المواقع وانحصر في أمور لا طائل منها، ولا سيما في عصرنا الراهن، وهذه الأمور هي:

١ . الجزية وقوانينها في أهل الذمة.

٢ . ميراث أهل الذمة عن المسلم.

٣ . الوصية، ومعاملات الوصية الخاصة بأهل الذمة سواء أكانت من أهل الذمة إلى مسلم أو العكس.

٤ . الحدود، والقصاص، والديات.

٥ . المعاملات اليومية بين المسلمين، والمسيحيين من مأكل، ومشرب، وملبس، والتصافح، والتحية بينهما، وغيرها من الأمور التي تناولها الفقه في كتبه بالشرح والتحليل المفرطين.

لقد انحصر فقه النوازل في تناول أهل الذمة من هذه الزاوية المتعددة الأوجه، لكنها أحادية الجانب، وهذه هي المعضلة في التعددية والأحادية، وقد يرجع ذلك في رأينا إلى ثلاثة أسباب رئيسة هي:

١) تأثير الفقه السلفي والذي لا يواجه في بلدانه مشكلة العيش المشترك التي تحياها بعض بلدان المنطقة العربية كـ: العراق، ومصر، والأردن، وسوريا، ولبنان، فكانت النتيجة أن ترك الفقهاء هذا الجانب، ولم يطوروه بحسب المفهوم العصري نظرًا لعدم حاجتهم الملحة لهذا النوع من الفقه، وليبقى القديم على ما هو عليه من دون تجديد يُذكر، ومن يُحاول التجديد يُلصقون به تهمة "البدعة" أو التخريب!

٢) قد يكون هذا الفقه أي الأحكام التي تتناول المعاملات بين المسلمين، والمسيحيين، غطت بصورة أو بأخرى جميع الاحتمالات الكائنة والتي سوف تكون عليها المعاملات الإسلامية المسيحية في المستقبل، فلا مجال لاجتهادات جديدة يمكن لها أن تجد موقعها في هذا الفقه.

٣) قد يكون السبب راجع إلى أهل الذمة أنفسهم أي إلى المسيحيين في مقالنا هذا، إذ لم يتغير أدائهم أو سلوكهم أو أسلوبهم في التعاطي أو حتى في طريقة تعاملهم مع الإسلام، والمسلمين عبر حقب من الزمن، مما جعل بطبيعة الحال أن يتعامل الفقه معهم كما لو كان في العصر الأول لميلاد الإسلام ونزول الشريعة على نبيه محمد ﷺ. فإذا كان لكل فعل رد فعل مساوي له في المقدار ومضاد له في الاتجاه، ونظائر الأسباب تؤدي إلى نظائر النتائج، فإن هذا هو ما آل إليه الحال في العلاقات الإسلامية المسيحية عبر قرون من الزمن!

لقد استخدم بعض الكتاب النصوص الفقهية السالفة الذكر، ثم بدأو يذكرون المسموح وغير المسموح، وركزوا على فترات الاضطهاد التي واجهتها الكنيسة في التاريخ الإسلامي. ثم بين المحققون كيف أن من أسلم من المسيحيين لا يستطيع أن يرتد إلى المسيحية مرة أخرى؛ لأن عقوبة ذلك هو الموت للمرتد عن دينه؛ بينما

الذاهب إلى المسيحية يعود كما أتى في أي وقت يشاء؛ لأن الحق لا بد أن يعود إلى أهله! ثم جاء آخرون فملأوا صفحات الكتب بقصص، وأحداث فيها كثير من المغالاة. حتى إن بعضهم كتب أنه كان في حقبة من التاريخ الإسلامي، يُفرض على المسيحي حمل صليب من الحديد في رقبته يزن بضع كليوغرامات مما أدمى رقابهم، ناهيك عن التفريق في الملبس، والمأكل، والمشرب، والحمامات بين أبناء الوطن الواحد! وجاء آخرون فردوا على هذه الكتابات[١] . وقد بقي أهل الذمة يتمتعون بحق التعليم رغم ما ذُكر، وبخلافه، وقد ذكر الخربوطلي، أن أهل الذمة، كانوا مضطرين في بعض فترات الحكم الإسلامي إلى تعلم العربية، لصلتهم بالعرب في شئون الزراعة، والصناعة، والتجارة، وأحيانًا أُضطروا إلى ذلك من أجل لقمة العيش أو بالسيف كما حدث مع المصريين الأقباط إبان دخول الإسلام إلى أرض مصر. كما أدى تعريب الدواوين في عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان، وتعريب الثقافة إلى انتشار العربية على نطاق واسع بين أهل الذمة. وقد كان عليهم اتقانها حتى يحتفظوا بوظائفهم في الدولة، وإلا حُرموا منها[٢]!

ما هو دور النصارى السلبي في التاريخ الإسلامي؟

كتب عبد الله المشوخي تحت عنوان: "دور النصارى"[٣]: بالإضافة إلى ما ذكره

(١) **تنبيه**: توجد كتابات عديدة حاولت الرد على المسلمين، وفقههم، ومن بين هذه الكتابات: ترتليون، أ. س.، *أهل الذمة في الإسلام*، ترجمة: حسن حبشي، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر، ص ص: ٥٨ - ٦١؛ و Browne, E. Laurence, THE DCLIPSE OF CHRISTIANITY IN ASIA: From the time of Mohammed till the Fourteenth century, New York, 1967, p.p. 44 - 63. And Watt W. Montgomery, Islam and Christianity Today, A contribution to dialogue, London, Boston. والدمشقي، يوحنا: منصور بن سرجون، *الفكر المسيحي بين الأمس واليوم*، تعريب: الإكسر حوس جوزف نصر الله الأرشمندريت، أنطوان وهبي، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ١٩٩١م، ص. ٢٠٦؛ *والإسلام في لبنان*، محاضرات الندوة التاسعة عشر، النشرة: ٨ ـ ١١، الندوة اللبنانية، ميشال أسمر، ١٩٦٥، مقال للسيد موسى الصدر، ٢٤ أيار ١٩٦٥م؛ والمدني، هاشم دفتر دار، *الإسلام والمسيحية في لبنان*، الطبعة الثانية، مطبعة الإنصاف، بيروت، لبنان، ص. ٣٩؛ وسحاب، فكتور، *العرب وتاريخ المسألة المسيحية*، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م، ص ص: ١٤ - ١٥؛ وابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله، *أحكام أهل الذمة*، تحقيق وتعليق: د. صبحي الصالح، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

(٢) اليوزبكي، توفيق سلطان، *تاريخ أهل الذمة في العراق* (١٢ ـ ٢٤٧ هـ)، الطبعة الأولى، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٣م، ص ص: ٤٠٨ - ٤٠٩ .

(٣) المشوخي، عبد الله سليمان، *مجتمعنا المعاصر: أسباب ضعفه ووسائل علاجه*، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٧م، ص ص: ٢١٠ - ٢١١ .

التاريخ عن الحروب الصليبية، وكيف أنهم كانوا دائمًا يتعاونون مع الفرنجة أي الصليبيين في ضرب حصون المسلمين، وشل حركتهم على مقاومة العدو القادم إليهم من الشمال[١] . ناهيك عن المخططات الصليبية من أجل تشرذم الإسلام، وقد شجع المسيحيون في المشرق على إزكاء، وإحياء النزعات القومية، وروح التعصب بين أبناء الوطن الواحد[٢] وقد ساعد هذا كثيرًا في تفسخ العالم الإسلامي وتشتته. ولم يكتفِ المسيحيون بذلك؛ وإنما قاموا بتحريض الأتراك على إحياء القومية الطورانية، وشجعوا السوريين على إحياء القومية العربية، وشجعوا اللبنانيين على إحياء القومية الفينيقية، وشجعوا إيران على إحياء القومية الفارسية، والباكستان على إحياء القومية البنغالية، والمغرب على إحياء النزعة البربرية، ومصر على أحياء الثقافة الفرعونية، وهكذا دواليك إلى أن تنازعت أقطار الوطن العربي والإسلامي؛ وكان مبدأهم هو: عدو الداخل أقوى ألف مرة من عدو الخارج، فنالوا من أرض الوطن الداخل، والخارج. وقد ساعد ذلك في تمزيق العالم الإسلامي حتى وصل إلى ما وصل إليه اليوم، وبات العدو الأميركي الصليبي، والبريطاني المسيحي، يغزوان العالم الإسلامي من دون رادع، ولا وازع، وقد خسر الجميع، المسيحيون قبل المسلمين في هذه المنطقة، ولا زال أمامهم خسارات يصعب تصديقها إن تم تدوينها في الوقت الراهن؛ لأن الغلبة الآن هي للغرب الأوروأميركي[٣] . وهذه وجهة نظر مطروحة، ولا يمكن إغفالها عند الحديث عن العلاقات الإسلامية المسيحية في العالم العربي، وفي البلدان ذات التعددية، ولا يعني ذلك صحة، ودقة المعلومات المنقولة عن المراجع السالفة الذكر.

(١) بيهم، محمد جميل، *فلسفة التاريخ العثماني*، مكتبة صادر، بيروت، لبنان، ١٩٢٥م، تأثير الحروب الصليبية، ٢٢٥/٧ - ٢٦٩ .

(٢) لنكولن، إريك ج.، *المسلمون الزنوج في أمريكا*، تعريب: عمر الديراوي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٦٤م، ص ص: ٩٦ - ٩٩ .

(٣) ليس تمزيق الإسلام عملاً خارجياً بحتاً، فكثير من الحكام، والزعماء العرب هم من حطموا الإسلام والمسلمين على صخرة طموحاتهم الشخصية، وتوليهم على كراسي الحكم، والبطش بكل أصحاب الآراء المغايرة لآرائهم الخنفشارية! وهذا ما تناولته كثير من الكتاب، ومثاله ما ذكرته صاحبة كتاب "*السفور والحجاب*" إذ تقول: "لقد كان الروسيون من أشد الناس تمسكًا بالحجاب حتى مزق حجابهم بطرس الأكبر بأمره الامبراطوري سنة ١٧٢٦ . وكان الأتراك المسلمون من انصار الحجاب فمزقه المصلح الأعظم مصطفى كمال أتاتورك، ثم وقف في الناس خطيباً فقال: لقد احرزت نصرًا مبينًا على التقليد والأعداء، يرجع نصف الفضل فيه للجند، والنصف الآخر لتمزيق الحجاب." (زين الدين، نصيرة، *السفور والحجاب*، مطابع قوزما، بيروت، لبنان، ١٩٢٨م.

والحقيقة التي لا مناص منها، وعنها في الألفية الثالثة، أنه ليس هناك مسلم واحد يدعو إلى العودة لعقد الذمة[١] أو ما شابه. إنما مسلم اليوم، يدعو بكل إخلاص إلى المشاركة بمعناها الإسلامي الحقيقي ليتمكن من العيش على أرضه بكرامة، ومن دون استغلال أو ترويع. فليست هناك أقليات مضطهده بل هناك أناس مُضطهَدون ونخب مُضطهَدة من المسلمين، ومن المسيحيين. وإذا كانت النخب والأقليات، سواء كانت إسلامية أو مسيحية هي المسيطرة بالمعنى السياسي والاقتصادي، فإن مخاوفها تُصبح معروفة، إنها مخاوف الخائفين من المستقبل في ظل عداء الأكثرية الساحقة لهم[٢] . وما السبب في عداء الأكثرية للأقلية؟ هل يستحقوا هذا العداء؟ ماذا فعلت الأقلية من أجل نزع فتيل العداء بين الأقليات غير المسلمة، والمسلمين في البلدان الإسلامية؟ لقد فعل المسلمون في البلدان الغربية - أي أوروبا، وأميركا، وأستراليا، ونيوزيلاندة - الكثير من أجل تغيير النظرة الأوروأميركية الحاقدة على الإسلام، والمسلمين، فلماذا لم ينجحوا؟ وهل استطاعوا استعطاف الغرب من أجل الكف عن بسط نفوذهم، وضربهم في كل مكان بأبشع الوسائل، وأنكى الأساليب؟ وهل يمكن أن نجد الحل المناسب؟

ربما يكون الحل في حالات كهذه واضح، ويتلخص في أن يتوقف اضطهاد الناس واستغلالهم على أرضهم فيتوقفوا هم بدورهم عن المقاومة، ولا نستطيع نحن كما لا يستطيع غيرنا أن يقول للناس الذين يعانون على المستويات كلها: دعوا كل شئ واستسلموا حتى لا يخاف المسيطرون عليكم منكم، إنه منطق أعوج، لا يفهمه غير

(١) قضية الجزية ليست قضية من القضايا الاحادية التي تفرد بها المسلمين دون سواهم من الخلق كما تذكر المراجع: لقد اضطر أصحاب الديانة المانوية أن يهربوا بسبب الاضطهاد الذي لقيه دينهم بعد مقتل ماني، فعبروا نهر بلخ، ودخلوا مملكة الترك بما وراء النهر. فلما اندثر أمر الفرس، وقوي أمر العرب عادوا إلى هذه البلاد في أيام خلفاء بنو أمية. وأصبح مركزهم في خرسان، ودفعوا الجزية، وعوملوا معاملة أهل الذمة. (مع أن الجزية لا تُؤخذ إلا من أهل الكتاب!). (ابن النديم، *الفهرست*، ص. ٣٣٧؛ *وتاريخ أهل الذمة في العراق*، ص. ٢٣٤)؛ وقد كان أهل الأندلس يدفعون الجزية لنصارى بيزنطة. (*التاريخ وأدب النوازل*، إنجاز: الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ص. ٦٢)؛ وأيضًا في التاريخ المسيحي وقبل مجئ الإسلام فإنك تجد موضوع دفع الجزية كان مفروضًا من المنتصر على المهزوم حتى إن المسيحيين أنفسهم عانوا كثيرًا من هذه الثقافة الهمجية حيث فرض بعض المسيحيين على مسيحيين آخرين الجزية قبل مجئ الإسلام بردح من الزمن! (رستم، أسد، *كنيسة الله انطاكية*، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، مج ٢١ - ٢٢ .

(٢) خشان، محمد: مدير التحرير، *الفكر الإسلامي*، العدد الثامن، السنة السابعة عشر، آب ١٩٨٨م، *حتى لا يكون أحد من اللبنانيين مواطناً من الدرجة الثانية: الأقلية والأكثرية ومعيار القيادية للرئيس اللبناني المقبل*، بيروت، لبنان، ص ص: ٨ - ٩ .

الإرهابيين الجدد القادمين من الغرب الأوروأميركي لحماية الأنظمة الحاكمة الموالية لهم، والمنفذة لسياساتهم الخبيثة في المنطقة[1] . هل خير ضمان لمستقبل المسيحيين وغيرهم أن يعود للمسلمين دورهم العربي التاريخي في المنطقة؟

ربما يكون الحل الحقيقي من وجهة رأي الباحث أن تُرفع العصا عن جميع المضطهدين من المسيحيين، ومن المسلمين. وأن لا تتحكم الأقلية في شئون الأكثرية كما هو حال الأنظمة الحاكمة الراهنة. ولا أن تقمع الأكثرية الأقلية، وتسود عليها كما يسود المصري على دابته - حماره -، ويُفجر فيها، ومعها مواهبه العملاقة من سباب، وضرب، وشتائم تندى لها جبين الجمال المغربية التي ذبحوها على مذابح حدائق الحيوان المصرية.

وأن يكف الطرف القوى من إستغلال الطرف الضعيف أو الفقير الذي لا يجد قوت يومه حتى من لحموم الكلاب، والحمير النافقة التي تباع في بعض الأسواق المصرية على أنها هوت دوغ!

وأن تتوقف جميع الحيل، والأساليب اليعقوبية التي تُمارس من قِبل البعض. وأن يُروج لسياسة التعايش الحقيقي لا سيما بين من ينادون بـ: "دعوني أعيش"!

وأن يتوقف أسلوب الهيمنة، والتخويف بالسجون، والمعتقلات المفتوحة ليل نهار من أجل أن يُزج فيها الأبرياء. ليس القمع وسيلة من وسائل بناء العلاقات الحسنة بين الناس؛ وإلا لكان النظام العراقي الصدامي هو الأول في المنطقة من جهة زرع الخير بين أبناء الوطن الواحد! لكن التجارب المعاصرة أثبتت فشل أسلوب القمع في زرع بذور الخير بين أبناء الوطن الواحد، فما بالك بين أصحاب الأديان المتصارعة!

صحيح أن أساليب زرع بذور الخير في داخل هذا الوطن، وغيره من البلدان التعددية له وجوه كثيرة، لكنها في أغلبها مبادرات شخصية أو من داخل المجتمع المدني من دون أن ترقى برعاية حقيقية من قِبل الأنظمة الحاكمة، وإلا لتغير وجه المنطقة، ولرأينا مصالحات حقيقية بين أبناء الجنس البشري الواحد، لا سيما من تجمعهم حدود جغرافية واحدة!

هل تخاف الأنظمة من التعايش الحر والمسالم بين أبناء الوطن الواحد؟! وهل فقه

---

(١) المصري، زكريا عبد الرزاق، *وحدة الأمة الإسلامية على أسس صحيحة وواقعية*، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص ص: ١١٧ - ١١٨ .

المملكة العربية السعودية الخاص بأهل الذمة يختلف عن غيره؟ وهل الفتاوى الصادرة من المملكة العربية السعودية لا تتشابه مع نظائرها الصادرة من جهات أخرى؟

صحيح أن المملكة العربية السعودية بلد غير تعددي؛ لأن غالبيته الساحقة من المسلمين، لكن المملكة هي رمز للإسلام السني شاء القائمون على هذا البلد أم أبوا! فما هو فقه المملكة، ولماذا تأخذ بهذا النوع من الفقه الإسلامي؟

فقه المملكة العربية السعودية

رأينا في الفقه الإسلامي الخاص بأهل الذمة نماذج كثيرة في جميع الشئون. ورأينا أيضًا مدى تشابها من حيث الجوهر.

لكن العمل بالمحاكم الشرعية بالمملكة العربية السعودية يعتمد على المُفتى به من مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وجاء في قرار هيئة المراقبة القضائية: أن المصادر المعتمدة في الفقه للملكة العربية السعودية هي[1]:

١) شرح منتهى الإرادات. المتن للشيخ الفتوحي، والشرح للشيخ البهوتي.

٢) شرح الإقناع: "كشاف القناع عن متن الإقناع"، المتن للشيخ الحجاوي، والشرح للشيخ البهوتي. فما اتفق عليه هذان الشرحان، أو انفرد به أحدهما فهو المتبع، وما اختلفا فيه فالعمل بما في المنتهى.

فلماذا اختارت المملكة فقه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، من دون غيره من المذاهب الفقهية الإسلامية؟

السؤال هذا يتشابه تمامًا مع سؤال آخر: لماذا "مجلة الأحكام العدلية" التي صدرت إبان الامبراطورية العثمانية، لم تأخذ إلاّ بمذهب الإمام أبي حنيفة النعمان؟ إنه تشابه في الأسئلة، وليس تشابه في الاجابة.

أما السبب في البناء الفقهي في الفتاوى الصادرة عن الملكة العربية السعودية، بأخذها عن المذهب الحنبلي، فيعود من وجهة نظر الباحث للأسباب الآتية:

---

(١) الفتوحي الحنبلي، ابن نجار (ت. ٦٩٥ هـ.)، *معونة أولي النهى شرح المنتهى منهى الإراردات*، دراسة وتحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الثالثة، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ٦/١ – ٧.

١) لاطّلاع المذهب الحنبلي على كثير من كلام المتقدمين. ولهذا يستدل الحنابلة على أفضلية إمامهم؛ لأنه تأخر عن الأئمة، ونظر في أقوالهم، فاختار بمقتضى الدليل زبدها، وألقى ريبها، وليس هذا مختص بمؤلف الكلام، بل بكل من يحاول التقدم في علم، ولهذا شُرط في المجتهد في الفقه معرفته بالخلاف والإجماع[١] .

٢) يُعد أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من أشد الأئمة تمسكًا بطريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين في الاجتهاد، وأبرز مظاهر هذا التمسك هي[٢]:

أ- نفوره من الافتاء في القضايا المفترضة.

ب- كرهه الشديد لتأويل الظاهر من النص بلا دليل من الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة أو إجماع التابعين.

ج- لا يستعمل القياس[٣] إلا بدافع الضرورة كوقوع حادثة أو نازلة تقضي حكمًا يتوقف عليه دفع مضرة أو جلب مصلحة، ولا يوجد لهذا الحكم نص من الكتاب والسنة، ولا أثر منقول عن الصحابة أو التابعين.

د- يقوم قول الصحابة على المرسل والضعيف[٤]، وإن كان يؤخره عن المتواتر والمشهور والآحاد. وأنه يجعل الحديث الضعيف في رتبة الحديث المرسل ويأخذ به إذا كان راجعًا إلى أصل عام.

---

(١) عبد الكريم الصرصوري، الطوفي سليمان بن عبد القرى، القرن السابع الهجري، *الأكسير في علم التفسير*، تحقيق: عبد القادر حسين، عناية وتخريج: مكتبة الآداب لصاحبها علي حسن بالقاهرة، الطبعة الأولى، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٧٧م، ص. ٥٥ .

(٢) لجنة من الأساتذة، *الاجتهاد والتجديد في الشريعة الإسلامية*، التونسية للتوزيع، تونس، د. ت.، ص ص: ٢٤٤ - ٢٤٨ .

(٣) إن ابن حنبل يتوسع في معنى القياس حتى ليعد منه الاستحسان الذي قال به الحنفية، والمصالح المرسلة التي قال بها المالكية، فكلاهما عنده قياس على المصالح العامة المستفادة من نصوص الكتاب أو السنة وإن لم يرد فيها بذاتها نص، ومن فتاوى ابن حنبل على هذا حكمه بنفي أهل الدعارة والفساد إلى بلد يؤمن من شرهم. (المرجع نفسه).

(٤) ليس المراد بالضعيف عند الإمام أحمد بن حنبل الباطل ولا المنكر ولا ما في روايته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب إليه فالعمل به بل الحديث الضعيف عند قسيم الصحيح، وقسم من أقسام الحسن، ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح، وحسن، وضعيف، بل إلى صحيح، وضعيف. وللضعيف عنده مراتب فإذا لم يجد في الباب أثرًا يدفعه، ولا قول صحابي، ولا إجماعًا على خلافه كان العمل به عنده أولى من القياس. وليس لأحد من الأئمة إلا وهو موافق له على هذا الأصل من حيث الجملة. (*الاجتهاد والتجديد في الشريعة الإسلامية*، ص ص: ٢٤٩ - ٢٥٠ .)

٣) كان المذهب الحنبلي أوسع المذاهب في اطلاق حرية التعاقد، وفي الشروط التي يلتزم بها العاقدان، فأقر من الشروط ما لم يقره غيره من الفقهاء، وسار في ذلك على منهاج أساسه احترام كل ما يشترطه العاقدان، والإلزام به، حتى يقوم دليل من الشارع على تحريم ذلك الاشتراط أو بطلان الحقيقة الشرعية التي تتكون منه.

٤) اتسع المذهب الحنبلي لما لم تتسع له مذاهب أخرى قامت على الرأي والقياس، ذلك لأن الاستمساك بالنص والأثر، والتشديد فيها كانا السبب في تصعيب الاستنباط الفقهي، كما كانا أيضًا سببًا في تصعيب التحريم، فكان باب المنع مضيقًا، كما كان باب الايجاب غير موسع، وفي ذلك: تسهيل كبير على الناس، وتوسيع لأفق التحليل. فإن الذين وسعوا طريق الاستنباط في الشروط الجائزة، والممنوعة دفعتهم أقيستهم؛ لأن يقيدوا الشروط فكان في ذلك ضيق في التعامل، أما المذهب الحنبلي الذي ضيق طريق استنباط الشروط الجائزة والممنوعة، فلم تكن ثمة ذريعة لتقييد الشروط، فكانت الاباحة، وكان الاطلاق في الالزام[1] .

ولكي تكتمل الصورة عن فقه المملكة المعاصر، نُدرج في هذا السياق بعض نصوص لفتاوى صادرة عن المملكة العربية السعودية سجلناها كما هي لنبين أسلوب المملكة ودار الإفتاء بالتحديد في مواجهة النوازل لا سيما ما يختص بأهل الذمة في الإسلام - النصارى منهم -.

١) عندما يموت حاكم أو رئيس، يقف بعض رجال الهيئات الرسمية حزنًا على المقتول. وعندما يموت رئيس نظام عربي تُغلق بعض الدول الإسلامية أسواقها، وتُنكس أعلامها أيامًا. فهل يجوز هذا، علمًا أن النياحة على الميت غير جائزة وهذا شر منها؟

جاءت الإجابة على الشكل الآتي: ما يفعله بعض الناس من الوقوف زمنًا مع الصمت تحية الشهداء أو الوجهاء، أو تشريفًا وتكريمًا لأرواحهم، وتنكيس الأعلام، من المنكرات والبدع المُحْدَثة، التي لم تكن في عهد النبي ﷺ، ولا في عهد أصحابه، ولا السلف الصالح، ولا تتفق مع آداب التوحيد، ولا إخلاص التعظيم لله، بل اتبع فيها بعض جهلة المسلمين بدينهم من ابتدعها من الكفار، وقلدوهم في عاداتهم القبيحة، وغلوهم في رؤسائهم ووجهائهم، أحياءً وأمواتًا. وقد نهى النبي

(١) الاجتهاد والتجديد في الشريعة الإسلامية، ص ص: ٢٥١ - ٢٥٢ .

ﷺ، عن مشابهتهم. والذي عُرف في الإسلام من حقوق أهله الدعاء لأموات المسلمين، والصدقة عنهم، وذكر محاسنهم، والكف عن مساوئهم. إلى كثير من الآداب التي بينها الإسلام، وحث المسلم على مراعاتها مع إخوانه أحياءً وأمواتًا، وليس منها الوقوف حدادًا مع الصمت تحية للشهداء أو الوجهاء، بل هذا مما تأباه أصول الإسلام.

٢) في بلدنا بمصر عندنا عادة وهو أن كل شخص عندنا يُتم سنة من عمره يقيم حفلاً ويُسمى عندنا بعيد الميلاد أو إطفاء الشمعة. وقد سمعت مؤخرًا أن ذلك غير جائز شرعًا، فهل هذا العمل لا يجوز شرعًا وهل يجوز حضور هذه الأعياد إذا دُعي إليها الشخص؟ أفيدوني ولكم جزيل الشكر.

جاءت الإجابة على النحو الآتي: هذه عادة سيئة، وبدعة منكرة ما أنزل الله بها من سلطان، فالأعياد توقيفية كالعبادات، وقد ورد في الحديث أن أهل المدينة كان لهم عيدان في الجاهلية يلعبون فيهما، فأبدلهم الله بهما العيدين الشرعيين، وحيث لم يرد في الشرع ما يُسمى بعيد الميلاد ولم يفعله أحد من الصحابة، ولا سلف الأمة، فإنه لا يجوز شرعًا الاحتفال بهذه الأعياد ولا حضورها ولا تشجيع أهلها ولا تهنئتهم ونحو ذلك مما فيه إعانة على هذا المنكر أو إقرار عليه.

٣) هل تجوز مصافحة الكفار وأن نبتدئهم بالسلام؟ وإذا سلموا علينا فكيف نرد عليهم؟

جاءت الإجابة على النحو الآتي: الكفار، والمشركون من يهود، ونصارى، ووثنيين، ودهريين كلهم نجس كما أخبر الله فلا يجوز إكرامهم، ولا احترامهم، ولا تقديرهم في المجالس، ولا القيام لهم، ولا بداءتهم بالسلام، أو بكيف أصبحت أو أمسيت، لقول الرسول ﷺ: "لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقة". وإذا سلموا علينا فإنا نقول، وعليكم. ولا تجوز مصافحتهم، ولا معانقتهم، ولا تقبيل أيديهم.

٤) بعض المسلمين في غانا يعظمون عطلات اليهود، والنصارى، ويتركون عطلاتهم، فإذا جاء وقت العيد لليهود، والنصارى يعطلون المدارس الإسلامية بمناسبة عيدهم، وإن جاء عيد المسلمين لا يعطلون المدارس الإسلامية، ويقولون إن تتبعوا عطلات اليهود، والنصارى سوف يدخلون في دين الإسلام. يا شيخنا العزيز

عليك أن توضح لنا فعلتهم، هل صحيحة أم لا؟

جاءت الإجابة على النحو الآتي: السنة، إظهار الشعائر الدينية الإسلامية بين المسلمين، وترك إظهارها مخالف لهدى الرسول ﷺ، وقد ثبت عنه أنه قال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين".

فلا يجوز للمسلم أن يشارك الكفار في أعيادهم، ويُظهر الفرح، والسرور بهذه المناسبة، ويُعطل الأعمال سواء كانت دينية أو دنيوية؛ لأن هذا من مشابهة أعداء الله المحرمة، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ، أنه قال: "من تشبه بقوم صار منهم". وننصحك بالرجوع إلى كتاب اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ فإنه مفيد جدًا في هذا الباب.

٥) أنا مقيم في الأردن بمنزل معظم سكانه من الأخوة المسيحيين، نأكل ونشرب مع بعضنا، فهل صلاتي باطلة، وهل إقامتي معهم لا تجوز؟

جاءت الإجابة على النحو الآتي: قبل الإجابة على سؤالك أود أن أذكر ملاحظة أرجو أن تكون قد جرت على لسانك بلا قصد وهي قولك: "أعيش مع الأخوة المسيحيين"، فإنه لا أخوة بين المسلمين وبين النصارى أبدًا، الأخوة هي الأخوة الإيمانية كما قال الله عز وجل: ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾. وإذا كانت قرابة النسب تنتفي باختلاف الدين، فكيف تثبت الأخوة مع اختلاف الدين وعدم القرابة؟

قال الله تعالى، عن نوح وابنه لما قال نوح عليه السلام: ﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾. فلا أخوة بين المؤمن والكافر أبدًا، بل الواجب على المؤمن ألا يتخذ الكافر وليًا كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾.

فمن هم أعداء الله؟ أعداء الله هم الكافرون. قال الله تعالى: ﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾. وقال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين﴾.

فلا يحل للمسلم أن يصف الكافر أيًا كان نوع كفره سواء كان نصرانيًا أم يهوديًا أم مجوسيًا أم ملحدًا، لا يجوز له أن يصفه بالأخ أبدًا. فاحذر يا أخي مثل هذا التعبير.

أما الإجابة على السؤال فيقول مسئول الفتوى: إنه ينبغي أن تبتعد عن مخالطة غير المسلمين؛ لأن مخالطتهم تزيل الغيرة الدينية من قلبك، وربما تؤدي إلى مودتهم، ومحبتهم، وقد قال عز وجل: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم. أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه. أولئك حزب الله. ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾.

٦) بعثت أطلب خادمة لإعانة زوجتي في المنزل، فأفادوا بالمراسلة أنه لا يوجد مسلمة في البلد الذي أريد الخادمة منه، فهل يجوز استقدام خادمة غير مسلمة؟

جاءت الإجابة على النحو الآتي: لا يجوز استخدام خادمة غير مسلمة، ولا خادم غير مسلم، ولا سائق غير مسلم بهذه الجزيرة العربية؛ لأن النبي ﷺ، أمر بإخراج اليهود، والنصارى منها، وأمر أن لا يبقى فيها إلا مسلم، وأوصى عند وفاته ﷺ، بإخراج جميع المشركين من هذه الجزيرة. ولأن في استقدام الكفرة من الرجال، والنساء خطر على المسلمين في عقائدهم، وأخلاقهم، وتربية أولادهم، فوجب منع ذلك طاعة لله سبحانه ولرسوله ﷺ، وحسمًا لمادة الشرك والفساد.

٧) هل يجوز استقدام الأيدي العاملة من غير المسلمين؟

جاءت الإجابة على النحو الآتي: لا ريب أن النبي ﷺ، أمر بإخراج المشركين من جزيرة العرب، وأمر بإخراج اليهود، والنصارى من جزيرة العرب، وقال: "لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلمًا". فالأحاديث تدل على أن هدي النبي ﷺ، أن تبقى جزيرة العرب ليس فيها إلا مسلم لما في وجود النصارى، وغيرهم من الكفار في الجزيرة من الخطر. وهذه الجزيرة منها بدأ الإسلام، وانتشر في أرجاء العالم، وإليها يعود، كما ثبت في الصحيح من أن الإيمان يأرز إلى المدينة كما تأرز الحيّةُ إلى جحرها. وإذا كان كذلك، فإن استقدام غير المسلمين إلى هذه الجزيرة فيه خطر عظيم، ولو لم يكن من خطره، ومضرته إلا أن المستقدم لهم يألفهم، ويركن إليهم، وربما يقع في قلبه محبة لهم، وتودد إليهم، وقد قال الله عز وجل: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَ الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾. وربما يشتبه عليه الحق بالباطل فيظن أنهم أخوة لنا، ويُطلق عليهم إخوة، ويَدّعي بما

يوحي به الشيطان أنهم أخوة لنا في الإنسانية، وهذا ليس بصحيح، فإن الأخوة الإيمانية هي الأخوة الحقيقية، ومع اختلاف الدين لا أخوة، حتى أن الله عز وجل لما قال نوح عليه السلام: ﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾. قال عز من قائل: ﴿إنه ليس من أهلك﴾. وقد قطع النبي ﷺ، الصلة بين المؤمنين، والكافرين حتى في الميراث بعد الموت، فقال: "لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم". وإذا كان الأمر هكذا، فإن الاحتكاك بغير المسلمين، واستقدامهم، ومشاركتهم في الأعمال، وفي الأكل، والشرب، والذهاب، والمجئ، كل هذا ربما يُميت الغيرة في قلوب المسلمين، حتى يألفوا من قال الله تعالى فيهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جائكم من الحق﴾[1] .

ملحوظة: "ويدّعي بما يوحي به الشيطان أنهم أخوة لنا في الإنسانية"! انتهى الاقتباس.

مع احترامي الشديد لهذه الفتوى، وهذه الآراء الصادرة عن المملكة العربية السعودية، وفيها ما فيها من علماء، وجهابزة في الفقه، ولكن ألم يقرأوا قول الإمام علي رضي الله عنه، في نهج البلاغة "الإنسان إما أخ لك في الدين أو أخ لك في الإنسانية" فهل كان هذا وحي من الشيطان على الإمام علي رضي الله عنه، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المُبَشَّرين بالجنة؟!

هذا، وبالنظر إلى هذه الفتاوى من الناحية المنطقية، وليس من الناحية الدينية المحضة، فإن ما ورد من اجابات أهل الفتوى في المملكة، لا يقدر أحد أن يطبقها في الحياة العامة، ولا في الحياة الخاصة حتى جلالة ملك المملكة العربية السعودية حفظه الله، لا يعمل بها، فهو يصافح الرئيس الأميركي جورج بوش الابن، والرئيس

---

(١) جميع الفتاوى، والإجابات الخاصة بهذا المبحث، هي صادرة عن المملكة العربية السعودية، وقد اعتمدنا في هذا المقام المراجع الآتية: *فتاوى إسلامية لأصحاب الفضيلة العلماء: سماحة الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، ووفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، إضافة إلى اللجنة الدائمة وقرارات المجمع الفقهي*، جمع وترتيب: محمد بن عبد العزيز المسند، الطبعة الثانية، دار الوطن، الرياض،١٩٩٤م، النصوص الواردة حسب الترتيب: ١/ص ص: النص الأول: اللجنة الدائمة، ٣٧ - ٣٨؛ و٤٧/٢ - ٤٨، النص الثاني: الشيخ ابن جبرين: ٨٧، وابن باز: ١٠٩، ١١٥ - ١١٦، النص الثالث: ابن جبرين، ١١١، وابن باز: ١١٤ - ١١٥، واللجنة الدائمة: ١١٧، النص الرابع: اللجنة الدائمة: ١٢٠، النص الخامس: ابن عثيمين: ١٢٣ - ١٢٤، النص السادس: ابن باز: ١١٣، النص السابع: ابن عثيمين: ١٢٢، وابن باز: ١٢٦، وابن جبرين: ٢٠٠ .

الفرنسي ساركوزي، وزوجته عارضة الأزياء الجميلة، والملك الكاثوليكي خوان كارلوس، وجميلات أسبانيا! وأرجو أن لا يُساء فهم هذه السطور. فإنني أعرض ما أراه من المنطق، والحق القابل للتطبيق، وليس نظريات، وتنظير لا ترقى إلا للتطبيق من الأفراد، ومن بعض الجماعات الخاصة من دون أن تلقى رواجًا بين الحكام العرب، والزعماء المسلمين أنفسهم!

وللأسف الشديد، عندما تُطبق هذه التعاليم من قِبل طالبان أو أتباع الشيخ أسامة بن لادن أو في الحوزات الدينية في اليمن، يُوسم أصحاب هذه الآراء، ومن يطبقونها بالتطرف، والإرهاب حتى من قِبل المراجع السعودية! لا أعرف كيف، وقد خرجت هذه الفتاوى من عندهم! وهو نوع من التناقض البين الصارخ! مع أن هذه الآراء مبنية على فتاوى إسلامية هامة صدرت عن المملكة العربية السعودية، ومن أعلى مرجع ديني فيها، فما هو الحل؟!

هذا، ولا يتصدى علماء الهيئة الدينية في المملكة العربية السعودية إلى هذا النوع من الفتاوى، وحصرها في جانب أهل الذمة، وغير المسلمين؛ وإنما للمكة فتاوى في كل شئون الحياة السياسية، والاجتماعية، والعلمية، وغيرها، وهذا مثال على ذلك: ما رأيكم في الدعوة إلى القومية التي تعتقد أن الانتساب إلى العنصر أو اللغة مقدَّم على الانتساب إلى الدين. وهذه الجماعات تدَّعي أنها لا تعادى الدين ولكنها تقدم القومية عليه. ما رأيكم في هذه الدعوة؟

جاءت الإجابة على النحو الآتي: هذه دعوة جاهلية لا يجوز الانتساب إليها، ولا تشجيع القائمين بها، بل يجب القضاء عليها؛ لأن الشريعة الإسلامية جاءت بمحاربتها، والتنفير منها، وتفنيد شُبههم ومزاعمهم، والرد عليها بما يوضح الحقيقة لطالبها؛ لأن الإسلام وحده هو الذي يخلِّد العروبة لغتًا وأدبًا وخُلقًا، وأن التنكر لهذا الدين معناه القضاء الحقيقي على العروبة في لغتها، وأدبها، وخلقها، ولذلك يجب على الدعاة أن يستميتوا في إبراز الدعوة إلى الإسلام بقدر ما يستميت الاستعمار في إخفائه. ومن المعلوم في دين الإسلام بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات، دعوة باطلة، وخطأ عظيم، ومنكر ظاهر، وجاهلية نكراء، وكيد للإسلام، وأهله، وذلك لوجوه قد أوضحناها في كتاب مستقل سميته: "نقد القومية

العربية على ضوء الإسلام والواقع"[١] انتهى الاقتباس.

الوضع الإسلامي المعاصر

هذا ما وصل إليه المسلمين من حال، وأحوال، فهم يُصدرون فتاوى، ولا يقدرون حتى على تطبيقها على مستوى الحكومات، والأنظمة والزعماء، والملوك والرؤساء العرب، فضلاً على مستوى الأفراد، والشعوب! وقد وصل الحال أيضاً إلى أن تقوم بعض مراكز الأبحاث الغربية الأوروبية، والأميركية بعمل العديد من الدراسات على الشخصية الإسلامية، وتواجدها في القارة الأميركية لا سيما بعد أحداث أيلول الشهيرة، ولا يقوم العرب أو المسلمين بعمل مشابه على المستوى المحلي لدول المنطقة، فيقوموا بدراسة الشخصية الأميركية، والأوروبية التي تأتي إلى الوطن العرب، وتعيش في البلدان الإسلامية تحت غطاء تأشيرات سياحية أو دراسية، ولها مآرب أخرى مغايرة تمامًا عما تُظهره للعوام من هذه الشعوب!

لقد أشارت بعض الدراسات الأوروأميركية إلى أن عدد المسلمين في القارة الأميركية الملعونة قد بلغ ٦ ملايين مسلم بنهاية العام ٢٠٠٧م في حين أشارت بعض الدراسات الميدانية إلى أن العدد الحقيقي للجاليات المسلمة في أميركا قد بلغ ٢,٣٥ مليون مسلم عدًا، ونقدًا. وسواء كان العدد هو ستة ملايين أو ثلاثة ملايين، فإن أهم ما يثير الانتباه في السنوات الأخيرة أن الأميركان الذين يبلغ تعدادهم الـ: ٣٠٠ مليون نسمة لا يستوعبون هذا العدد الصغير بين جالياتهم، وهناك تحريض طائفي، ومذهبي في غاية السخط على الإسلام، والمسلمين، وتشبيههم، وسبهم بأسلب الألفاظ، والعبارات، في الوقت الذي يدّعي فيه أصحاب هذه الديانة أي المسيحية، ولا سيما البروتستانتية المعمدانية أنهم ديانة أهل المحبة! نعم، إنها ديانة وديدن المحبة الزائفة الخالية من أي تطبيق حقيقي على أرض الواقع. فما هي حادثة الفتاتين اللتين مُنعتا من الجلوس خلف الرئيس المرشح لانتخابات البيت الأبيض باراك أوباما، لهي القشة التي قسمت ظهر الحريات التي يزعمونها في ولاياتهم الأميركية الحاقدة. حيث قام المسئولون عن حملة الرئيس المرشح باراك أوباما بمنع فتاتين محجبتين من الجلوس خلفه مباشرةً حتى لا تتشوه صورته

---

(١) *فتاوى إسلامية لأصحاب الفضيلة العلماء: سماحة الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، ووفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، إضافة إلى اللجنة الدائمة وقرارات المجمع الفقهي*، النص الوارد: ابن باز، ١٦٨/١، مرجع سابق.

الإعلامية أمام الأميركيين! فمبروك، وهنيئًا للديمقراطية الأميركية التي يتغنى بها جيشهم المرتزقة في بلداننا العربية ليل نهار! ومبررك، وهنيئًا لهم على حرياتهم الخنفشارية على غرار الحرية التي كانت ممنوحة للمواطن الروماني في الامبراطورية الدموية من دون غيره من المواطنين!



انظروا لهذه الصورة جيدًا .. إنه باراك أوباما الذي منع فريقه فتاتين أميركيتين مسلمتين من الجلوس حتى خلفه؛ لأنهما كانتا محجبتين!

هل هذه هي الحرية الأميركية التي يبشروننا بها ليل نهار في العراق، وفي أفغانستان، وفي الصومال، وغيرها من أماكن الصراع الديني البغيض لأصحاب الأديان الإبراهيمية؟!

وماذا سيفعل المسلمين في الولايات المتحدة الأميركية بعد أن أصبحوا أهل ذمة في المسيحية؟! وما هي ردود أفعال الدول العُظمى المسيحية الهوية العلمانية المظهر على أهل الذمة من المسلمين الجدد في ولاياتهم التي ترفض، بل وتكره الإسلام، وتعتبره دين الشيطان، وهم أصحاب أديان الملائكة؟! وهل هناك خطط جهنمية تقوم بها بعض المؤسسات لإزكاء نار الفتنة ما بين أصحاب الديانات الإبراهيمية الذين هم لا يحتاجون أصلاً لمثل هذه الخطط أو المخططات؛ لأن أبجديات الصراع عندهم إلهية حيث لا مفر، ولا مهرب من نصوصها المقدسة!

إن هذا ما يمكن أن نلتمسه، ونعاينه بسهولة عند قراءتنا لمباحث الباب الثالث، والأخير من هذا الكتاب. لكن هل تطورت المسيحية على غرار تطور الإسلام، وبالمفهوم السلبي أحيانًا للتطور؟ هذا ما سوف نقدمه في الفصل القادم.

الفصل الثاني
المسيحية بين الأمس واليوم

لكي نفهم مسيحية اليوم، علينا فهم مسيحية الأمس فهمًا عميقًا؛ لأن هذا الخبز من ذاك العجين، ولا يمكن فصل المعينين عن بعضهما البعض. لهذا نحتاج أن نقرأ مسيحيتنا اليومية بتأني على ضوء شموع التاريخ.

المسيحية في جزيرة العرب وامتدادها المعاصر

لا شك أن المسيحية من الديانات الإبراهيمية الأكثر تطورًا في تاريخ البشرية.

لم ترد كلمة "ثالوث" قط في أي سفرٍ من أسفار الأناجيل، ولم ترد حتى في التوراة؛ وإنما كان أول إستعمال معروف لها في تاريخ المسيحية هو على لسان ثاوفيلس الأنطاكي، سنة ١٨٠م، وقبل هذا التاريخ، لم تكن الكلمة متداولة بهذه الكيفية التي عليها اليوم، وقد اعتراها تطوير، وتطور عبر العصور، ومن خلال المجامع المسكونية(١) . فهل تحدث القرآن الكريم عن مسيحية اليوم وعقائدها المؤسسة على ثالوث يسوع المسيح لثاوفيلس الأنطاكي؟ وهل مسيحية جزيرة العرب إبان ظهور الدين الإسلامي هى مسيحية اليوم؟ وهل المسيحية التي قد تحاور معها الإسلام في مهده هي مسيحية هراطقة - الهرطقة هو مصطلح مسيحي يقابل بدعة في التاريخ الإسلامي -، أي لم تكن هى مسيحية العصر الراهن، وبالتالى يحتاج الحوار الإسلامي المسيحي إلى إعادة نظر، وقراءة جديدة لِما آلت إليه الأمور؟! هل هذه هى الحقيقة المحضة؟ ولماذا يتم طرح مثل هذه الأفكار؟ وكيف يمكن علاج المشكلة؟ إنها تساؤلات نوعية، وهي تحتاج إلى إجابات دقيقة، وربما يتوجب علينا أن نُلقي نظرة على أهم الأراء المطروحة في هذا الشأن حتى يتثنى لنا أن نتبين، ونبين حقيقة الوجود المسيحي منذ القرن الأول الهجري في جزيرة العرب

---

(١) ميشال اليسوعي، توماس، *مدخل إلى العقيدة المسيحية*، تعريب: الأب كميل حشيمة اليسوعي، دار المشرق، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ص ٦٢ .

حتى يومنا هذا.

لقد حاول كُتَّاب كثيرون من بينهم الحداد في بعض من كتبه، نذكر منها "الإسلام دعوة نصرانية"، و"القرآن والمسيحية"، أن يثبت فكرة مفادها أن أهل الكتاب لا تعني في القرآن بأي حال من الأحوال غير الهراطقة - بدع - الذين لا يمثلون المسيحية، ولا المسيحيون في شيء، وأن القرآن الكريم لم يتحدث عن مسيحية اليوم المستقيمة الصحيحة، ولكنه تحدث عن هرطقات عاشت في الجزيرة العربية، ولم تعرف بها الكنيسة. وأن ما يقدمه القرآن الكريم عن الثالوث، ليس ما تؤمن به الكنيسة الحالية بمذاهبها المختلفة[١] . وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حين صرح بأن الخروج من مأزق الحوار الإسلامي المسيحي عن طريق الاعتراف بأن ما قد ورد في القرآن الكريم من آيات قرآنية في شأن المسيحية لا تمثل بحال من الأحوال واقع المسيحية اليوم، وأن هذا ليس من باب المساومة بل هو من باب الأمانة للحقيقة الذي تتطلبه مقومات العيش المشترك بين المسيحيين، والمسلمين في العالم العربي، ولا سيما في أماكن الصراع أو التناحر نتيجة إزكاء نار الفتنة بين الفريقين من قِبل أيادي عابثة لا تريد الخير لهذه الأمة[٢] .

كيف يدخل المسيحيون مع المسلمون في حوار والأخير يعتبر الأول كافر، والأول لا يعترف بدين الأخير؟ إنها حسابات تبدو معقدة ميكانيزميًا؛ وإنما يسهل فهمها، وحلها إذا أرادت أطراف الحوار المسيحي الإسلامي أن تعيش معًا في سلام، وليس أن يستوعب كل منهما الآخر، ويحاول الطرف الأول، والأقوى عسكريًا إدخال الطرف الآخر في دينه عنوة كما يفعل جورج بوش الابن في عراق اليوم بواسطة جحافل المبشرين من المعمدانيين إلى الأرثوذكس مرورًا بكنائس الله، وجماعاتهم، والسبتيين، واليسوعيين حتى المورمون لم يدخروا وسعًا في الذهاب إلى العراق الذي مزقته الحرب للبحث عن موطئ قدم! إنها حسابات يصعب فهما إلا إذا أراد كل طرف أن يعيش في سلام، ووئام مع الطرف الآخر بعيدًا عن المصالح الفئوية الضيقة أو

---

(١) عمران، أحمد، *القرآن والمسيحية في الميزان*، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٩٧٥، ص ص: ٤٥ - ٥٨، ٤١٨ - ٤٢٦ .

(٢) *العلاقات الإسلامية المسيحية*، قراءات مرجعية في التاريخ الحاضر والمستقبل، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث التوثيقية، بيروت، لبنان، ص ٢٢٥ .

الحسابات الطائفية، والمذهبية الغبية التي تُسَخِّر الإنسان من أجل الدين أو تُسَخِّر الدين من أجل الإنسان، ولا يتوجب في هذه الحالات أن يُسَخِّر أحد أخيه الإنسان إلا بانقلاب من الطبيعة أو بأمرٍ من خالق هذه الطبيعة الذي جعل السبت من أجل الإنسان، وليس الإنسان من أجل السبت.

هل ثمة مأزق في الحوار ما بين الإسلام، والمسيحية؟ ما هو مصدره الحقيقي؟ كيف يتم علاجه؟ هل يتم العلاج عن طريق إعتراف المسلمين بصحة الإنجيل، وعدم تحريفة، وصحة العقيدة المسيحية، وأن يعترف المسيحيون بصحة نبوة، ورسالة محمد ﷺ؟! إلم يقود هذا الإعتراف ساحة الحوار؟

صحيح أن أبجديات المنطق السليم تنطلق من مقدمات سليمة، وصحيحة، فلا يمكن القول للمسيحيين: أنتم تقولون كذا وكذا؛ لأن القرآن يقول عنكم كذا، ولكن الإستدلال هو هكذا: إذا كنتم المسيحيين تقولون كذا وكذا، تكونون المقصودين في القرآن الكريم.

إذاً لنبحث في النص القرآني، ونفتش في الأناجيل الأربعة، والرسائل بأنواعها، وسفر الرؤيا إن تطلب الأمر ذلك، لنصل إلى حقيقة أبجديات هذا الصراع، ونبحث عن جذور هذه الإشكاليات. ولكي نفهم مسيحية اليوم، علينا قراءة مسيحية الأمس، وسبر أغوارها، ومعرفة أهم البدع، والهرطقات التي كانت تعيش في جزيرة العرب، وكانت منتشرة في العالم العربي إبان ظهور الإسلام.

إن من أهم البدع المسيحية التي انتشرت في القرن السادس الميلادي أي قبل ظهور الإسلام في جزيرة العرب، بدعة اليعاقبة أو اليعقوبيين نسبة إلى مؤسسها الراهب يعقوب البرادعي وكان راهباً في دير برها .. أما ما جاء به يعقوب البرادعى فلم يكن جديداً بل إنه، ولشدة إيمانه بفكرة أوطيخيا[1] القائلة بطبيعة المسيح الواحدة، حاول جمع شتات الأوطاخيين، والنساطرة، والأريوسيين في كنيسة واحدة. وهكذا سعى إلى ضم الكنائس المونوفيزية أي: الكنائس المؤمنة بالطبيعة الواحدة في المسيح يسوع، تحت إمرته فجرى له ما أراد، إلى حين، ودُعيت بدعتة بـ: اليعقوبية.

(١) أوطيخيا أو اوطاخي: كان راهباً كاهنًا، ورئيس دير في ضواحي قسطنطينية. كان يحاجج النسطوريين ويدافع عن الكنيسة.

ثم انشطرت الكنيسة شطرين: كنيسة إنطاكية، وهى التي صارت فيما بعد "الكنيسة اليعقوبية"، وكنيسة الاسكندرية التي دعيت فيما بعد "بالكنيسة القبطية"، ومنها تفرعت بعض الكنائس في الحبشة حيث امتدت من هناك إلى جزيرة العرب، وصار مليكها النجاشي المشهور في التاريخ الإسلامي حيث لجأ إليه المسلمون الأوائل هربًا من اضطهاد قريش بأمر من نبي الإسلام والمسلمين محمد بن عبد الله ﷺ(١).

إن انتشار المسيحية كان في سلسلة حلقات يشد بعضها بعضا، فبعد أن بدأ من أورشليم، وانتقل في مرحلة من مراحله إلى أفريقيا عن طريق فيلبس، ومرقس إلى مصر، والحبشة، صار إلى شبه جزيرة العرب، وانتشر هناك في قبائل كثيرة، وليس كما يعتقد العوام من الناس من أن المسيحية لم تكن بالثقل الكبير في جزيرة العرب! لقد كانت المسيحية قبل دخول الإسلام منتشرة في قبائل عربية عاشت لردح من الزمن في جزيرة العرب. ومن أهم هذه القبائل: ربيعة، وغسان، وقضاعة، وتميم، وبني تغلب، وطيء ومذحج، وبهراء، وسليخ، وتنوخ، ولخم، وشيبان، وعبد القيس، والعباد، وعاملة، وجزام، وغيرها.

ثم عادت الكرة مرة أخرى لتنتقل المسيحية من الهلال الخصيب إلى الاسكندرية ثم إلى القارة السمراء، وتحديدًا إلى الحبشة.

إذًا، ما زال بعض من هذه الكنائس التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية قائم حتى يومنا هذا، وليس كما يتصور البعض بأن جميع كنائس المسيحيين العرب إبان الإسلام هي كنائس هراطقة - بدع -، وقد اندثرت وتلاشت!

لقد انشقت بعض الكنائس في مجمع خلقدونية المنعقد في سنة ٤٥١م، ولكن حدثت انشقاقات لاحقة في الفترة ما بين القرن الخامس، والقرن الحادي عشر، نتج عنها انبثاق، وولادة كنائس جديدة، ثم تكرس انشقاقها في العالم سنة ١٠٥٤م فيما عُرف بالانشقاق الكبير بين الكنائس الشرقية، والكنائس الغربية.

وليس دليل يسبقه دليل على أن مسيحية اليوم ما هي إلا تجليات لمسيحية الأمس، الرسائل التي قد بعث بها رسول الإسلام ﷺ، إلى كلاً من هرقل عظيم

(١) المر، إلياس، *الإسلام بدعة نصرانية*، د ن.، د م.، ص ص: ٧٢ - ٧٣ .

الروم، والمقوقس ملك مصر الذي كان مقره في الأسكندرية. وقد أهدى المقوقس ملك المسيحية المصرية أحد جواريه المسيحيات وهي "مريم القبطية" كهدية إلى زعيم الإسلام والمسلمين آنذاك محمد بن عبد الله ﷺ.

وماذا عن الرسالة التي بُعثت إلى كسرى ملك الفرس، والنجاشي المسيحي ملك الحبشة بالإضافة إلى غيرهم. فهل لا يمثل أي من هؤلاء ما يوجد على الساحة العالمية اليوم من الكنائس المسيحية المتعددة؟ وهل التعاليم والعقائد التي قد انتمى إليها أصحابها قد زالت جميعاً وبصفة نهائية، أم إنها باقية إلى المنتهى ببقاء كنائسها؟

كان أتباع يسوع المسيح، عند ظهور الدعوة الإسلامية، ينتشرون تحت إسم "النصرانية"[١] في بلاد الشام، والعراق، والجزيرة، واليمن، ومصر، وبلاد الأحباش، وكان ذلك الانتشار من خلال الفرق الآتية[٢]:

(١) الأريوسية: نسبة إلى الكاهن "آريوس" المتوفي سنة ٣٣٦م. ومما تقوله هذه الفرقة، أن المسيح عبد مخلوق وهو كلمة الله تعالى التي خلق بها السموات والأرض.

(٢) الأبيونية: فرقة من الفرق المسيحية التي كانت منتشرة في جزيرة العرب إبان ظهور الإسلام، وأهم ما يميز إيمان هذه الفرقة هو:

أنكرت الأبيونية صلب المسيح جملة، وتفصيلا؛ لأن أنبياء الله لهم كرامة، وحماية

---

(١) كلمة "نصارى": ربما يعود أصل هذه الكلمة إلى يسوع "الناصري" مؤسس المسيحية؛ لأنه قد أتى من بلدة تُسمى بـ: "الناصرة". أو؛ لأن المسيحيون كانوا، ولا زالوا يتناصرون ببعضهم البعض ضد من خالفهم الرأي أو العقيدة أو المذهب أو الإنتماء، فلذلك سموا بـ: النصارى نسبة إلى نصرة بعضهم البعض. أو قد تعود تسمية نصارى إلى الكلمة السريانية "ناطر" بمعنى الانتظار؛ لأن المسيحيين الأوائل كانوا ينتظرون مجئ يسوع المسيح الثاني على وجه السرعة، فترك بعضهم أعماله، وكرس حياته لإنتظار ظهور المسيح المخلص ثانيةً، ولذلك سموا "نطارى". ثم لاقت الكلمة كثيرًا من التشويه حتى وصلت إلينا "نصارى". او ربما تعود كلمة "نصارى" إلى القرن الأول الميلادي الذي أطلق فيه اليهود على المسيحيين اسم "נצרות"، وهي لفظة عبرية تُلفظ "نصروث". وهي تأتي من الجذر العربي "ن. ص. ر". ويعود اشتقاقها إلى كلمة الناصرة في اللغة العبرية "נצרת". وبهذا تكرس اسم النصارى؛ لأن المسعيين يتبعون يسوع المسيح الذي كان من الناصرة حيث عاش فيها ردحًا من الزمن قبل أن يُصلب بحسب اعتقاد المسيحيين (راجع: كمال، ربحي، *المعجم الحديث*، عبري - عربي، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.)

(٢) عمران، أحمد، *الحقيقة الصعبة في الميزان*، دار النخبة العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.بيروت، لبنان، ص. ٢٧٣ .

الإلهية من التنكيل بهم أو التمثيل بأجسادهم على يد أعدائهم.

قال الأبيونيون بـ: "شبه لهم"، وأن شبه ما قد وقع على يسوع المسيح في الساعات الأخيرة قبل القبض عليه، ومحاكمته. وأن الذي رُفع على الصليب، لم يكن يسوع المسيح؛ وإنما هو شبيه له، لا سيما بعد الضرب، والتعذيب اللذان لحقا بهذا الشخص، فتشوهت صورة وجهه، ولم يكن بالإمكان تمييزه عن سائر الناس بعد الإعياء الشديد الذي أصابه، أو تحديد هويته بأنه يسوع المسيح، حتى إن رئيس الكهنة قال له: أستحلفك بالله أن تقول لنا، هل أنت هو يسوع المسيح؟ فلو لم يكن رئيس الكهنة في شك منه نتيجة حادثة إلقاء الشبه الشهيرة، فلماذا سأل رئيس الكهنة المسيح عن هويته، وهو أمر خلافي لم تتدخر الكتابات العربية أو الأجنبية وسعًا في إبراز هذه المشكلة، وتحليلها من الوجهة المنطقية المحضة أو من الناحية اللاهوتية المسيحية الصرفة.

كان الأبيونيون ينادون بالبشارة بنبوة محمد ﷺ، قبل ظهور الإسلام في جزيرة العرب بحسب زعم الكتابات التي وصلت إلينا، ولذلك تلاقَ الفكر المحمدي مع هذه العقائد الأبيونية.

(٣) بولس الشمشاطي: مما يقوله أصحاب هذه العقيدة، أن المسيح هو عبد الله ورسوله، وأنه إنسان، لا إله. ولم يدري ما الكلمة ولا ما الروح القدس.

(٤) أصحاب مقدنيوس: ومما يقولن:

- عيسى عبد مخلوق.
- عيسى هو الروح القدس، وكلمة الله.
- الروح القدس، وكلمة الله مخلوقان.

(٥) البربرانية[1]: تقول: أن عيسى وأمه إلهين من دون الله. وقد كانت "البربرانية" من بين الفرق المسيحية التي دُعيت إلى حضور المجمع المسكوني الذي انعقد في نيقية، سنة ٣٢٥م، إبان حكم الملك قسطنطين، ولم يكن الملك راضيًا عن

---

(١) ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي، *الفصل في الملل والأهواء والنحل*،دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١/٤٩، ٥٣، ٩٨ .

هذه الفرق المسيحية جملة، وتفصيلا[1] .

(٦) الملكانية ومنها خرجت الكنيسة الملكانية إلى العلن، وتقول في إيمانها بالمسيح يسوع:

- تجسد الله في ثلاثة أقانيم هي: الآب، والابن والروح القدس.
- المسيح إنسان تام، وإله تام.
- الإنسان فقط هو الذي صُلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء.
- مريم ولدت الإله والإنسان معاً، أي: ابن الله.
- يشبهون اتحاد الله في أقانيمه الثلاثة كإتحاد النار في الصفيحة المحماة حيث يصعب التفريق بين النار، والصفيحة في مرحلة من مراحل الإحماء.

(٧) النسطورية: قالوا مثل ما قالت الملكانية ولكنهم اختلفوا في عدة أمور، أهمها:

- لم تلد مريم العذراء الإلاه؛ وإنما ولدت الإنسان، إذ كيف يمكن لبطن بشري مهما بلغ شأنه أن يحمل، ويلد إلاهًا!
- لم يلد الله الإنسان؛ وإنما ولد الإلاه.
- إن اتحاد الله في أقانيمه هو بمثابة اتحاد الماء يلقى في الزيت فكل واحد منهما باقٍ، فهو اتحاد من دون امتزاج أو تمازج.

(٨) اليعقوبية: ويُطلق عليهم المونوفيزيون نسبة إلى المونوفيزية، وهو مصطلح لاهوتي مسيحي قد تكرس العمل به في المجامع المسكونية، ويعني: الكنائس المؤمنة بالطبيعة الواحدة في يسوع المسيح. ويقول أصحاب هذه الكنائس:

- إن الله هو مثلث الأقانيم.
- كان الله في بطن مريم، أي إن العذراء قد حملت بالإلاه.
- اتحاد الله في أقانيمه هو بمثابة إتحاد الماء يلقى في الخمر فيصيرا شيء واحد، إذ لا يمكن بعدها التفريق بين الخمر، والماء كذلك الحال مع الله، والإنسان يسوع المسيح.
- الروح القدس منبثق عن الآب فقط، وليس عن الآب، والابن لاستحالة تعدد العلل.

---

(١) عمران، أحمد، *القرآن والمسيحية في الميزان*، ص. ١١٦، مرجع سابق؛ *وابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره*، اعداد: د. محمد حربى، الطبعة الأولى، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ص ص: ٤٠٥ – ٤٦٦ .

واليعاقبة، من الفرق المسيحية التي تُكَرِّم القديسة مريم حتى إن الذين هم من خارج الكنيسة يتصورون أن هذا التكريم للأيقونات، هو نوع من العبادة لمريم العذراء، ولأيقونتها المقدسة، حيث يقولون في دعائهم: "يا والدة الإله اشفعي لنا"، وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين، ويسألونها ما يسأل الإله من العافية، والرزق، والمغفرة، حتى إن أتباع الفرقة اليعقوبية، يقولون في مناجاتهم لها: "يا مريم يا والدة الإلاه، كوني لنا سورًا، وسندًا، وذخرًا، وركنًا." (١) وقد كان هذا محط جدل، وسجال عميق بين مقدسي، ومكرمي الأيقونات، وبين المتمردين على هذا النوع من العباده، وقد سجلته محاضر المجمع المسكوني السابع المعروف ب: مجمع نيقيه الثاني لسنة ٧٨٧م بحسب مصادر الكنيسة الكاثوليكية.

(٩) بدعة الكليريين: إنها بدعة تقول بعبادة مريم. ولا يمكن التجني على كل هذه الفرق، ووصفها بأنها بدع، وهرطقات انتشرت في جزيرة العرب، وغيرها من البلدان العربية قبل ظهور الإسلام، وبعد تشكله، وفي فترات تاريخية لاحقة، ليس آخرها المساجلة حول تقديس الأيقونات، وتكريمها من قِبل الكنائس الكاثوليكية، والكنائس الأرثوذكسية؛ لأن المجمع المسكونى الثالث المنعقد عام ٤٣١، قد لقب القديسة مريم ب: "أم الله"، وهو المجمع الأخير الذي تعترف به الكنائس الأرثوذكسية، ولا تعترف بالمجامع المسكونية الكنيسية اللاحقة لهذا المجمع، وهو أمر طبيعي. إذ كيف يمكن أن نُسمي مجمع كنسي بالمسكوني - عالمي - في غياب فرقة مسيحية هامة، وكبيرة هي الفرقة الأرثوذكسية!

ثم يُبرهن أصحاب هذا الرأي على أن بعض الكنائس كانت تتعبد لمريم العذراء بقولهم: أليس إكرامهم لأيقوناتهم، والسجود لها دليلاً على أنهم كانوا يؤلهون المسيح، وأمه من دون الله بحسب الفهم الظاهري للنصوص من الذين هم خارج الكنيسة، وحتى من الذين هم في داخلها، وإلا فلماذا كانت الخلافات اللاهوتية، والتراشق بين كنائس يسوع المسيح الواحد، ليس آخرها ما حدث بين البروتستانت، وغيرهم من الكنائس؟!(٢)

---

(١) ابن قيم الجوزية، *هداية الحيارى في الرد على النصارى*، ص. ١٦٦، مرجع سابق.

(٢) الصادقي، محمد، *عقائدنا*، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ص. ١٠٦ .

وقضايا مثل التأليه، والتأله، وإكرام الأيقونات، والسجود لها، والدعاء، والشفاعة باسم القديسة مريم، كانت، ولا زالت محط جدل عميق في الأوساط اللاهوتية المسيحية قبل أن تدخل هذه السجالات في الصراع الإسلامي المسيحي بعد ظهور الإسلام، وانتشاره في المعمورة.

فقد سجل "عبد الأحد الأشوري"، وهو كاهن مسيحي تحول فيما بعد إلى الإسلام، وأعلن أنه قد تاب عن كل ما اقترفه من كفر، وعبادة للبشر! سجل اعتراضه على كل هذه الممارسات من قِبل الكنيسة، ولهذا نراه يثور، ولا يتردد في أن يصرح بأن يسوع المسيح، لم يبقَ بشرًا، كذلك مريم أمه، لم تبقَ من النساء، بل انقلبت "وينوسة" أي: إلاهة. فإذا كانت الكنيسة تأمرني، أي تأمر الكاهن عبد الأحد الأشوري، بوسيلة شفعاء آخرين لا يحصون عدداً، وكانت تفرض عليَّ ابتغاء الوسيلة إلى ميكائيل، وجبرائيل مع الملائكة الآخرين، والحواريين، والأعزة، والمعترفين، والكنيسة، على أن رئيستهم مريم[1] .

ولو ترون كتاب الزيور أي مزامير نبي الله داوود عليه السلام، كيف حولوه، أي المسيحيين، باسم مريم، وأن مريم لم تبقَ من النساء بل إنقلبت "وينوسة"، أي: إلاهة، وقد مُحيت أسماء الله في اللغة العبرية، مثل "يهوه"، و"قدير"، من كتب المزامير "الزبور" التي يخاطب بها الله تعالى عباده المؤمنين، وأثبت بمكانها اسم مريم. ويذكر عبد الأحد الأشوري مثال على ذلك من سفر المزامير أي كتاب الزبور لداوود عليه السلام، "احمدوا الله يا أولاد "، وكيف أن الكاثوليك لأجل إظهارهم عبوديتهم لمريم – والرأي الراجح عند عامة المسيحيين هو إكرامهم للقديسة مريم –، طوروا من كتاب المزامير أي "الزبور"، هذا، وأضافوا إليه بعض الآيات تعمدًا بقصد تحويلها إلى عبادة مريم: "احمدوا مريم يا أولاد"، وهذه الكنيسة كلما صلى فيها مرة واحدة بالصلاة الربانية "أبانا الذي في السموات"، يُصلى فيها بالصلاة المريمية عشرين مرة[2] .

(١) المعترفين: مسيحو العرب، أيضاً يستعملون بينهم كلمة: "موديانا" السريانية. وهم الأولياء العيسويون الذين تحملوا العذاب، والاعتساف في سبيل المسيح، ودينه، ويُعرفون بـ: Confessors. (الفلسطيني ق.م.، *الشامل في الهرطقات*. د. ن.، حاشية ص. ١٢٥).

(٢) داود الأشوري العراقي، عبد الأحد: *الآب، الإنجيل والصليب*، نقله من التركية: عربي مسلم، الطبعة الأولى، د.ن.، القاهرة، طبع عام ١٣٥١، ص ص: ١٢٥ – ١٢٦ .

ومن المرجح أن الفرق المسيحية الخمسة الأولى، وغيرها من الفرق المسيحية التي كانت منتشرة في جزيرة العرب، والبلدان العربية، قد اندثرت جميعها، ولم يبقَ منها شيء على قيد الحياة - بسبب الاضطهادات من الفرق المسيحية الأخرى - يشير إلى تعاليمها أو حتى إلى عقائدها إلا كتابات موزعة في تاريخ الكنيسة في تلك الحقبة.. ولم يبقَ من الفرق المندثرة إلا الفرق السادسة، والسابعة، والثامنة أي الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية.

إذًا، كانت الفرق المسيحية القديمة، والحديثة تُكرِّم العذراء مريم، ووضعتها بعض الفرق في مصاف الآلهة نظرًا لقداستها، ولحملها لاهوت المسيح أي الله المتجسد في الإنسان؛ لأنه عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد، فهو نوع من العبادة.

ولقد قال النساطرة: "يا والدة المسيح كوني لنا كذلك." وحدث سجال كبير بينهم، وبين اليعاقبة، حتى إنهم قالوا لليعاقبة: لا تقولوا يا والدة الإلاه، وقولوا يا والدة المسيح؛ لأن العذراء لا يمكن لها أن تلد الإلاه، الكلي القدرة، والكلي المعرفة، والمنزه عن الخطأ أو اللغو؛ وإنما هي حملت بالإنسان من دون الإلاه، والتجسد على الأرجح حدث عند معمودية يسوع المسيح عندما بلغ الثلاثين من عمره، وعندما هبط عليه الروح القدس في صورة حمامة عند نهر الأردن.

فقالت لهم "اليعقوبية" : المسيح عندنا وعندكم إله في الحقيقة، فأي فرق بيننا وبينكم في ذلك؟ ولكنكم أردتم مصالحة المسلمين ومقاربتهم في التوحيد"، على حساب دينكم(١) .

ولم يتوقف السجال بين اليعاقبة، والنساطرة، وإنما استمر في الكنيسة، وكرسته كتابات أباء الكنيسة، وقديسيها، نذكر منهم مار يوحنا الدمشقي، وقد تجلى ذلك في "عقيدة الدمشقي المريمية"؛ لأن بكل تأكيد ووضوح، وضع الدمشقي مريم في صف الخلائق الطاهرة، بينما لم يتجاسر غيره على البوح بهذه العقيدة أو عارضها(٢) .

---

(١) وصفي، محمد، *المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام*، مراجعة وتقديم، علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة، ص. ٩٠ .

(٢) الدمشقي، يوحنا (منصور بن سرجون)، *الفكر المسيحي بين الأمس واليوم*، تعريب: الإكسرخوس جوزف نصرالله، والأرشمندريت أنطون هبي، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ١٩٩١م، ص. ٢٠٦ .

وقد دافع القديس يوحنا الدمشقي عن تكريم والدة الله تكريمًا تستحقه، بكل ما أوتيّ من فكر، وعلم، ومعرفة، ولهذا نراه يقول: ".. إنه لأمر مرهوب أن تعود الكنيسة الساطعة بأمجاد جمة، والمزدانة منذ زمن بعيد جدًا بتقاليد الناس الأكثر ورعًا لتتعلق بتفاصيل غير مهمة، وأن ترتعد خوفًا حيث لا داعي للخوف. فهي تحذر من الميل إلى عبادة الأوثان، تلك كانت التهمة الموجّهة إلى المؤمنين من محطمي الأيقونات."(١)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الممارسات التقوية الشعبية تحمل فعلاً على إثبات هذه التهمة مع الأسف، ولهذا نرى كتابات كثيرة تُشيد بالعذراء، وتكرمها، وتعبدها، وتسجد لأيقونتها المقدسة: "ولتصمت شفاه المنافقين الذين لا يسجدون لأيقونتك الموقرة التي صورت من لوقا الإنجيلي الكلي الطهر والتى بها اهتدينا"(٢) .

إذًا، قضية عبادة القديسة مريم من دون الله كما ورد في قرآن المسلمين، لها جذور تاريخية تعود إلى فترة ظهور الإسلام، وحتى قبل ظهور الإسلام في جزيرة العرب، ويمكن اختصار الصورة العامة لهذه القضية في النقاط الآتية:

(١) ظهرت فرق مسيحية غالت في طقوسها حتي وصلت إلى حد تأليه العذراء مريم الأمر الذي قد رفضته كنيسة المسيح عبر العصور. وهذه الفرق المسيحية التي عبدت مريم العذراء، بالإضافة إلى عبادتها لشخص يسوع المسيح كونه الإله المتجسد قد انقرضت جميعًا، ولم يبقَ منها إلا النذر اليسير، وقد طورت البقية الباقية منهم عبادة العذراء إلى إكرامها، والخشوع لها، والدعاء إليها، والسجود لأيقونتها المقدسة من دون مساواتها في الجوهر بالله ضابط الكل.

(٢) صرح كثير من المسيحيين، بأنه لا توجد فئة أو شيعة أو فرقة مسيحية تعبد العذراء مريم، أو تضعها في مصاف الآلهة، ولكن المشكلة الحقيقية كامنة في القراءة الخاطئة للتاريخ، وللأحداث المحتواة، وللصراع بين المذاهب في كنيسة المسيح الواحدة.

---

(١) الدمشقي، يوحنا، *الدفاع عن الأيقونات المقدسة*، د. ن.، يعود ريع هذا الكتاب، لدير سيدة حماطورة، كوسبا، لبنان، ١٩٩٧م، ص ص. ١٤ – ١٥ .

(٢) المرجع نفسه، من *تعظيمات البراكليسي لوالدة الإله*، ص. ٧٧ .

لقد حاربت بعض الفرق المسيحية الكنيسة الكاثوليكية، والأرثوذكسية من أجل تكريم الصور والأيقونات، وقد حرمتهم الكنيسة - أي روافض القديسة مريم - وحكمت عليهم في المجمع المسكوني السابع: "نيقية الثاني" الذي انعقد في سنة ٧٨٧م، وأقيم برعاية الامبراطورة ايرني، وابنها قسطنطين، وبحضور الامبراطور لاون الثالث.

ولهذا ردوا علي عبدة الأيقونات في المجمع القسطنطيني الخامس الذي من أهم مقرراته لعنة من يسجدون لأيقونة العذراء، ورفض عبادة، وتقديس الأيقونات جملة، وتفصيلا.

فلماذا حاربت بعض الفرق المسيحية الكنيسة من أجل إكرام الأيقونات؟!

الإجابة سهلة وبسيطة: فالمشكلة تكمن في القراءة الخاطئة من جانب هذه الفرق المسيحية تجاه الكنيسة التي تؤمن بإكرام الأيقونات. لقد فهموا - أي أصحاب الفرق المخالفة لتعاليم تقديس العذراء مريم، وهم مسيحيون أيضًا، وليس آخرهم الفرقة البروتستانتية الكبيرة الملل، والنحل -، أن إكرام الصور، والأيوقونات هو نوع من العبادة، والشرك، والعياذ بالله.

ثمة عامل آخر أدى إلى اتساع الهوة في هذا الصراع، وتأججه وهو ظهور الإسلام المواكب لهذه المرحلة من الصراع. فلم يتوقف الصراع والجدل حول تكريم الأيقونات بقرارات مجمع نيقية الثاني؛ وإنما استمر وتأرجح بين الصعود، والهبوط، ثم عاد إلى الواجهة في عهد لاون الخامس (٨١٣ - ٨٢٠)، وقد ساعد في تأجج الصراع أيضاً الرهبان الاستوديون حتى مجمع قسطنطينة (شباط ٨٤٣). ولاحقًا، اشتد الصراع، والسجال حول عبادة العذراء مريم، عندما ظهر البروتستانت على مسرح المسيحية في القرن السادس عشر، وما فعله مارتن لوثر الراهب الكاثوليكي الذي تحول إلى البروتستانتية، رغم أن البروتستانت لم يؤمنوا بكل ما جاء به هذا المصلح الديني من عقائد مسيحية كمعمودية الأطفال أو عدم اعترافه بصحة بعض الكتابات الإنجيلية، ونقصد بعض الرسائل، ومنها سفر الرؤيا.

إذًا، انقسمت المسحية إلى فريقين في هذا المضمار، فريق مع تكريم الصور والأيقونات، وفريق آخر يرى في هذا العمل شرك وعبادة لغير الله، وقد خُلع عليهم

فيما بعد لقب "الهراطقة" - أهل البدع - أي الفريق الذي يناهض عبادة الأيقونات، والسجود لها.

إن الفهم المغلوط لتكريم مريم العذراء، والسجود لأيقونتها المعظمة، والدعاء إليها في الكروب، والملمات، ومناجاتها بـ: "يا والدة الله"، والطلب منها الشفاعة، جعل الخارجين عن الكنيسة، والمنشقين، والهراطقة - أهل البدع -، يتصورون في إكرام الصور والأيقونات عبادة لمريم!

وقد ساعدت مغالاة البعض في إكرام العذراء الناتج عن المحبة الفريدة لها، في تكريس هذا الفكر المناهض لعبادة البشر. وقد تعارض هذا الأمر في مهد الإسلام، وبدايته مع تعاليم الإسلام عن الشرك، وعبادة الأصنام الـ: ٣٦٥ التي كانت منصوبة في الكعبة ليتعبد لها، وبها الناس، ويقدموا لها القرابين، ويسجدون لها، ويسألونها الشفاعة، والمغفرة من الخطايا. وقد كان لهذه الأصنام، والأنصاب، والتماثيل سدنة يسهرون على خدمتها، ومساعدة المتعبدين لها!

هذه هي أهم الفرق التي كانت منتشرة إبان ظهور الإسلام، وعقائدها من جهة الثالوث. فماذا يقول القرآن الكريم عن حقيقة الثالوث غير ما قد قيل في البدع والهرطقات؟ هل ذكر القرآن الكريم في نصه العقائد الأساسية التي تدين بها الكنيسة في القرن الحادي والعشرين؟

قال تعالى في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ... وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[1]، وأن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: ليس له مماثل، ولا نظير يعدله. ويُفهم من النص القرآني أيضًا، أنه ينتفي الحدوث لأي مكافئًا ومماثلاً، فله متعلق بكفوًا، وقدم عليه؛ لأنه محط القصد بالنفي، وأخر أحد، وهو اسم يكن عن خبرها رعاية للفاصلة[2]. هذا ما يقوله القرآن الكريم في نص واضح لا لبس فيه، ويردده المسلمون البسطاء كل يوم في صلاتهم نظرًا لسهولة حفظه، وأن سورة الإخلاص تعادل ثلث القرآن عند قراءتها لمن لا يحفظ القرآن عن ظهر قلب. وربما يعود

(١) سورة الإخلاص: ١ و٤.

(٢) هويدي، محمد، *التفسير المعين*، المؤسسة العالمية لعلوم كالقرآن، الطبعة الخامسة، دار البلاغة، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ص. ٦٠٤؛ والجمل، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي (ت. ١٢٠٦ هـ)، *الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية*، دار الفكر، طبعة منقحة، بيروت، لبنان، ١٩٩٦، ٨/٤٥٧.

السبب في ذلك؛ لأن آياتها تتناول بصورة جوهرية، وواضحة قضية التثليث عند أتباع يسوع المسيح.

فهل يتوافق الإنجيل مع ما قاله القرآن الكريم منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرنًا أم إن مسيحية القرن الحادي والعشرين تختلف في تفاصيلها عن مسيحية القرن الهجري الأول التي كانت تنتشر في جزيرة العرب، وفي البلدان العربية المجاورة؟

يقول القديس بولس: "فليكن فيكم هذا الفكر الذي كان في المسيح يسوع أيضًا. الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرًا في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان..."[١].

يقول وليم ماك دونالد في تفسيره لهذه الآية: أن اقنوم الابن هو أقنوم معادل لأقنوم الأب، فالمسيح إله حقيقي، وإنسان حقيقي، وهذا هو السر الذي لا يدركه العقل البشرى[٢].

إذًا ما قاله مار بولس في رسالته عن الثالوث، دحضه القرآن، ورفضه جملة، وتفصيلاً في أيات كثيرة، ليس آخرها سورة الإخلاص بحسب ترتيب المصحف العثماني بين أيدي مسلمو اليوم. مع مراعاة أن في عصر نبوة محمد ﷺ، لم يكن أي نسخة باللغة العربية للإنجيل بحسب الدراسات المعمقة في هذا الشأن.

ومن الجدير ذكره هَهنا، أن القرآن الكريم، لم يكن المحتكر الأول أو الأوحد لهذا المفهوم عن التلثيث، وأنه شِرك بالله! لقد فهم اليهود ذلك أيضاً، ولم يتورع رجال الدين اليهود أن يهاجموا يسوع المسيح بحسب النصوص الإنجيلية التي بين أيدينا اليوم، وتعترف بها جميع الكنائس على اختلاف مشاربها، وعقائدها، وقد حدث هذا قبل ظهور الإسلام بأكثر من خمسة قرون.

قال مار يوحنا: "فأجابهم يسوع: أبي يعمل حتي الآن وأنا أعمل. فمِن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه. لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضًا إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله"[٣].

---

(١) في ٢: ٥ - ٨.

(٢) MacDonald, N. T. William, Believer's Bible Commentary, Thomas Nelson Publishers Nashville, p.p. 782 - 783.

(٣) يو ٥: ١٧ - ١٨.

إذًا، وإنطلاقًا من النصوص الإنجيلية نسبة إلى الإنجيل الشريف، وليس نسبة إلى الطائفة البروتستانتية، فنسئل أي مفكر أو رجل دين مسيحي على غرار ما يحدث اليوم من مساجلات في اللقاءات الإسلامية المسيحية: هل القرآن الكريم قد تحدث عن مسيحية اليوم؛ أم إنه قد تحدث عن بدع، وهرطقات حاربتها الكنيسة الأولى؟ نقول: نعم، تحدث قرآن المسلمين عن مسيحية اليوم، وناقشها في أهم العقائد التي تؤمن بها.

إذًا، المسألة ليست هروبًا إلى الأمام أو تراجعًا إلى الخلف؛ وإنما هو عيش فيما يعنينا، وابتعاد عن مناظرات عقيمة لا تعنينا؛ لأن الله هو لجميع البشر، وليس من حق أحد مهما بلغت قداسته أو سلطانه أن يتعدى على الآخر بحجة الدفاع عن عقائده. فإذا كان أتباع ديانة في ضلال مبين، ماذا يُضيرك أنت في ذهابهم إلى الجحيم، وتذهب أنت إلى النعيم. هل تريد أن تأخذهم إلى نعيمك بالقوة، وقهر السلاح، وإلا قتلتهم. إن هذا لأمر عُجاب! ولكنها طبيعة البشر التي ترفض الآخر، ولا تريد التعايش إلا مع مراياها المشروخة!

ولهذا يمكن صياغة الأمر على هذا النحو: إذا كان الإنجيل يقول عن المسيح بأنه معادلاً لله، ورسائل رسل المسيح تؤكد هذه الحقيقة، فإن الآيات الواردة في سورة الإخلاص، وغيرها من سور القرآن الكريم، تقصد مباشرة مخاطبة مسيحيو القرن الحادي والعشرين.

لو أن القرآن الكريم لم يحاور أهل الكتاب الممثلون في الكنيسة الحالية بتعدد مذاهبها، وإختلاف مشاربها، لكان الحوار الإسلامي المسيحي مفتقر لنقطة بداية من أجل إنطلاقه! بمعني أنه لا يوجد لدى الكنيسة اليوم أساس لتستند عليه في حوارها مع الإسلام.

أما إذا تناول الإسلام بالحوار من خلال قرآنه الكريم بعض الفرق، والمذاهب المسيحية التي قد كانت موجودة في مطلع الإسلام، ومازال البعض منها على حالته منذ القرن الأول الهجري حتى يومنا هذا، رغم انقراض بعض من فرقها. إذا كان هذا هو الوضع الراهن، والحالة الإنعكاسية لأشعة الساحة المسيحية، فعلى الكنيسة والمسلمين اليوم الاستفادة بجدية من الحوار الماضي من خلال إعادة قراءة للتاريخ

الديني عبر عصوره المختلفة.

والقارئ المنصف في هذا التاريخ سيعمل في النهاية على تغيير مسار هذا الحوار وتوجيهه في الاتجاه الصحيح؛ لأنه قد انحرف مساره في محطات كثيرة حتى وصل إلينا اليوم حوار عقيم، ومعوق، لا يقدر على فعل شيء من أجل النهوض بالعيش المشترك، ولا من أجل بناء الجسور، ولا حتى من أجل التصالح في نقاط الصراع، والأزمات، والحروب كساحة الأرض الأفغانية، والصومالية، والسودانية، واللبنانية، وساحة الأرض العراقية، وما اعتراها من تشويه عميق بأيدي هولاكو القرن الحادي والعشرين، الساكن في البيت الأسود إلى حين.

إن التكرار قد يكون من حتميات القوانين الطبيعية للبشرية التي فرضها الله علينا، ولكن التكرار، والاجترار على ماضي لحوار جدلي عقيم لا يجدي نفعاً، بل علينا جميعًا أن نخرج من مستنقع الكراهية التي سقط فيها بعض كبار القوم، وقادة الفكر من الطوائف المختلفة، ونخرج إلى سعة، ورحابة، ومسامحة الإنسان لأخيه الإنسان. ولماذا يحاول البعض منا عبثًا البرهنة على أن الإسلام في نشأته الأولى لم يحاور مسيحية اليوم؟ بل ويؤكد آخرون أن نصوص القرآن خالية من هذا النوع من الحوار من دون قراءة متأنية لنصوص القرآن الكريم، ونصوص الإنجيل الشريف!

هل هذا الطرح هو من أجل بناء حوار جديد؟ أقول: لا؛ لأن الحوارات الجديدة تُبنى، وتُشيد على ذهنيات جديدة مع أشخاص يحملون في داخلهم قدرة كامنة على التغيير لا في النصوص بل في النفوس أيضًا. قدرة على التغيير في الأفعال والأعمال التطبيقية. علينا أن نعرف جميعاً أنه لا يمكن مد جسور جديدة بين المسيحية، والإسلام من أجل العبور إلى حوار نوعي خاص إلا إذا تقبل كل طرف نظيره الآخر كما يريد هو أن يكون مقبولاً. ولا يعنى هذا القبول، أن تعترف المسيحية بأن الإسلام خاتم الرسالات، وأن القرآن الكريم هو موحى به من عند يهوه الإله القدير، ألوهيم الساكن السماوات العلا.

ولا يعنى هذا أيضًا، أن على الإسلام أن يعترف بصلب المسيح، وموته، وقيامته، وبخلاص الرب المحيى، ولا أن نقول بأن القرآن الكريم حَكَمَ على المسيحية من نظرة ضيقة، ولم يتطلع إلى مسيحية الأقانيم الثلاثة أي الثالوث والإله الواحد.

إن الله قد ميز الإنسان عن سائر مخلوقاته بالعقل الذي يستخدمه في نقل خبرات، وتجارب الماضي، وأنباء الآخرين، وأخبارهم، وحضاراتهم، وثقافات الأمم الغابرة لهو أكبر دليل على ذلك. إن ما أريد قوله هو: علينا أن نواجه الحقيقة ليس عن طريق تغيرها، أو القفز عليها، ولا عن طريق تغطيتها، ولا عن طريق الإلتفاف حولها؛ وإنما بسبر أغوارها، والوصول إلى منابعها، ومصادرها الصحيحة. ولذلك يسهل على كثير من المسلمين فهم بعض ما قد ورد في كتاب "الهرطقة المئة"، حيث يقول كاتبه أو مؤلفه، بما أن نظرة المسلمين إلينا لم تتغير منذ نشأتهم وحتى اليوم، فلا ينبغي التفتيش من ثم عن نقاط تلاقٍ معهم على المستوى العقائدي، بل على المستوى الأخلاقي، الاجتماعي، فقط لا غير، حيث يُتفق على السلوك بالمعروف، وعلى تجنب المنكر عند كل من الخيرين من الناس .. ومن العبث بمكان أن يسترسل المسيحيون في الجدل مع المسلمين حول إيمانين مختلفين تمامًا، إذ إن أركان إيمان المسيحيين هي: "الثالوث – التجسد – الفداء"، وهذه منبوذة عند المسلمين بجميع مذاهبهم. ومن هذا المنطلق، لزم أن يكون الحوار مع المسلمين حوار حياتي من دون الدخول إلى دهاليز العقائد الدينية، وبوتقة الصراعات المذهبية، واستعمال علم الكلام، واللاهوت النظامي في التنظير لمثل هذه القضايا(١) .

هل ما يربو على ألف وأربعمئة سنة من العيش المشترك بين المسيحية، والإسلام، لم تكن كافية ليعرف كل واحد منهما الآخر من دون أن يتجنى أحد على أحد بالقول أو الفعل؟ يبدو أن الـ: ١٤٠٠ سنة، لم تكن كافية، وإلا فلماذا يتصارع أصحاب الديانات الإبراهيمية إلى يومنا هذا؟!

إن فهم الأخر لا يكون بطول المدة أو قصرها .. إن فهم الآخر لا يكون بالاستهزاء بالضلال، دون الإستهزاء بالضال .. إن فهم الآخر لا يكون بالدعوة إلى الإسلام أو التبشير بيسوع المسيح الناصري .. إن فهم الآخر هو نعمة من واهب النعم، لكنها ليست نعمة تختص فئة من الناس دون سواهم من الخلق.

هل اقتصار الحوار بين الإسلام، والمسيحية على الجانب الأخلاقي الاجتماعي فقط هو حل جوهري للصراع القائم اليوم؟ وهل الاتفاق على السلوك بالمعروف

---

(١) الدمشقي، يوحنا، *الهرطقة المئة*، د. ن.، د. م.، ص. ٨ – ٩ .

يؤدى بنا إلى التعايش؟ وماذا عن الذين لا يسلكون بالمعروف في هذه الدنيا؟ وإذا سلمنا جدلاً بهذا الطرح، فلسوف تطلع علينا صرخات متعالية من هنا، وهناك، تقول بأنه لا يوجد حتى ثمة اتفاق على الجانب الأخلاقى. فلا عيش مع من يشربون الخمر، ولا سلام مع من يأكلون لحوم الخنازير!

أذًا، فكرة "الشبه من أجل التعايش" فكرة غير سليمة، ولا ينتهجها إلا أصحاب العقول الضيقة. والمعنى، أننا نحاول أن نتشابه، أو نحاول أن نجمع ما نتشابه عليه لنقول بإمكانية التعايش، فأين يذهب التنوع؟

وليس دليل على هذا اجتماع ملك السعودية، بـ: خوان كارلس ملك أسبانيا الذي اعتلى سدة الحكم سنة ١٩٧٥م.

لم يكن هذا الاجتماع في مدريد على أساس الشبه، والتشابه. فأين ملك أسبانيا الذي أعطى بلاده كثير من الحريات حتى وصل به الأمر أن يسمح بزواج المثليين - أي اللواطيين، والسحاقيين، والشاذين جنسيًا -، أين هذا من ملك المملكة العربية السعودية الذي لا يسمح في بلاده بأن تقود امرأة سيارة حتى وإن كانت هذه المرأة منقبة! إنهما نموذجان مختلفان تمامًا من العيش في التاريخ المعاصر، وليس في القرون الوسطى، ومحاكم التفتيش!

وهل اجتماع ملك السعودية المسلم السني مع ملك أسبانيا المسيحي الكاثوليكي في مدريد في الفترة الممتدة ما بين ١٦ - ١٨ تموز (يوليو) ٢٠٠٨م قد حقق أهداف مؤتمرات المسيحية والإسلام من أجل التعايش؟! وماذا عن الحروب الدائرة ومناطق الصراع في العراق، وأفغانستان، والصومال؟!

لقد نافس ملك أسبانيا بعض الحكام العرب في بقائهم على كراسي الحكم لعقود طويلة، إذ أن خوان كارلس اعتلى عرش المملكة سنة ١٩٧٥م إلى يومنا هذا! وهل حكومة أسبانيا تأخذ أوامرها من جلالة الملك على غرار الحكومات العربية التي لا تتحرك في القضايا الرئيسية إلا بقرار من الحاكم والسلطان الآمر الناهي على جميع السلطات من قضائية، وتنفيذية، وتشريعية ناهيك عن السلطات الأمنية في بلاده التي ربما اشتراها بأموال أبوه، ونحن لا نعلم!

هل المؤتمرات التي تُعقد من هنا أو هناك تُمثل الإسلام، وتُمثل المسيحية؟

أقول: لا. لقد اقترحت منذ عدة سنوات أن يُستبدل مصطلح الحوار الإسلامي المسيحي بـ: الحوار الإسلامي المسيحي بحسب القراءة الكاثوليكية السنية أو الحوار الإسلامي المسيحي بحسب القراءة الأرثوذكسية الشيعية، وهكذا دواليك حتى نكون أقرب إلى الموضوعية، ولكن يبدو أن ملحوظاتي ذهبت أدراج الرياح!

هل نريد أن نمحو التنوع من حياتنا؟ لننظر إلى ما حولنا من تنوع، وإزدواجية في الأشياء كـ: الليل، والنهار، الشمس، والقمر، والحرارة، والبرودة، النور، والظلام، الموت، والحياة، الملاك، والشيطان، أهورا مزدا، وأهريمان، الحزن، والسرور، الحب، والبغض، الإيمان، والضلال، القُبح، والجمال. إنها مسميات كثيرة في عالم قد ألفناه، ولا نقدر على سبر أغواره الميتافيزيقية! ولكن، أقله أن نتعلم من خالق الكون، ومن نواميس الطبيعة. فنحن بحاجة إلى النور والظلام، والشمس والقمر، والليل والنهار، والأبيض والأسود، والجميل والدميم، والإنسان لأخيه الإنسان، والمسيحية، والإسلام.

فهل يُفْلِحُ العطار ما قد أفسده الدهر؟ لقد امتلئت ساحات المكتبات، والمطابع، والدواوين، والمدارس، والمعاهد، والجامعات، والصفحات الإلكترونية، ومراكز الأبحاث، بكتابات نقدية عن الإسلام، وعن المسيحية، ناهيك عن الرسوم الكاريكاتيرية، ليس آخرها الرسوم الكاريكاتيرية الدينماركية التي تصف نبي الإسلام، والمسلمين بالإرهاب![1]

وماذا عن كتابات الإمام الشيخ ابن تيمية التي تصف النصارى بأنهم كفار، وتصنف النصراني الكافر، وتُفرق بينه، وبين المسيحي قبل ظهور الإسلام. فالنصارى الذين يتمسكون بالكتاب المبدل المنسوخ، هم الكفار من أهل الكتاب، ولو كان أجدادهم مؤمنين أما المسيحيون قبل الإسلام، فهم مؤمنين، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم من فروض، وواجبات[2] .

---

(١) لتعريف الإرهاب، وتبيان الفروق الجوهرية بين الإرهاب، والعمليات الاستشهادية، وبين العنف، والأخذ بالثأر، يمكنك مراجعة كتاب: ع(مر، جمال، *فلسفة الإرهاب ومؤسس العمليات الاستشهادية*، دار النهضة المصرية، ٢٠٠٨م).

(٢) *ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره*، إعداد: د. محمد حربي، عالم الكتاب، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ص ٣٢٣؛ *ومجموع فتاوى ابن تيمية*، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، بمساعدة إبنه: محمد، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ٢٢٨/٣٥ .

كل هذه الأنهر التي عبر فيها أهل المسيحية، وأهل الإسلام، قد تدثرت بأثواب بالية، وتلوثت بسموم قاتلة، وتدنست بسهام خاطئة. فهل من سبيل للرجوع إلى جادة الطريق، والتلاق القائم على سماحة الإنسانية، وفهم الآخر من دون تعصبات الكتابات البيزنطية أو السفسطائية؟ نعم يمكن أن نجد طريقًا مشتركًا بين أبناء الجنس الواحد إذا توقف كل طرف عن التنظير أو التنكيل بالآخر. إذا توقف كل طرف عند حده، وعرف أن ليس بالقوة أو الحيلة يمكن أن نريح الآخر؛ وإنما بالتسامح، والتسامح وحده هو الحل وسط غوغائية الصراعات الدينية.

إنني أشك في ذلك كله، ولكنني سأسير في الطريق إلى نهايته؛ لأن الشك هو جسر، وقنطرة لليقين. فهل سيتغلب الشك على اليقين أم يتغلب اليقين على الشك أم إنهما سيلتقيان في جادة الطريق ليُظهر كل منهما للآخر أبجديات صراعه الذي لا ينتهي، ولا يتحقق إلا في عالم الموجودات، وعلى رؤوس الضحايا من البشر الذين يريدون العيش بسلام بعيدًا عن صلف، وتعنت أهل، وأصحاب الأديان الإبراهيمية. سوف نرى مؤشرات ذلك في الفصل الأول من الباب الثالث، والأخير من هذا الكتاب.

الباب الثالث

عاش الحجاب مع الصليب

هل صحيح أن الهلال عاش مع الصليب في تاريخ الأديان الإبراهيمية؟ متى، وأين، وكيف؟ وأي نوع من العيش بين هذين الجارين اللدودين بحسب القراءة التفصيلية للحروب التي شنها كل طرف على الآخر، مستخدمًا سلاح الدين وراء مطامع شخصية أو سياسية أو اقتصادية أو غيرها من مطامع المتنازعين؟!

ربما جزء من الحقيقة قد يُغضب كثير من الناس، فما بالك لو تَكَشَّفَت كل الحقيقة!

الباحث المتجرد، والمفكر المستقل، والإنسان السوي هم وحدهم القادرين على مواجهة الحقيقة، ومقارعة أبجديات الصراع.

من أجل هذا جاء الباب الثالث لِيُقَدم جانب من هذه الحقيقة، علنا نستطيع في الكتب اللاحقة من هذه السلسلة أن نكشف أكبر قدر من الحقائق المخفية أو المستورة عن عيون الأخرين.

الفصل الأول

التدريبات المسيحية

التدريبات المسيحية على مواجهة الإسلام والمسلمين

تدريبات كبار القوم!

تذهب بعض الجميعات، والمؤسسات الخاصة، والجامعات المسيحية التي تعتني بشئون اللاهوت على القيام بدعوة رؤساء الطوائف في منطقة الشرق الأوسط إلى دورة تدريبية خاصة لمدة شهر، وقد تتراوح المدة بحسب وقت المدعوين بين المد، والجزر.

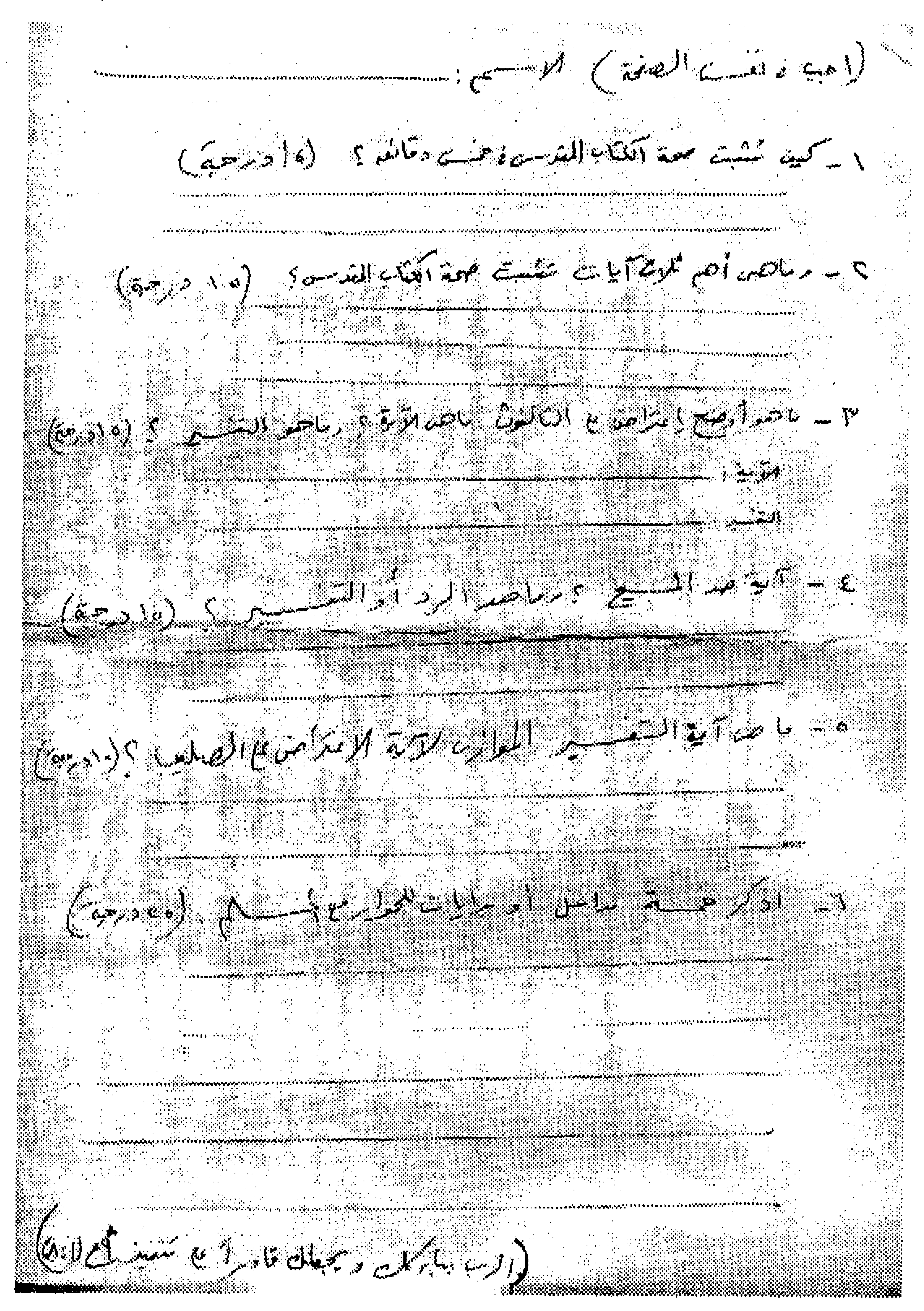
وفي أغلب الأوقات يتم دعوة رؤساء الطوائف الذين في العادة يحملون في بلدانهم جوازت سفر نصف دبلوماسية تؤهلهم بالمرور بسلام واحترام من جميع الفئات. فما هو السر في انتشار هذه الظاهرة؟ ولماذا تقوم مثل هذه المؤسسات بصرف أموال طائلة على المتدربين عن طريق احضارهم من بلد المنشأ على نفقة مؤسسات مسيحية خاصة، وتزويدهم بما يُعرف بـ: البوكت مني bucket money أي مصروف الجيب الخاص بكل واحد منهم، فضلاً عن قيام هذه المؤسسات بترتيب عملية السفر حيث تفرض بعض الدول قيودًا على دخول المصريين إلا إذا كانت لديهم كمية من الدولارات التي تحددها هذه الدول في أجندتها، فتسد هذه المؤسسات الثغرة بأن تُعطي كل قادم إليها المال الكافي للإنضمام لمثل هذه الدورات التدريبية من أجل إبرازه لدى الموظف المختص إن طُلب منه ذلك.

هذه ليست قصة من قصص الخيال المسجلة في كتب ألف ليلة وليلة، ولا هي حكاية من نسج الراوي يسجلها من أجل الحصول على سبق صحفي أو خبطة إعلامية؛ وإنما هو عين الواقع واليقين المؤيد ببراهين، ودلائل ملموسة، ويُسجلها الباحث لقرائه الكرام من أجل أخذ العبر، ودراسة مثل هذه الظواهر بروية وتأني، ومن دون غوغائية أو ممارسة أي نوع من أنواع الشغب التي يكون فيها الجميع خاسرًا.

وهذا الجزء من العرض في هذا الكتاب هو أيضًا من أجل إطّلاع المسئولين، والرأي العام العالمي على ما يحدث من بعض الفئات التي لا تريد الحفاظ على العيش المشترك أو السلام الأهلي، ولا تريد تَقَبُّل الآخر كما هو يريد أن يكون مقبولاً، وليس بصورة الفرض أو الاستيعاب مع الاستعانة بالأموال، والقهر، وغلبة الرجال، وإرهاب الدول القوية القادرة على تغيير المعادلات في منطقة الشرق الأوسط، بينما تختفي شعارات المحبة الفارغة، ولا نجدها في أصولها الكريمة إلا من أصحاب الهمم النبيلة كما سنبينه فيما بعد.

هذه صور ونماذج عن بعض الامتحانات النهائية بعد أن يجتاز الملتحقين مدة التدريب بالدورة التدريبية، وسماع جميع المحاضرات المخصصة في هذا الشأن، والتي لا يمكن لأي من الحضور أو المشتركين في هذه الدورات التدريبية تسجيلها أو الاحتفاظ بها لداوعي أمنية خاصة بأفراد وأعضاء المؤتمر.

وقبل أن نستعرض بعض نماذج اجابات الحضور في هذه الندوات، والمؤتمرات، نعرض لصيغة الأسئلة التي وضعها السيد دا. ر. وهو أستاذ مساعد في إحدى كليات اللاهوت بالشرق الأوسط، وكان يُحَضِّر أطروحة دكتوراه في مقارنة الأديان بالولايات المتحدة الأميركية آنذاك، وهو الساعد الأيمن في تلك الفترة للقس الشهير م. ع. ن. ولعل السبب في انتهاجه هذا الدرب بعد أن كان صيدليًا، هو ترك زوجته له، وزواجها من رجل مسلم، مما دفع الرجل بالدخول قهرًا في بعض الاضطرابات النفسية، وآل الوضع به إلى ما هو عليه اليوم، وأصبح متخصصًا في نقد النصوص الدينية الإسلامية فيما يُعرف بـ: مقارنة الأديان.



(أجب في نفس الصفحة) الاسم : ....

١ـ كيف تثبت صحة الكتاب المقدس وحفظ دقائقه ؟ (١٥ درجة)

....

....

٢ـ وما هي أهم ثلاث آيات تثبت صحة الكتاب المقدس ؟ (١٠ درجة)

....

....

٣ـ ما هو أوضح إعتراض على الثالوث، ما هي الآية، وما هو التفسير ؟ (١٥ درجة)

الآية : ....

التفسير : ....

٤ـ آية عن المسيح، وما هو الرد أو التفسير ؟ (١٥ درجة)

....

....

٥ـ ما هي آية التفسير الموازي لآية الإعتراض على الصليب ؟ (١٠ درجة)

....

....

٦ـ اذكر خمسة نواحي أو مداخلات للحوار مع المسلم. (٢٠ درجة)

....

....

....

....

(الرب يباركك ويجعلك قادراً على تنفيذ [illegible])

أما في الصفحات القليلة المقبلة، فسوف نعرض لبعض نماذج الاجابات من المتدربين الذين إلتحقوا بمثل هذه الدورات التدريبية، وقد تم رفع أسماء أصحابها من على ورقة الإجابة الخاصة بكل متدرب.

الاسم / ...

اجابة س١ : تمام اثبات صحة الكتاب المقدس على ٤ مستوياته

١- المستوى المنطقي العقلي ٢- المستوى العلمي ٣- المستوى الواقعي ٤- ...

واثبات صحة الكتاب ... سنستخدم المستوى المنطقي العقلي:

هل عرف الله بالتحريف ؟ هل يرضى الله بالتحريف ؟ وهل يقدر الله على حفظ كلمته ؟

ان كان قد حدث تحريف : متى حدث ؟ وأين حدث ؟ وأين النسخة السليمة (الأصلية) ؟

بعد الاجابة عن الاسئلة السابقة نكون قد وصلنا الى ان الكتاب المقدس الذي بين أيدينا صحيح النسخة السليمة ولم يحدث تحريف له.

ثم نسأل هل يتفق المسيحيون مع اليهود على تحريف العهد القديم ؟

وهل يتفق المسيحيون بمختلف طوائفهم على تحريف العهد الجديد ؟

اجابة س٤ : أهم ثلاث آيات تثبت صحة الكتاب المقدس:

المائدة ٤٣ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله

المائدة ٤٨ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه .

الحجر ٩ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .

اجابة السؤال ٥

آية التفسير الموازي لآية الاعتراض على الصليب .

آل عمران ١٦٩ : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون

اجابة السؤال ٣

أوضح اعتراض على الثالوث : ثالوث المريميين (الله والعذراء تزوجا وأنجبا المسيح)

الآية : ولقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة المائدة ٧٣

التفسير : هذه الآية تكفير لجماعة أطلق عليهم المريميين .

(التجسد وتجزء الله)

* النمل : ٨ "بورك من في النار"

بما أن الله [illegible] ... أن [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

الكفارة في الإسلام [illegible]

الأعمال تعوض [illegible]

[illegible]

الصليب — مريم ١٥ / ٣٣

* مريم ١٥ "السلام عليه يوم ولد ويوم يموت .. ويوم يبعث حياً"

* مريم ٣٣ "السلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً"

— [illegible]
[illegible] ٨٢٪ [illegible]

[illegible] ٣ [illegible]
[illegible] ١٢٠٪

* النساء ١٥٧
"وما قتلوه .. وما صلبوه ... ... وما قتلوه يقيناً"

[illegible]
[illegible] في الإسلام

جواب السؤال ٤

آية عن المسيح

«يا عيسى أأنت قلت اتخذوني أنا وأمي إلهين من دون الله فقال رب سبحانك»

التفسير: يخاطب الله عيسى قائلاً هل أنت قلت للناس اتخذوني ربا أنا وأمي من دونك (أو من دون الله) فرد عيسى فقال رب سبحانك

الرد: لم يقل المسيح للناس أن يعبدوه وأمه معا - لكن المسيح هو الذي ذكر عنه في آل عمران ٤٩ "أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله" فهل يعطي الله أخص خصوصياته لبشر - لقد فعل المسيح ما يختص بالله وحده (الخلق - إبراء الأعمى الذي ليست له أعين بتاتا)

جواب السؤال ٦

مداخل أو بدايات للحوار مع المسلم:

١- الإذاعة: عن طريق الإذاعة تقدم رسائل واضحة - وهناك صلاة ترفع لكل كلام لأجل الكلمة المذاعة - لتجد أوعية مستعدة للاستماع.

٢- القراءة: لمن يحب القراءة

٣- الكتاب المقدس: بصفة خاصة أيضا للذين يحبون القراءة مع التوجيه بقراءات معينة (ع٤)

٤- اليهود: كمدخل للعهد القديم

٥- الأسئلة المباشرة أو إن كان لديه سؤال حول الكتاب المقدس والمسيح.

٦- النقاط المشتركة بين المسيحية والإسلام (الدعاء والزكاة والصوم).

تثبيت صحة الكتاب المقدس في قسم دقائق

اذكر لي القصة التي وردت في تفسير ابن كثير من أسباب نزول الآية الواردة بسورة المائدة ٤٣ الدرس "وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله". والقصة أن محمداً تقسم أقسم بالتوراة عندما طلب منه اليهود أن يحكم برجم على زاني وزانية أمسكا معاً فقال آمنت بالتوراة وذكر الحكم بالرجم وهو موجود في التوراة بيده وقبلت هذه الآية السالفة الذكر ومثل إقرار منه بصحة التوراة معموناً وأن الله حفظها حتى وقت إرسالك محمد. ثم تذكر لي الآية الواردة في سورة الحجر ٩ "إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون". ومؤداها أن الله يحفظ الذكر.

— وعليكم ذكر الأدلة العقلية والمنطقية وهي متى حدث التحريف ومن أصحابه ومن وهل يرضى الله بالتحريف. والأدلة التاريخية من حيث عدد النسخ وتفرقها بكل بقاع العالم وأن العلم يصيرهم على كلام التوراة والإنجيل ومنهم شهود اليهود والرومان والتواتر. إن سمح الوقت بهذا

السؤال الثاني

أهم الآيات تثبت صحة الكتاب المقدس

المائدة ٤٣ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله

" ٤٨ وأنزلنا إليك الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه

الحجر ٦ إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

الأنبياء ١٠٥ وأنزلنا الزبور من بعد الذكر

II

إجابة السؤال ٣

الاعتراض على الصليب ورد بالآية الواردة بسورة النساء ١٥٧

"وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وما قتلوه يقيناً"

وأيضاً التفسير الوارد لها هي الواردة بسورة آل عمران ١٦٩

"ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون"

وعليه أيضاً ذكر الآيتين الواردتين بسورة مريم ١٥، ٣٣

١٩:١٥ "وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً"

١٩:٣٣ " " علي " ولدت " أموت " أبعث حياً"

وهناك طبعاً الآيات الدالة على موت المسيح الحقيقي وأن الآية نزلت [illegible] ٣:٣٦ لتؤكد أن الأموات فعلاً تاريخياً ولكنهم يحسبوا أحياء عند الله

إجابة السؤال ٤

أي ضد المسيح والأم "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك" المائدة ١٧

وأيضاً هذه الآية نزلت للرد على بدعة المريميين التي ذكرناها سابقاً*

وتكملة الآية بسورة النساء ١٧١ "إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه"

توضح أن المسيح روح الله ولا يمكن فصل الروح عن الذات فهو كلمته التي تعني نطق وعقل الله Logos وتعني أيضاً ذات الله وعقله وتفكيره

وحين ذكر أن الله أيد يسوع بالآيات والمعجزات كما ذكرنا بالسؤال الثاني من سورة المائدة ١١٠، سورة آل عمران ٤٩ والتي أيضاً هي آيات لا تعني لله ذاته ولا يسوع بل لأجل ذلك أعطى خصوصياته

إجابة السؤال الثالث

الآية المعترض عليها التثليث هي: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة المائدة ٧٣

والرد على هذه الآية أن سبب نزولها كان رداً على بعض المرقيونيين التي ظهرت بالقرن الرابع الميلادي والتي فيها كانوا يقولون أن الله آب وابن ومريم العذراء بينما نحن نصلي باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين

ويمكن ذكر المعجزات التي اختص بها الله يسوع دوناً عن باقي الرسل والمسيح أعطي معجزات بل معجزات الخلق وإبراء الأكمه والأبرص وإقامة الموتى والتي يختص بها الله المائدة ١١٠ ، آل عمران ٤٩ والتي أيده بها الله بروح القدس.

السؤال السادس

حصر مداخل أو بدايات للحوار مع المسلم

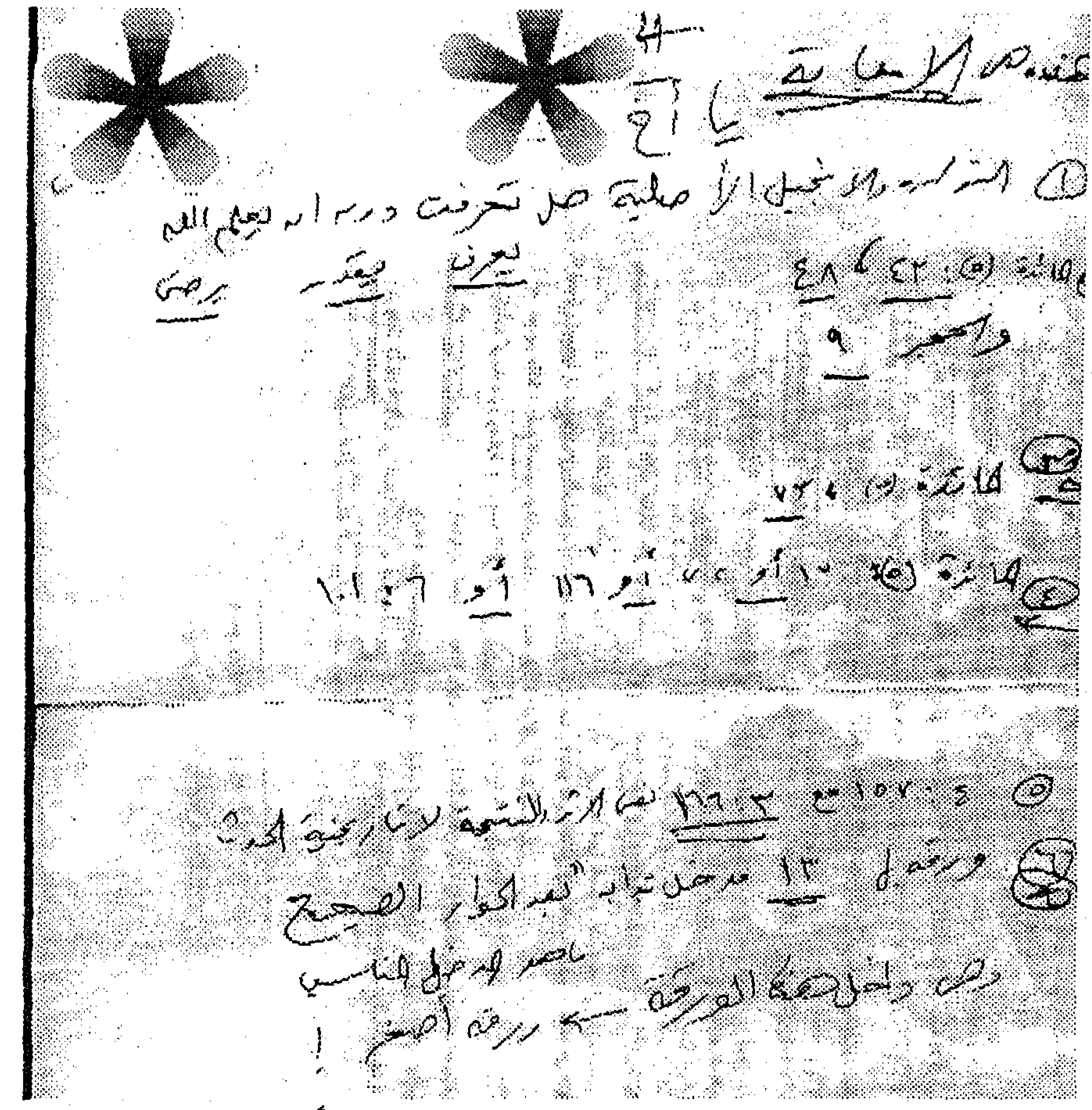
① ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ويمكن ذكر أن الله حثنا من القرآن ومن الإنجيل بالحوار الديني - اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها

② عبادات مشتركة وطقوس مشتركة بيننا - الصلاة - الزكاة - الصوم - الحج والتقديس

③ الحالة الراهنة أي كانت ومرتبطة بمجرى الحديث إلى الله مثل الحرب مثلاً وأن الله لا يرضى بها

④ أحاول أن أوجه أسئلة مثل لماذا يعيش الإنسان تعيس أولا يشعر بالسلام ومحاولات الانتحار وصلت أن يرجع لفقدان السلام

⑤ أحكي له عن اختباري عن مقابلتي الشخصية ليسوع الحي الوحيد الذي يسكن بالقلب ويقيم علاقة مع من يطلبه



هذا، وقد تم رفع الأسماء من على ورقة الاجابة، حفاظًا على السلوك الإنساني الراقي، إذ لم تدم معرفتنا الخنفشارية إلا فترة المؤتمر فقط لا غير.

صحيح أننا كنا في تلك الفترة في هذا الخندق، وكنا نتعلم سويًا من نفس العيون، والآبار المسممة بأعاصير رديئة. والمفخخة بأبجديات صراع ديني لا ينتهي في المنطقة، ولكن ذهب كل واحد منا إلى حال سبيله.

ليس ثمة أي مشكلة لدى الباحث من عمل هذه الدراسات، والمقارنات، والأبحاث عن الإسلام، وبين الإسلام، والمسيحية، ولكن أسلوب العمل في هذه الندوات، والكلام المتناقل أثناء المحاضرات، والنكات، وروح البث الطائفي لا يساعد بأي حال من الأحوال على بناء أسلوب من المحبة كما دعا إليه السيد المسيح وبحسب النصوص الكتابية المسجلة لدى جميع المسيحيين.

ولم يقتصر الأمر في التدريب على رؤساء الطوائف الروحيين فحسب(١)؛ وإنما تعدى الأمر ذلك بكثير، وهذا ما سوف نكتشفه في المبحث القادم.

متدربة رئاسة الجمهورية

كنت أجلس ذات يوم مع رئيس احدى كليات اللاهوت في الشرق الأوسط (غ. خ.) عندما دخل علينا رجل أعمال مصري (م. ف.). وبعد حفلة التعارف بيني وبين رجل الأعمال المصري هذا، بدأ يتحدث مع صديقه (غ. خ.) عن ترتيبات الدورة التدريبية التي ستُقام في دير سيدة الجبل، وإن كان باستطاعته (أي غ. خ.) كرئيس لكلية لاهوت، وله باع طويل في التعامل مع هذه الشئون، أن يُرشح له بعض أساتذة اللاهوت المخضرمين في هذا العمل من أجل اعطاء دورات تدريبية مكثفة.

لقد لفت انتباهي في حديث السيد (م. ف.) قوله "أساتذة لاهوت مخضرمين"! ومخضرمين على ماذا؟! وأنا الذي أدَّعي بأنني قد أمضيت جزءًا كبيرًا من وقتي في الأبحاث، والدراسات، والخوض في تفاصيل فلسفة، ولاهوت الأديان! عرفت بعدها أن مثل هذه الدورات مألوفة لديهم، وهي عادية جدًا لمن هم يريدون التدرب على كيفية مواجهة المسلمين، بل، وتبشيرهم بطرق عملية، وناجحة. كما يشمل التدريب مساعدة المتدربين على مقاومة الأفكار الإسلامية الرائجة، والتدرب على رفضها، ومكافحتها، والدفاع عن العقائد المسيحية ضد موجات الإسلام، والمسلمين!

غالبًا ما تُقام هذه الدورات خارج أرض الوطن، وبعيدًا عن بلدان المتدربين، وفي دول مثل: لبنان، وقبرص، ولندن، وغيرها من البلدان التي يمكن التحرك فيها بسهولة، ويُسر من دون أعين الرقابة، ولا أجهزة الحكام البوليسية التي باتت تتجسس على كل شيء حتى أوشكت أن تعد نفس المواطن العربي أو المسلم في اليوم والليلة كم كانت! وهذه الأماكن تُساعد المتدربين أيضًا على أن يقضوا وقتهم في سلام، ومن دون جلبة أو متاعب تُذكر.

تلقيت دعوة من تحت اللسان كما يقول العارفون؛ ولكنني التقطها في حينها، وتمسكت بها لحرصي الشديد على معرفة كل جديد في هذه الحقول، وسبر أغوار هذه الميادين.

مرت العشرة أيام للدورة ببطئ شديد، ومتثاقلة شأن كل الدورات التدريبية المكثفة لا سيما أنها جاءت في وقت العطلات الصيفية، وما أدراك ما العطلات الصيفية! إنه الصيف لمن هم يطلبون الراحة أو الاستجمام بين أحضان الطبيعة

الخلابة.

صحيح أن دير سيدة الجبل في أدما يوازي في تصميمه أرقى الفنادق السياحية الفاخرة ذات الخمس نجوم. ويُعادل في جوه، وجودته، وخدمته الراقية، ومرافقه الممتازة كل متعة. ولكن الدورات التدريبية المكثفة هي التي عكرت جو المتعة، والاستجمام. فلا راحة لا سيما أن نظام المحاضرات، والتدريبات، وورشات العمل كانت في قلب منظومة البرامج الصباحية، والبرامج المسائية. لقد سمعت أحد المتدربين، وهو يتمنى لو أن بإمكانه أن يمكث ولو لثلاثة أيام أخرى من دون أي دراسة أو تدريب ما خلا الاستجمام، والراحة فقط لا غير.

كان كل شيء عادي جدًا بالنسبة لدورة تدريبية، ولكن ما لفت نظري أن أحد السيدات والمتدربات في هذه الدورة وتُدعى (م.)، كانت قلقة بعض الشئ، ومتخوفة من شيء ما!

كانت السيدة (م.) تعمل في قسم العلاقات العامة برئاسة الجمهورية. آه، لقد فهمت الآن، والآن فقط سبب توترها؛ لأنها قد ادَّعت بأنها ذاهبة إلى الجمهورية اللبنانية من أجل السياحة، والاستجمام، وها هي تتورط في الإلتحاق بدورة تدريبية غير عادية! لم يكن هذا شيء عادي بالنسبة لي، ولا بالنسبة لكثير غيري، فهو نوع من الغش والخداع. هل أنا على صواب في قول ذلك؟!

ولأجل أن أصدقك القول عزيزي القارئ، لقد تفاجأت بمثل هذه السلوكيات التي تصدر عن متدربة رئاسة الجمهورية!

فما الذي يجعل شخصًا ما يُقدم على الانخراط، والتسجيل في دورة تدريبية مكثفة لمدة عشرة أيام بمعزل عن نوعية هذه الدورة بدلاً من أن يذهب للتنزه، وللتسوق، وللاستجمام بين الخضرة، والماء، والوجه الحسن؟ ولماذا أقدمت متدربة رئاسة الجمهورية على هذا العمل، وأخفته حتى عن أصدقائها في العمل؟! ولماذا تُقدم مثل هذه السيدة على الكذب، والادعاء بأنها سافرت من أجل السياحة، وقد أمضت كل وقتها في سماع المحاضرات، والتدرب على المواجهة، والاختراق، وورش العمل بما فيها من استنزاف لأفكار المتدربين؟!

هل هذا يعود إلى قلة الحريات الممنوحة للمواطن من قِبل الأنظمة الحاكمة في منطقة الشرق أوسط العربي الكبير، ونقصد بالشرق أوسط العربي الكبير كلاً من سوريا، والأردن، ومصر؟! وهل فعلت هذه المتدربة ما فعلت لكونها مسيحية، وقد تشربت أبجديات الصراع الديني منذ نعومة أظافرها مع حليب، ورضاعة الأم .. ناهيك عن الكنيسة، والمدارس الخاصة، ومدارس الأحد! وهل كان سيُسمح لمسلم أن يذهب خلسة إلى المملكة العربية السعودية أو إلى طالبان ليتلقى تدريبًا مشابهًا، ولو كان هذا التدريب فكريًا نظريًا، وبعيدًا عن سياسة العنف، والقتال؟! وماذا يحدث لو أن رئاسة الجمهورية اكتشفت هذه المتدربة، وما قامت به في عطلتها الرسمية؟! وعلى الأرجح أنها لم تكتشف ذلك طوال هذه المدة! وأين أجهزة المخابرات الفزة العملاقة التي تتلصص على فقراء المسلمين، وأغبياء الأديان الإبراهيمية ثم تقوم بزجهم في السجون، بعد أن تكون قد روجت عنهم تهم باطلة؟! لماذا لم تتحرك هذه المؤسسات! ربما تحركت، وقد تم فَصل المتدربة (م.) من مكتب العلاقات العامة في رئاسة الجمهورية المصرية؟! لا أعرف لماذا. ولكن أراني أعرف أمرًا وحدًا لا غير، وهو أن الدين هو بضاعة الصلف، والكذب، والتدليس، وأن الأقوياء يُتركون، والضعفاء، والضعفاء فقط هم وحدهم الذين يُهانون، ويُضربون، ويُشتمون!

هل هذه الأعمال تعود إلى روح الكراهية، والتصارع، والصراع الديني في المنطقة. مع فقدان الحرية في التعبير نتيجة لقلة الحريات، وكثرة الدكتاتوريات في عالمنا العربي؟! وهل هذا يعود فعلاً إلى بضاعة الصلف، وقذائف الباطل التي تتسم بها أبجديات الصراع الديني؟!

قد يكون كل ذلك مجتمعًا. لا يهم على اية حال؛ وإنما ما يهم المواطن العربي من وجهة نظري المتواضعة أن يعرف هؤلاء الأشخاص أصحاب الخطط الخنفشارية أننا نريد أن نعيش في سلام، وكثير من المواطنيين العرب يرفعون شعار "دعوني أعيش" هل هذا كثير؟!

إنها دعوة للتفكير بجدية من أجل التخلي عن مثل هذه الممارسات، ووضع أدوات الصراع الديني في المنطقة في قمقم المارد، وختمه بخاتم الحرية، والسلام من أجل الجميع، وليس من أجل الطبقة الحاكمة فقط، ويذهب أعدائها إلى الجحيم. ثم

نقوم برمي هذا القمم بما فيه من أوساخ في جب مارد الليل الجبار، وغلقه بسبعة ختوم، وطرحه في بحر النسيان. وألا يُحاول أي طرف أن يشتاق إلى النظر لوجهه العكِر، ولا لإعادة جدولة الصراع الديني أو المذهبي من وقت لآخر بحسب أهواء البعض؛ لأن الخسارة في هذه المرحلة ستكون على رؤوس الجميع. إن الجنس البشري لم يعد يتحمل صرخات المظلومين، والمعطوبين من هابيل عليه السلام إلى محمد المسكين الذي لقي حتفه في ساحة مطرانية ملوي على أيدي الغوغائية من عبدة الأديان، وسماسرة الطائفية، ودجالين المحبة الزائفة، وتجار الموت، والإرهاب السماوي!

لم يعد الجنس البشري يحتمل صرخات المظلومين، والمقهورين، والمضطهدين، وصرخات الفقراء، والمحرومين، والمهمشين، وصرخات الدراويش، والبسطاء أمام نقيق رجال الدين من المسلمين، والمسيحيين!

إنها صرخة كل إنسان يريد أن يعيش بسلام بعيدًا عن صراعات الأديان الإبراهيمية، وبضاعة الصلف هذه! إنها صرخة كل طالب للحرية يقول فيها "دعوني أعيش"!

ومن أجل مزيد من التعرف على هذه الخطط الخنفشارية؛ لنقرأ بعناية المبحث القادم، وهو يوضح أكثر الصورة التي آل إليها الوضع، والأساليب المستعملة في تحقيق الصراع.

الشـــــيعة في قلب الدورات التدريبية!

كانت لي الفرصة للإلتحاق ببعض الدورات التدريبية المتخصصة فقط في تبشير المسلمين الشيعة، ولا أعرف لماذا الشيعة على وجه التحديد؟!

هناك تخصصات في التبشير! فهذا متخصص في تبشير الشيعة، وثان متخصص في تبشير السنة، وثالث متخصص في تبشير الدروز، وهكذا دواليك! ليس هذا على مستوى الأفراد فحسب؛ وإنما هذا العمل أيضًا تقوم به مؤسسات، وجمعيات كنيسية، وتموله بعض الدول الحاقدة على الإسلام، والمسلمين! كـ: الحملة الجامعية للمسيح المعروفة بـ: "الكامبس كِروسيد" camps crusade أي الحملات الصليبية والتي مركزها الرئيسي في فرنسا. وقد استطاعوا تحريف أسم الجمعية من "الحملات الصليبية" إلى "الحملة الجامعية للمسيح"! وهذه المؤسسة متخصصة فقط في تبشير طلاب الجامعات لا سيما في الشرق الأوسط.

والإرسالية المعمدانية التي مركزها الرئيسي الولايات المتحدة الأميركية والمتخصصة بصورة رئيسة في تبشير المسلمين لا سيما في الخليج، وفي منطقة الشرق الأوسط!

ومؤسسة الـ: kings kids المتخصصة في تبشير أطفال المسلمين فقط!

ومؤسسة الـ: youth for Christ وهي مؤسسة، ومنظمة متخصصة في تبشير الشبيبة لا سيما من أبناء المسلمين.

ومؤسسة الـ: frontier المتخصصة في تبشير المسلمين في أماكن الصراعات، والنزاعات المسلحة!

لم تترك هذه المنظمات المدعومة من بعض الدول شيئًا للمسلمين إلا وقامت بغزوه بحملاتها الصليبية! حتى مؤسسات الـ: SOS لم يتركوها في حالها، بل أرادوا تبشير أولاد المسلمين الفقراء، والأيتام عن طريقها كما يفعلون في مراكز كثيرة للأيتام يُطلقون عليها "دار الأولاد" حيث يتخرج الطفل منها عملاقًا في اللاهوت المسيحي، ولا أعرف إن كان عملاقًا في عمل الخير للجميع من دون تمييز. أشك في ذلك؛ لأن هذه المؤسسات تزرع في عقول الأطفال التمييز منذ الصغر، وتؤسس في

خلاياهم أبجديات الصراع الديني لتحولها من خلايا حية إلى خلايا سرطانية مميتة!

إن المنظمات، والمؤسسات التبشيرية المسيحية كثيرة جدًا بحيث بات من الصعوبة بمكان إحصائها، وهي كلها متخصصة في تبشير المسلمين. ناهيك عن المؤسسات التي تأتينا من وراء البحار كـ:OM, WEC, YOT، وكلها تريد مواجهة الإسلام، والمسلمين! وغيرها من المؤسسات، وماذا عن الإرساليات الدولية كـ: الإرسالية المعمدانية، وإرسالية جماعة الله، وإرسالية خلاص النفوس، وإرسالية كنائس الله، وإرسالية اليسوعيين، وإرسالية الفرنسسكان، وإرسالية القلبين الأقدسين، وغيرها من الإرساليات!

ولا أبالغ إن قلت إنها بالمئات؛ لأنني قد ساقتني الأقدار في يوم من الأيام لحضور مثل هذه التجمعات، وهي نادرة في الوقت الراهن بسبب الظروف الأمنية. ولكن منذ عدة سنوات كان هناك مؤتمر كبير لمدة ثلاثة أيام في هولندا ضم المئات من هذه المؤسسات التبشيرية التي كان هدفها تبادل الآراء والأفكار مع نظرائها من المؤسسات التبشيرية الأخرى، وقد حضرها عدد مهم، وأسماء لا معة في حقل العمل المسيحي.

وعندما تعرفت لأول مرة في حياتي على مثل هذه المؤسسات، تصورت أن العالم كله سيتحول إلى المسيحية خلال عشر سنوات مع كل هذه الامكانيات الضخمة، والأموال التي تُرصد من أجل مثل هذه الأعمال، ولكن هذا لم يحدث. ناهيك على مئات الآلاف من الدولارات التي تذهب في طباعة الكتيبات الصغيرة، والنبذ، وهي أوراق تُوزع بالمجان، وتكون مكتوبة بعناية، ودراسة فائقة من أجل دعوة المسلم إلى التنصر، ودخول المسيحية.

أموال طائلة تُصرف في مثل هذه الأعمال، ولا دولار واحد يُدفع إلى محتاج من أبناء المسلمين! إنها بضاعة الصلف، وتجارة الموت، إنها صراعات الآلهة أو هم من يدّعون الألوهية!

إن النص الإنجيلي يقول: "الحصاد كثير، ولكن الفعلة قليلون" ويعني هذا النص أن من يريدون الدخول إلى النصرانية كثر؛ وإنما لا يوجد عدد كفاية من الأشخاص

الأكفاء، والمدربين القادرين على مساعدة هؤلاء المتنصرين من أجل الدخول إلى حظيرة المسيحية.

ولهذا يطالبهم يسوع المسيح أن يسألوا رب هذا الحصاد أن يُرسل فعلة لهذا الحصاد أى المتنصرين. كان هذا الكلام أيام السيد المسيح عليه السلام، فهل تغير الوضع اليوم بعد أن بات الفعلة كثيرون، والحصاد هو القليل؟! ولماذا لا يسأل المسيحيون أنفسهم هذا السؤال: أين العطل، والخلل، والثغرة في المؤسسات المسيحية التبشيرية بعد إنفاق كل هذه الأموال الطائلة من دون عائد يُذكر سوى مئات قليلة من المسلمين الذين تحولو إلى النصرانية، ولظروف خاصة بكل منهم، يمكن تقديم دراسة حولها إن تطلب الأمر ذلك في الكتابات المُقبلة. أين الخلل، إذًا؟

الفعلة من المسيحيون (المبشرون) كثيرون أما الحصاد فهو قليل جدًا مقارنة مع كل هذه الامكانيات الجبارة المسخرة في الهجوم على الإسلام والمسلمين في بقاع الأرض!

عشرات آلاف الأوروبيين، والأميركان، والكوريين، والعرب في مرحلة متأخرة جدًا، موزعين جميعًا في بقاع كبيرة من العالم الإسلامي بما في ذلك باكستان، وماليزيا، وقد دخل هؤلاء المبشرين إلى تلك البلدان بتأشيرات للدراسة أو السياحة أو الأعمال التجارية، هذا بخلاف المدارس، والمؤسسات التعليمية الخاصة، والمؤسسات الصحية، ومؤسسات الخدمات الاجتماعية، وغيرها من الأساليب المعروفة التي تُدَّرس في معاهد خاصة!

إنها بضاعة الصلف المتخصصة في كل شيء، والمؤثرة في لا شيء!

جاء وقت الدورة التدريبية المكثفة الخاصة بالتدريب على مواجهة المسلمين الشيعة، وتنصيرهم!

إن الذي لفت نظري في هذه الدورة أمران هما: أن المشرف العام المولج بالإعداد لهذه الدورة كان أميركيًا، ويُدعى (ك. م.).

أما الأمر الثاني، فهو أن أحد الأساتذة الذي أتى خصيصًا من مِصر، وقالوا عنه إنه خبير، ومتخصص في مواجهة، وتنصير المصريين، وهو شاب صغير السن!

لم يكن الأمر عندي له علاقة بالعمر؛ وإنما بما سوف يقوله هذا الشاب لا سيما أن الشيعة ليست بطائفة كبيرة في القطر المصري!

كان هذا الشاب بارعًا في العزف على بعض الآلات الموسيقية. وكان يدرب الحضور على كيفية مواجهة المسلم، وتبشيره من خلال خبراته، وتجاربه الشخصية لعدة سنوات.

لقد أحضر هذا الأستاذ معه بعض الصور، وهي صور عادية، التقطها بكاميرته الخاصة أثناء حفلة عيد ميلاد ابنه الصغير الذي لم يتجاوز السنتان. ثم بدأ يُدَرِّب الحضور على وسائل التبشير، ويروي لهم كيف أنه يدعو بعض المقربين له في العمل أو جيرانه من المسلمين من أجل إحياء حفلة عيد ميلاد ابنه أو إحياء حفلات خاصة بمناسبات مختلفة، وتكون غالبًا في داخل المنزل. ثم يضع الحضور أمام الأمر الواقع، ويُفهمهم أن طريقة الاحتفال لديهم تكون عن طريق عزف بعض التراتيل - أغاني مسيحية -، فينصاع الحضور في أغلب الأحوال لرغبة صاحب البيت لاسيما أنهم أصدقاء.

ثم أخبر المتدربين في الدورة كيف أن بعض الحضور في بيته تعودوا على مثل هذه التراتيل، وكانوا يطلبون السماع إليها في أوقات لاحقة، وهكذا يكون المدخل، وباب من أبواب التنصير، هللويا كما يقول أستاذ هذه المادة الخبير. وهللويا يعني حمدًا لله في لغة التوراة العبرية، فيرد عليه الحضور بالقول: هللويا؛ وكأنهم نجحوا في اسقاط عاصمة العراق بغداد للمرة الثانية في التاريخ الحديث كما أسقطها المغول في التاريخ الوسيط (١٢٥٦).

وهناك أساليب، وطرق كثيرة، ولكن ما استوقفني منها، طريقة شرح الاستاذ السخيفة، والمستهجنة من قِبلي طبعًا، عندما خاطب السيدات اللائي حضرن الدورة بالقول: هل تعرفين كيف تدخلين إلى جارتك المسلمة؟ "أذهبي لجارتك المسلمة، وقدمي لها الطبيخ الحمضان اللي انتي مش عايزه تاكليه! وهي أكيد سوف ترد لك هذا الطعام بأفضل منه، وهكذا تستطيعين الدخول إلى قلوب المسلمات، وأنتى ريحانة!"

ثم عرض على الحضور بعض صور لمصريين، ومصريات تحولن إلى المسيحية. وفي هذه الصور المعروضة لم أرَ شيئًا غير عادي. إنها صور قد ألتقطها المحاضر

أثناء وجوده في مصر لأصدقاء، وجيران في جو عائلي وهم يضحكون، ويصفقون أو يلعبون، وربما لا يدرون أن صورهم سوف تذهب خارج اسوار الوطن أو حتى يمكن التلاعب بها!

يبدو أن ملامح الاستهجان كانت واضحة جدًا على تفاصيل وجهي؛ لأن المسئول عن الدورة التدريبية استدعاني في صباح اليوم الثاني، وطلب مني الرحيل، ومغادرة الدورة التدريبية، وكانت حجته في ذلك أن الأعضاء المؤتمرين لا يرتاحون لوجودي معهم!

إنها بضاعة الصلف، والغش، والدجل، والاحتيال على أبرياء لا يعرفون شمالهم من يمينهم!

هذا، وليس كل المدربين مثل صاحبنا هذا؛ وإنما هناك كثير من المبشرين، والمدربين المتخصصين فعلاً في الشئون الموكلة إليهم. فمنهم من يشرح لك بكل دقة ما الذي يمكن أن يضايق الشيعي؟ وما هي المواضيع التي يُفضل التحدث فيها، وكيف يمكنك الدخول إليها؟!

وفي النهاية كلها قصص متشابهة كما سنبينه في المبحث الآتي.

فاطمة الشيعية لم تكن تعرف!

فاطمة فتاة شيعية من جنوب لبنان. ألتقت ذات يوم بمبشر من المبشرين الماكرين، المخادعين، والمراوغين في آن. ويبدو أنه من النوع الذي يُتاجر ببضاعة الصلف من أصحاب الأديان الإبراهيمية.

لم تكن فاطمة الشيعية تعلم أن "زكريا" ليس اسمه الحقيقي؛ لأن بعض المبشرين قد دأب على تغيير أسمه، وحتى لون جلده إن اقتضت الحاجة بحسب أعرافهم الخنفشارية التي تُدَّرس، وتُعلَّم في بعض المعاهد المتخصصة في هذا النوع من العمل!

قدمت فاطمة البنت الشيعية قرآن المسلمين باللغة الإنكليزية هدية لهذا المُبشر من دون أن تعلم بأنه مبشر!

ماذا فعل هذا المبشر بقرآن فاطمة؟

لم يتحمل حتى وجوده معه؛ لأن بعض أنواع المبشرين يعتقدون أن في قرآن المسلمين أرواح شريرة، وشياطين، وسحر يمكن أن تؤثر عليهم إن هم حملوه أو قرأوه! وهذه التعاليم، والإيمان الراسخ لديهم جاء نتيجة التربية الخاطئة في المقام الأول، وبعض الدراسات اللاهوتية التي تُدَّرب أتباعها على مثل هذه المعتقدات.

لذلك سارع زكريا، وقدمه إلى مكتبة لاهوت جامعية، متخلصًا منه، وطبعًا فاطمة البنت الشيعية البريئة التي ربما قد تكون وقعت في حب هذا الشاب، لا تعلم، ولا تعرف شيئًا عن كل هذه القصص!

**هذه صورة لغلاف القرآن
الذي قدمته فاطمة
إلى المبشر المسيحي
من دون أن تعرف كل هذا**

أرجو أن لا يُفهم من هذه الكتابات أن الباحث يُناصب العداء لطرف على حساب طرف آخر أو أن الباحث هو عدو بالمطلق لكل آلة من آلات تبشير المسلمين، ولا هو عدو في آن لكل دعوة من حقول الدعوة في الإسلام .. لا، ليس هذا، ولا ذاك؛ وإنما أردت أن أعرض الحقيقة، وأبين سلوك أصحاب الديانات الإبراهيمية لا أكثر، ولا أقل.

إنها صراعات لا تنتهي، ولا بد أن يكون كل هذا من أبجديات الصراع الديني، ومن قذائف الباطل التي لا تنتهي، ويطلقها كل طرف على الآخر مدعيًا بأنها قذائف الحق، والعدل، وحب الإنسان لأخيه الإنسان!

من أجل هذا رأيت أن نقرأ معًا المبحث الآتي؛ لأنه يعرض لهذه البضاعة، وكيف يستعملها أصحابها خارج أرض الوطن؛ وربما من دون علم أصحابها، يستعملونها من أجل الشهرة، والدعاية، والتنصير!

ملائكة البروتستانت .. وشياطين عادل إمام!

في أحد المؤتمرات الكنيسية السنوية التي يُستدعى إليها بعض الشخصيات الدينية اللامعة، والمشهورة من أجل أن تخاطب الجماهير بكلمة الحياة أي كلمة خلاص النفوس بيسوع المسيح.

جاء المتكلم (أ. س. ز.) في حديثه على ذكر شخصية الممثل المصري المشهور عادل إمام! فاسترعى انتباهي ما سيقوله عنه.

روى المتكلم لجمهور المستمعين كيف أن عادل إمام بعد تمثيله فيلم عن الشياطين، ونتيجة للأعمال التي قام بها في هذا الفيلم، فقد سكنته مجموعة كبيرة من الشياطين، والعياذ بالله. وبسبب هذه الأرواح الشريرة .. الشياطين (اللاجئون)، كان عادل إمام يصرخ كل يوم من الرعب، والعذاب، والألم.

ولم يكن يعرف هذا الممثل الشهير طعم النوم في حياته حتى جاء اليوم الذي أقدم فيه عادل إمام على استدعاء أحد الشخصيات الدينية المسيحية المشهورة في معالجة مثل هذه الأمور إلى منزله الخاص. وقام رجل الدين المسيحي (القس البروتستانتي) بإخراج هذه الشياطين من عادل إمام بعدما سمع صوت الاستغاثة، والاستعطاف من هذا الأخير.

وقد بذل القس كل ما في وسعه كما طلبوا منه ذلك، واستطاع أن يطرد هذه الشياطين الشريرة من جسد هذا الممثل الشهير!

هذه القصة قد تبدو غريبة بعض الشيء؛ وإنما هي قصة عادية مثل آلاف القصص العابرة التي تخرج علينا كل يوم من المعمدانيين البروتستانت!

إن الذي لفت نظري، واسترعى انتباهي في رواية القس المعمداني (أ. س. ز.) أنه كان يرددها، ويكررها على مسامع الجمهور في كل مكان ذهب إليه في تلك الفترة. وقد دأب على تكرار روايته لهذه القصة في تجمعات مسيحية ذهب إليها لاحقًا!

فاستوقفني هذا العمل لا سيما إنني باحث، ودارس مستقل دأب على تحليل الظواهر، والسلوك الإنساني في المجتمعات الدينية من أجل الوقوف على خلفية أبجديات الصراع الديني.

حاولت الحصول على الشريط المسجل بصوت هذا الراعي، وقد كان لي ذلك بعد جهد جهيد.

إن هذه المشلكة تتعلق برأيي المتواضع بأمرين هما:

١) استخدام الاشاعات الكاذبة في الصراع الديني: وسيلة من وسائل الدعاية البرغماتية الرخيصة التي يستعملها بعض المبشرين المسيحيين من أجل استجلاب أكبر عدد من الأتباع إلى طوائفهم!

وسائل رخصية استخدمتها بعض الكنائس للوصول إلى هدف آخر، ومدى أبعد، وأطول مما هو عليه في الوقت الراهن بحسب نشر مثل هذه الخزعبلات! كيف؟

كان يُروج على سبيل المثال لا الحصر أن أحد مشايخ الأزهر السابقين بعد وفاته طبعًا! أن الرئيس محمد أنور السادات قد استدعى شيخ الأزهر هذا إليه ثم أبلغه أنه قد علم بتنصره، وإرتداده، وتحوله إلى المسيحية ثم خيره بين ثلاثة أمور: إما العودة إلى ما كان عليه قبل التنصير أو الحبس، والفضيحة أو الذهاب خارج أرض الوطن. فاختار شيخ الأزهر النفي خارج الديار المصرية، وقد كان له ذلك!

هذه القصة معروفة في بعض الأوساط المسيحية، ويأخذها بعض المسيحيين على أنها مسلمة، وقصة حقيقية لا سيما أن أصحاب القصة، والرواية قد توفاهم الله!

هذه طريقة أخرى في الدعاية والتنصير؛ بحيث يُلصقون المسيحية ببعض الشخصيات الهامة أو المشهورة من أجل تأثر الآخرين بهم! لهذا رأيت أن أسجل كل هذه النقاط.

٢) استخدام التدليس: إن هذا يعني استخدام أسماء شخصيات مشهورة لوضعها على كتابات منحولة كما حدث مع اسكندر جديد، وهو متنصر سوري عاش في ألمانيا لمدة من الزمن. وقد كتب هذا الأخير كتابات كثيرة يناهض فيها الإسلام، ويناصبه العداء، وكتيباته تُعد من الكتيبات الممنوعة في البلدان ذات الطابع الإسلام أو العلمانوإسلامية[1] .

---

(١) راجع كتابنا الذي يتحدث عن هذه المصطلحات، وهذه المفاهيم: عمر، جمال، *فلسفة الإرهاب ومؤسس العمليات الاستشهادية*، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ص: ٣٥ – ٣٧ .

الغريب في هذا الأمر أن الرجل قد مات، وشبع موت كما يقول المصريين؛ ولكن ما زالت آلة الطباعة السرية تُصدِّر بعض الكتابات على أنها صادرة عنه، وقد كتبوها باسمه، وتدَّعي بأنه قد كتبها قبل أن يموت.

إنها طريقة من طرق الكتابة، ونوع من أنواع، وأساليب المبشرين الجدد، والأقلام الصفراء من دون وضع اسمائهم الحقيقية ثم يختارون أسماء وهمية أو أسماء لمشاهير في تاريخ الصراع الديني الطويل، ويلصقونها بهم، وليس آخرها ما كُتب تحت عنوان "الهرطقة المئة" ونُسب زورًا وبهتانًا إلى القديس يوحنا! وهو منه براء بإجماع آراء الباحثين، والمفكرين العاملين في حقل اللاهوت المسيحي.

لذلك استوقفني هذا الكلام المسجل بلسان القس المعمداني (أ. س. ز.) عن شياطين عادل إمام أطال الله في عمره. ولا سيما أنه يُحتمل أن يُشاع بعد موت الرجل بعد عمر طويل أنه قد أسلم حياته إلى المسيح بعد خروج الشياطين منه على يد القس البروتستانتي، ودخول روح يسوع المسيح فيه أي الروح القدس المعروف عند المسيحيين البروتستانت! فتكون اختلاق الروايات والقصص الخنفشارية في نهايتها أشر من بدايتها!

هل يمكن بعد عرض هذه النماذج على القارئ الكريم نفي ظاهرة وجود بضاعة الصلف، والغش، والتدليس في جعبة الديانات الإبراهيمية؟! هذا ما سوف نتأكد منه أكثر عند مطالعتنا للفصل الثاني من هذا الباب.

الفصل الثاني

الأديان بضاعة الصلف

هل الأديان هي بضاعة الصلف؟ ومن المسئول عن استعمال الدين كسلعة تجارية تُباع، وتُشترى في الأسواق العربية، والإسلامية، وحتى في أسواق النخاسة الغربية الأوروبية، والأميركية البروتستانتية .. بأرخص الأثمان؟! ولماذا يُروج للدين على أنه المنقذ، والمخلص للإنسان من مشاكله، وفقره، وهمومه، وقهره تمامًا كما يُروج للسلع التجارية الرخيصة القدر من الكوكايين، والهيروين، والبانغو، وغيرها من بضاعة، وتجارة الصلف؟! وهل الدين هو أفيون الشعوب؟! وكيف يدّعي رجل الدين، والمتدين، أنهما على حق، وهما يسيران في الطريق المعاكس، وينتهجان سبل معوجة، ويمارس كل منهما الغش، والكذب، والنفاق، وشعارهم الأوحد في هذه الحياة "كونوا حكماء كالحيات"! وقد نسوا أو تناسوا أن يكونوا "ودعاثًا كالحمام"، مع أن بعض الحمام شرش جدًا، وينقر ضحاياه من المارة كما حدث في لندن مؤخرًا أو ينقر بعضه البعض إن لم يجد ما ينقره من فريسة!

يُروى أن أسرة صغيرة كانت تعيش في ألمانيا، وتذهب كل يوم سبت للصلاة في الكنيس - المعبد اليهودي -، وهو دور العبادة عند اليهود؛ لأنهم كانوا يهودًا. وقد كان رب الأسرة هذه يعمل في التجارة. ثم مرت الأيام، وتغير مكان إقامة الأسرة، وانتقلوا لظروف ما للعيش في دسكرة من دساكر العاصمة الألمانية. وذات مساء، قال الأب لزوجته، ولأولاده: "يوم الأحد القادم سوف نذهب إلى الكنيسة للصلاة"! ارتسمت علامات التعجب على وجوه هذه الأسرة الصغيرة من هول ما سمعوا، وتعجبوا من قرار رب الأسرة الفجائي، والانتقالي من دين إلى دين آخر! وفي غمرة تعجبهم هذا أردف الأب قائلاً، لا يوجد في هذه القرية معبد يهودي، كما أن تجارتي تتطلب مني الذهاب إلى الكنيسة وليس الكنيس من أجل التعرف على الآخرين! وكأن الأب قد قرأ سؤال أولاده عن سبب هذا التغير الفجائي، وبادرهم بالإجابة التي قسمت ظهر

الإيمان اليهودي الذي تعتنقه هذه الأسرة أبًا عن جد!

ومرت السنون، وتعاقبت الأحداث، والتحق الابن بجامعة من جامعات لندن الشهيرة، وكتب هذا الشاب كتابًا شهيرًا مدونًا فيه مقولته النجمية الساطعة "الدين أفيون الشعوب"، وعُرف هذا الشاب فيما بعد بإسم "كارل ماركس"، الزعيم الشيوعي الكبير، وذاع صيته في أرجاء المعمورة.

فهل الدين فعلاً هو بمنزلة أفيون الشعوب، ومخدرها، ومُفسد أخلاقها، وتجارة، وبضاعة الصلف لمروجيها؟!

ذات يوم، كنت أجلس مع رئيس جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، حيث كنت مساعدًا له في تلك الفترة. وكان يحدثني عن إزدهار الكنائس، ونموها في الشرق الأوسط، ولا سيما في الأردن، ومصر، والفضل في ذلك يرجع إلى سياسة "كونوا حكماء كالحيات". ثم قدم لي نموذجًا لهذه الحكمة، ومثالاً لتلك السياسة الخنفشارية العرجاء، وهي للأسف سياسة ناجحة في المدى المنظور!

لقد استطاع المسيحييون في حي الزبالين في مصر من بناء أكبر كنيسة في المنطقة لا بفضل سياسة اعطى ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، ولا بفضل سياسة اطاعة أولى الأمر من الحكام والسلاطين؛ لأنهم معينين من قِبل الله مباشرةً، وبسماح منه كما يضحكون على البسطاء السذج بهذه الآيات التي لا ترقى إلى التطبيق في وقت الحاجة، وقد كنت واحدًا من هؤلاء السذج! وإنما استطاع المسيحييون في حي الزبالين في مصر من بناء كنيسة كبيرة بفضل المساعدات المادية، والمالية الخارجية الجبارة، وبواسطة خطط سرية، وشديدة الاحكام، وكان العاملين على تنفيذها على قدر هذه المسئولية.

كانت العقبة أمام بناء كنيسة كبيرة في هذه المنطقة هو التصريح الذي يحصل عليه المسيحيون من الدولة. ولكن درج العرف في مصر على أن هذه العقبة يمكن تجاوزها، والإلتفاف حولها، وذلك عن طريق إقامة، وتشييد الكنائس في جنح الظلام، ومع حلول الليل، والقانون المصري عندما يكتشف هذا الأمر، يلزم الجميع ببقاء الحال على ما هو عليه، وعلى المتضرر اللجوء إلى القضاء، فتبقى الكنيسة في

عين من لا يريدونها.

أما العقبة الثانية في كنيسية حي الزبالين، فكانت في كيفية تفتيت الصخور الكبيرة، وتكسيرها من دون أن تأخذ الدولة بهذا الموضوع، علم وخبر أي أن تكون الدولة المصرية غائبة عن السمع أو تائهة في ضرب ضاحياها، وزجهم في سجونها الخنفشارية من دون وجه حق!

توصل أصحاب الرأي، والمشورة من العارفين المسيحيين إلى أن بناء كنيسة في مقطم القاهرة يحتاج إلى استعمال المتفجرات في تكسير الصخور وتفتيتها، ولكن كيف يمكن الهروب من الدولة، ومن ميليشيات الشرطة، ومن ميليشيات مباحث أمن الدولة بحسب ما يقول الراوي! وأن هذا العمل سوف يُعاقب عليه القانون؛ لأن البناء غير شرعي في بدايته، وصوت المتفجرات سوف يُلفت الانتباه أكثر فأكثر إلى طبيعة العمل، ومكانه. ثم يعرف الجميع أنه مشروع كنيسة سيقام هَهنا، وتَبطل القضية، ويَنتهي المشروع في مهده، ويوئد المشروع حتى قبل ولادته. فما هو الحل أيها السادة الأفاضل أدام الله ظلكم الوارف؟!

اقترح أصحاب الحكمة، والفهماء منهم أن ينتظروا حتى بداية شهر رمضان، ويتم التفجير كل يوم على مدار الشهر مع توقيت اطلاق مدفع رمضان المصري الشهير. وقد كان لهم ذلك، ومع اطلاق مدفع رمضان المصري المسلم الشهير كل يوم، كانت تتفتت صخور المكان لتتحول فيما بعد إلى كنيسة ذات صرح يضاهي صروح العظماء من الأباطرة، والرومان من نابليون بنوبارت عليه السلام إلى هرقل ملك الروم رحمه الله.

لقد تم إنشاء كنيسة كبيرة، وهامة في المنطقة، وصُرف عليها ملايين الجنيهات المصرية مدعمة بالدولارات الخارجية، والمسيحيون الساكنين حولها في حي الزبالين يعانون من الفقر المدقع، ويتضورون جوعًا، ولا يجدون حتى لحوم الحمير، والكلاب النافقة التي تُباع في الأسواق المصرية على أنها "حواوشي" بنصف جنية، يا بلاش!

لقد نسى أصحاب الخطط العمرانية الإنشائية أن السبت، والكنيسة، جعلهما يسوع المسيح من أجل الإنسان، وليس الإنسان من أجل الكنيسة، ولا من أجل السبت

كما هو يُمارس اليوم!

فهل الأديان من هذا المفهوم هي بضاعة الصلف، والغش، والتدليس؛ بينما يُروج أصحابها للمحبة كنوع من الخديعة أو الغش أو النفاق تمامًا كما يُروج تاجر المخدرات للبانغو، وأنواع الدعارة، والعُهر الرخيص؟!

ومن المسئول عن خداع الناس، وهل الخديعة، والخداع هما أسوأ ما في هذه العملية التجارية المحضة؟!

لا يقف الأمر عند هذا الحد؛ وإنما حتى الخصوصيات الخاصة للمتنصرين الذين ارتدوا عن الإسلام، وتركوا دينهم، لم يتركوهم في حال سبيلهم .. فماذا فعلوا بهم؟ هذا ما سوف نعرفه في المبحث الآتي.

عدم احترام الكنيسة لخصوصية المتنصرين!

لا شك في أن أعداد المتنصرين يزداد كل يوم في منطقة الشرق الأوسط، وفي المغرب العربي، وفي الخليج، ولسنا بوارد أن نفند هَهنا أسباب انتشار هذه الظاهرة، وإنما سوف نتناول الجانب السلبي منها فيما يختص بالكنيسة، ورجالاتها الذين يدَّعون المحبة الفائقة لهذه الفئة المتنصرة، والآتية إلى حضن إبراهيم من بعيد كما رجع الابن الضال، ولا يزال الأكبر ضالاً!

لماذا لا تحترم الكنيسة خصوصية المتنصرين، وتُعرضهم كل يوم للخطر من ملاحقات أمن الدولة إلى صنوف الاضطهاد التي يمارسها بعض الغوائيين من المسلمين الذين لا يعرفون عن الإسلام إلا القدر اليسير الذي تعرفه أنظمتهم، وحكوماتهم التوتاليتارية الكليانيةَ الشمولية الفاشية الظالمة، والفاشلة إلا في البطش، والقتل، والتنكيل؟!

سأذكر ثلاثة قصص توضح الفكرة، وتجلو الأمر، وتزيح الغمة، وتنير البصيرة؛ لعل العارف، الفاهم يفهم، ويعرف من دون سند أو إشارة.

كنت أشاهد أحد أشرطة الفيدو للمدعوة فاتن ... التي تحولت من الإسلام إلى المسيحية، وهي تروى للمشاهدين كيف تحولت من دين إلى دين، وما الذي جذبها من وجهة نظرها إلى دين المسيح؟ وكيف تفجرت قصتها في مصر كالصاعقة في ليلة نحساء غبرة ليس فيها مطر أحمر!

لقد قامت الكنيسة في بادئ الأمر بتسجيل شريط كاست بصوت فاتن، ووعدتها بأن لا أحد سوف يحصل على هذا الشريط، وأنه في مأمن داخل كنيسة جماعة المؤمنين، وهو في قلبها بمثابة القربان المقدس! فهل هذا ما حدث؟!

تفاجأت فاتن في خلال أيام معدودات بأن الشريط الذي سُجل بصوتها قد انتشر في أرجاء جمهورية مصر العربية بعد أن لف السبع لفات، وداخ من الهرج، والمرج، وسكن أخيرًا إلى قلب، وحضن الكنيسة الدافئ.

ثم توالت الأحداث، وكان أمرًا طبيعيًا أن تجد هذه السيدة متاعب جمة بعد أن كانت حياتها مستقرة، وتعمل كمديرة مدرسة. ثم بدأت تهرب من أقاربها، وأصدقائها، وجيرانها، وكل من تعرفه أو لا تعرفه؛ لأنها باتت مشهورة بالمفهوم السلبي للشهرة.

وقد روت هذه السيدة أيضًا في شريط الفيديو المسجل لها بالصوت، والصورة كيف أن الكنيسة ساعدتها بطرقها الخاصة، فما هي هذه الطرق الخاصة برجال الكنيسة الأفاضل؟!

هل هذا له علاقة بالشعار العظيم: "كونوا حكماء كالحيات"؟! نعم، لقد قام أحد الأديرة في الاسكندرية بتخبئتها؛ لأن الشرطة المصرية آنذاك، ولا سيما مباحث أمن الدولة الذي كان أحد اخوتها يعمل فيها .. كانت تبحث عنها في كل مكان، وهي المولجة أي مباحث أمن الدولة بمثل هذه الأمور للمحافظة على هيبة الدولة من المتنصرين الفارين من وجه رحمتها المباركة إلى تلابيب خرق بالية، وقد وزعت صورها على المنافذ الخارجية، والدولية كالمطارات، والموانئ المصرية.

ثم استطاع بعض رجال الدين المسيحيين أن يستخرجوا لفاتن جواز سفر مزور، ولكنه بطريقة قانونية لا يمكن ضبطه، كيف؟!

استخرجوا لفاتن بطاقة شخصية جديدة باسم جديد، وشكل جديد بعد مكياج سينمائي من المستوى الرفيع، وبناءً على هذه البطاقة الشخصية، تم استخراج جواز سفر لها من مصلحة الجوازات، وقد سافرت بهذه الخدعة إلى هولاندا بلد الحريات التي قامت سفارتها مؤخرًا بوضع أسماء أقاربها على لائحة الممنوعين من السفر إلى دولة هولاندا، وذلك للحفاظ على سلامة وأمن السيدة فاتن المتنصرة، هذا هو الفرق بين هولاندا، وما تفعله كنيسة الشرق الأوسط أو المغرب أو الخليج مع رعاياها من المتنصرين!

لقد بلغت الدقة في العمل إلى أن الضابط المسئول عن الجوازات في المطار لم يستطع التعرف عليها مع أن صورتها كانت أمامه بحسب التفاصيل التي روتها فاتن في شريط الفيديو لاحقًا.

وقد كانت تدَّعي بأنها أمية، وتضع في أرجلها شبشب مصري الصناعة، والمنشأ، وترتدي جلباب الفلاحة المصرية من دون ذكر بنت البلد!

هل هذا يُعد تدليسًا، وبضاعة الصلف؟ وماذا كان يتوجب عليهم فعله غير ما فعلوا؟ وهل التضييق على الحريات سبب رئيسي في انتهاج هذا السلوك من قِبل المؤسسات الكنيسية في مصر، ونحن على مشارف نهاية العقد الأول من الألفية الثالثة؟!

لقد تمكن بعض أولاد فاتن من زيارتها لاحقًا في هولاندا، وحاولت أن تجذبهم إلى المسيح؛ فهل نجحت في ذلك؟

حقيقة الأمر، أنه يمكن لأى باحث أو كاتب أو روائي أو صحفي أن يجد مبررات كثيرة لهذا العمل، ولهذه الأحداث، والوقائع من القصص المشابهة، ولكن هل يُعد هذا العمل بالمفهوم الكنيسي العام الحديث منه، والقديم قدم شاول الطرسوسي الذي تحول إلى بولس الرسول مؤسس المسيحية الحديثة .. هل يُعد هذا عملاً شرعيًا، وليس فيه أي نوع من التحايل على القانون أو التذاكي على الدولة التي يَدَّعي الجميع بأنهم مواطنون فيها، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم من الواجبات، والحقوق؟!

ولماذا يلجأ المواطن، ورجل الدين المعروف للقيام بمثل هذه الممارسات، وانتهاج مثل هذه الأعمال التي تتصف بالمكر، والخديعة، والاحتيال، وسياسة "كونوا حكماء كالحيات"؟!

وهل الدولة في مصر أو في دول المغرب العربي أو في دول الخليج مسئولة مسئولية مباشرة عن هذه الممارسات الشاذة، وعن هذا السلوك الأعوج الذي قد يكون فيه خلاص بعض الأنفس من مذابح الغوغائيين، وسطوة ميليشيات مباحث أمن الدولة في بعض الأنظمة الشمولية التوتاليتارية؟

ومتى يأتي اليوم الذي فيه لا يخاف المواطن العادي من القانون، ولا من رجال القضاء، ولا من رجال الأمن، ولا من ميليشيات العسكر في الأنظمة التي تأخذ تعليماتها من الرأس المدبر، وليس من النظام الديمقراطي الحر؟ ومتى تختفي الأنظمة التوتاليتارية من المنطقة التي تقوم بتلزيم العمل، والنشاط السياسي لحزب واحد أوحد يُعرف بـ: الحزب الحاكم، وبقية الأحزاب إما أن تدور في فلكه الإلهي وإما إنها بمثابة الديكور الذي يزين بها النظام الحاكم جدران هذه البلدان، ومعابدها من الخارج حتى تبدو صورتها، وزينتها جميلة، وهي من الداخل قبور نتنة! وهل نجحت هذه الأنظمة في التعتيم على ما يحدث داخليًا، وتصوير أنظمتها في الخارج على أنها بلدان ذات نظام ديمقراطية من دون أن يعرفوا أن "الديمقراطية هي توكيد لسيادة الشعب" كما هو مكتوب على جدار مجلس الأمة المصري؟!

هل البلدان العربية، والإسلامية بها كثير من الحريات، وقليل من الديمقراطيات أو بها كثير من الحريات، وكثير من الديمقراطيات أو تنعدم فيها الحريات، وتموت فيها الديمقراطيات، ولا مجال فيها من التداول على السلطة بأي حال من الأحول؟!

متى يأتي اليوم الذي لا يخاف فيه المواطن العربي من الدولة؛ وإنما يركن إليها؛ لأنها تحميه، وتعيد له حقه، ولا تسرقه أو تنهبه أو تبيعه للغير بأبخس الأثمان؟ متى يأتي اليوم الذي لا يخاف فيه المواطن من الأمن، ولا من العسكر، ولا من خفافيش الظلام، ولا أن يكون القضاء العسكري أو المدني سيفًا مسلطًا فوق رأسه، وسوطًا خبيثًا يُلهب ظهره؟!

وإذا كان الفساد يلف المنطقة، فمن هو القادر أو باستطاعته أن يحاسب تجار، ولصوص النصوص المقدسة، وسماسرة الأديان السماوية بعد أن أصبح الله، والعياذ بالله، ظل الحاكم، ورجل الدين في السماء بدلاً من أن يكون رجل الدين، والحاكم هما ظل الله على الأرض من حيث الصدق، والأمانة، وإعطاء الحقوق لأهلها؟!

لقد توقف العمل بشريعة قطع اليد إبان المجاعة التي حصلت بين المسلمين في شبه جزيرة العرب على عهد خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ﵁، فيما عُرف آنذاك بـ: "عام الرمادة"؛ لأن الجميع سقط تحت التجربة، ولا أحد معصوم منها، وهو استثناء لا قاعدة.

وتوقف العمل برجم الزانية عندما لم يجد المسيح عليه السلام، رجل عدل واحد لم يطاله الفساد، فالجميع قد فسدوا، وأعوزهم مجد الإصلاح!

فهل يتوقف العمل بقوانين الطوارئ أو العمل بنصوص بنود مكافحة الإرهاب بالإرهاب، والإرعاب؛ لأن الجميع قد سقطوا في فخ الانتقام، والأخذ بالثأر من دون التمييز بين الضحية، والجلاد أو التمييز بين الجاني والبرئ؟!

إنها قصة عدم احترام الكنيسة الشرقية أو حتى بعض الكنائس الغربية لخصوصية المتنصرين، وهو ما سوف نتأكد منه في مثالنا التالي.

متنصرة الجزائر

لنحاول أولاً أن نقرأ ما يرد في هذه الوثيقة حتى يكون الأمر سهلاً، ومفهومًا لدى القارئ بعد تتبع الأحداث، وتسلسل القصص، وتدرج مواقف الكنيسية بين المد، الجزر.

نظرة قريبة مع جويل



زهرة فتاة جزائرية الأصل ترعرعت ونشأت في فرنسا. إنها من خلفية غير مسيحية وآتية من عائلة كبيرة. لها أربع شقيقات مؤمنات ومن خلالهن تعرفت زهرة الى المسيح وهذا كان منذ حوالي الست سنوات تقريبا. إنها تشاء أن تعمل بحسب إرادة الله ومشيئته، الى أن الله بدوره فتح لها باباً للمجيء الى لبنان. إنها تشعر بمحبة قوية لهذا البلد لذا نراها تقطن عند عائلة العقاد وتعمل في ميتم الأرزة للبنات _ الأشرفية وكمعلمة للغة الفرنسية في مدرسة الـCTI. إنها تميل للعمل بين الأولاد حيث خصصت وقتها لهم. إنها تحب هذه الكنيسة وخاصة سماع الصلوات والترانيم العربية التي تراها غريبة بعض الشيء، كما وأنها تحب أن تكون محاطة من قبل الإخوة والأخوات الذين يتقنون اللغة العربية. إذا نظرنا جيداً نراها دائماً مبتهجة ومتشجعة للصلاة ونحن بدورنا فرحين جداً بوجودها في وسطنا. صلاتي لزهرة بأن يستخدمها الله أكثر بين الأولاد جالبة في طياتها الثمر الكثير.

وكما هو واضح من النص السالف الذكر، والذي يُقر بأن "زهرة" هي فتاة جزائرة قد تنصرت، وهي تعمل بالطبع بين أولا المسلمين فيما يُعرف بـ: "دار الأولاد"! وقد التقيت بها عدة مرات، ولم أكن أعرف عن هذه السيدة أو الفتاة شيئًا؛ لأنني أتبع سياسة عدم التدخل في شئون الآخرين ما لم يتدخلوا هم في شئوني الخاصة، والابتعاد عما لا يُعنيني. ولكن ذات يوم فوجئت وأنا أسير في الطريق ببعض الشباب، والفتيات التابعين لأحدى دور العبادة "الكنيسة" بما يُعرفون بـ: "شبيبة الكنيسة" يوزعون نُبذ، والمفرد منها "نُبذة" وهي أوراق صغيرة بها بعض الدعايات أو الإعلانات عن مكان العبادة، والصلاة، وصُدمت؛ لأن هذه النبذ كانت تُوزع في

الأماكن الإسلامية أي التي يغلب عليها الطابع الإسلامي من حيث كثافتها السكانية، ومظاهرها الاجتماعية! وتفاجأت أكثر عندما وقعت عيني على صورة هذه الفتاة المسكينة التي أنا أعرفها، ولكنني لا أعرف الكثير عنها! هذه هي باختصار قصة الفتاة زهرة المتنصرة التي تقوم الدعاية الكنيسية بترويج صورتها في الأزقة، وبين المارة في الشوارع، وقد وضعت الكنيسة قصتها في العديد من اللغات ..

CLOSE UP by Joelle



Zohra is Algerian but she was born and raised in France. She comes from a large family that is of Muslim heritage. Zohra has four sisters that are believers in Jesus and it was through their influence that she came to know our Lord six years ago. Anxious to do God's will, He led her step by step and she found herself in Lebanon. She is here indefinitely and claims to love the country. Zohra currently lives at the Accad's; she works part-time at the Orphanage Cedar Home in Achrafieh, she also teaches French at CTI. Zohra is dedicated to the children she takes of. She likes the Church because of the Arabic involved which is so foreign to her. She loves singing in Arabic as she likes to hear people pray in that tongue; she loves to meet with her brothers and sisters in Arabic surroundings. Zohra is always cheerful and encouraging in prayer and we're so glad that God decided to bring her here. I pray that her ministry among the children may bear much fruit.

فأين حقوق الإنسان، وأين هي الحرية الشخصية للمتنصر، ولماذا يتم تجاوز هذه الحرية، والاعتداء على خصوصية المتنصر، وإلا أُتهم هذا المتنصر المسكين بأنه عميل أو جاسوس لجهات حكومية أو شخصية أو قطاع خاص! لست أبالغ؛ وإنما هذه هي محض الحقيقة، لأدخل هَهنا في النموذج، والمثل الثالث عن عدم احترام الكنيسية لخصوصية المتنصرين، والضرب بحرياتهم عرض الحائط.

زواج المتنصرين



عرضت صحيفة "الطريق والحق" التي تعتني بأخبار الأقباط المسيحيين في مصر، وخارجها خبرًا صحفيًا، وهي صحيفة كنيسية محلية تصدر في مصر من دون أن يكون لها عنوان ثابت موضوع داخل صفحات الجريدة على غرار الجرائد الباقية، فهل هذا يُعد خرقًا للقوانين المعمول بها من قِبل المجتمع والتي تطبق على الجميع مع وجود بعض الاستثناءات؟!

في عدد الجريدة الرابع والعشرين، خبر، ولقاء صحفي مفاده أن محمد حجازي، وزينب، اللذان قد تنصرا سوف يرزقان بطفل ثمرة زواجها المسيحي المقدس، وقد

نشرت الجريدة صورًا لهذين الشخصين، فهل يُعد هذا تحريضًا، وضد من؟! وهل يُعد هذا دعوة لقتل المتنصرين بعد عرض صورتهما على صفحات الجريدة المحترمة؟! أين هي خصوصية المتنصرين، وحريتهم، وحقوقهم من قِبل المجتمع الجديد الذي ذهبوا إليه بمحض إرادتهم أو بأساليب يعرفها العارفون فقط، والعارف لا يجب أن يُعرف؛ لأن هذه الوسائل يصعب تسجيلها في صفحات كتاب كهذا أو على قصاصات من ورق؟!

إذا كنتِ تحولت للمسيحية أنت وزوجك محمد حجازي منذ سنوات، ولم تقولا لأحد، فلماذا كل هذه الضجة؟! سؤال صحفي بامتياز ..

أجابت زينب، كرستين حاليًا: "لأن هناك طفلاً قادمًا لا نريد له أن يعيش بشخصيتين. فكثير من أولاد المتنصرين يعيشون في المدرسة بشخصية المسلم، ويدرسون الدين الإسلامي، ويكون لهم أسماء إسلامية ثم يعودون للمنزل يعيشون بشخصية مختلفة تمامًا. فإذا كان أسمه في المدرسة محمد، يقولون له في البيت جورج. وهذا بالتأكيد يُحدث نوعًا من التناقض، ويؤثر على شخصية الطفل، ونحن لا نريد هذا." (انتهى الاقتباس)(١)

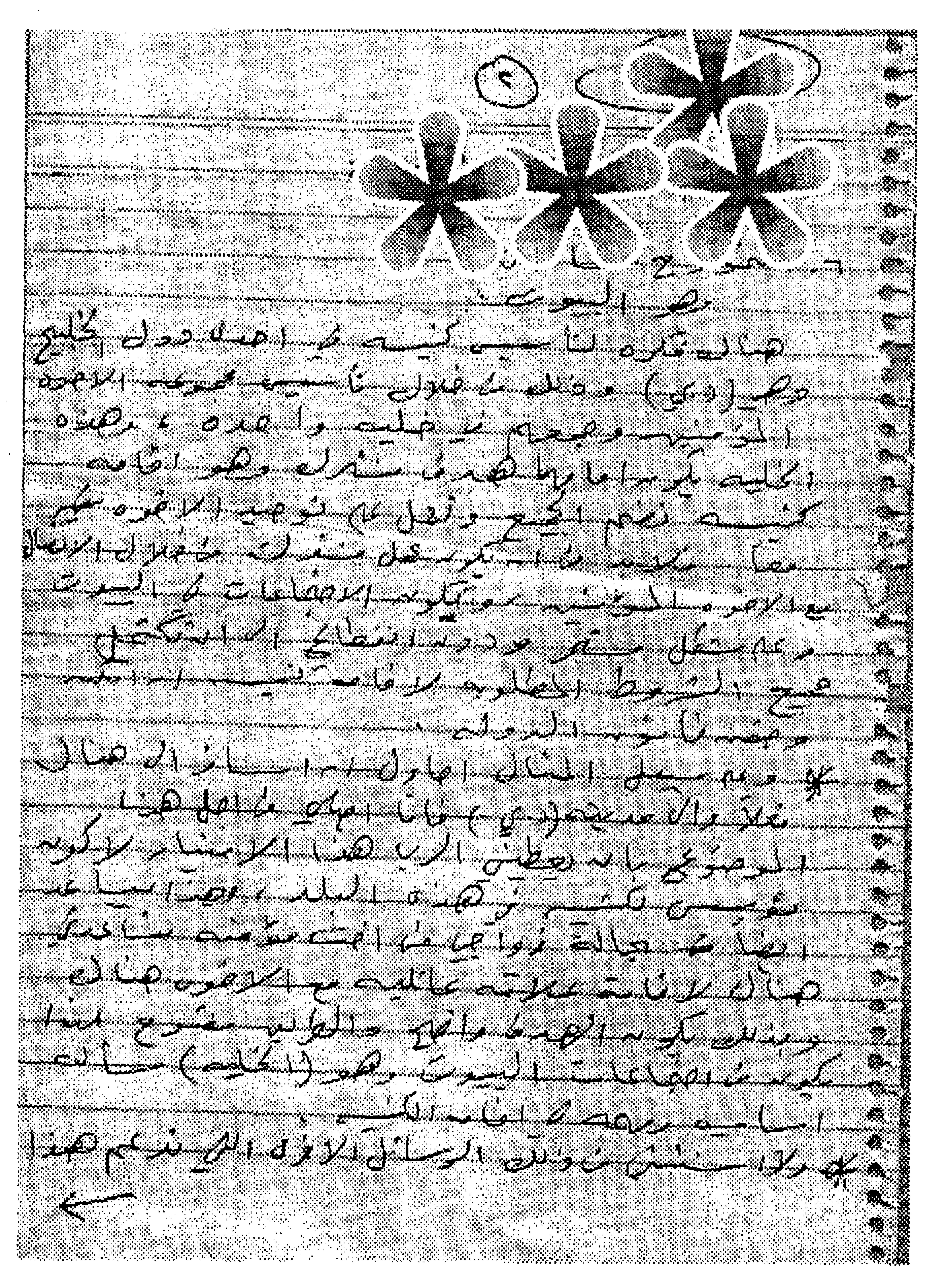
وكأن اليهودية أو المسيحية أو الإسلام بالأسماء فقط لا غير، وأن دخول السماء - الجنة - يتوقف على هذه الأسماء كما يترسخ في معتقدات الجيل الذي تربى على الطائفية البغيضة، والعنف اللا أخلاقي، والقتل على الهوية. إنها حياة غابرة، ليس فيها من معاني الفضيلة غير ما يعرفه الإنسان عنها من نقاط على الحروف من فاء، وضاد، وياء .. إنها قصة الحريات، وحقوق الإنسان التي تكفلها الكنيسة للمتنصرين بعد أن تركوا كل شئ ليرتموا في أحضان الشوك، والحصرم، والحسك، والنار، وينطبق عليهم المثل العربي القائل: من الرمضاء للنار!

هذا، ويحرص أصحاب الخطط الخنفشارية على تزويج المتنصرين من بعضهم البعض، وليس خارج هذه الحدود!

---

(١) البياض، صفوت، ويوسف، ناجي، *الطريق والحق*، زينب (كرستين) زوجة حجازي (بيشوي): والدي لا يستطيع التفريق بيني وبين زوجي والمسيحية لا تعرف الطلاق، العدد ٢٤، الثانية الثانية، سبتمر ٢٠٠٧م، ص ٣.

ويلفت الباحث نظر، وعلم القارئ الكريم أن ثمة وثائق أخرى لم يتم نشرها في هذا الكتاب؛ لأن من المرجح أن تُسبب جدلاً حادًا في الأوساط الشعبية. وهناك وثائق تحض، وتُحرض المسيحيين المؤمنين على تكوين خلايا سرية يصفها أصحابها بـ: "خلايا مؤمنة"، و"عش الغراب" هدفها الرئيسي تأسيس كنائس جديدة في منطقة الخليج (جزيرة العرب)! ومن بين هذه الوثائق ما يأتي:



(٣)

[illegible]

[illegible] البيوت

هناك فكرة لتأسيس كنيسة في إحدى دول الخليج

مثل (دبي). وذلك من خلال تأسيس مجموعة الإخوة

المؤمنين وجمعهم في خلية واحدة. وهذه

الخلية [illegible] هدفها [illegible] وهو إقامة

كنيسة تضم الجميع [illegible] الإخوة [illegible]

[illegible] الاتصال

مع الإخوة المؤمنين [illegible] الاجتماعات في البيوت

[illegible] بشكل مستمر [illegible]

[illegible] الشروط المطلوبة لإقامة كنيسة [illegible]

[illegible] الدولة.

* وعلى سبيل المثال [illegible] هناك

[illegible] مسيحية (دبي) [illegible] هذا

الموضوع بأن يعطي الرب هذا [illegible]

[illegible] في هذه البلد، [illegible]

[illegible] أخت مؤمنة [illegible]

هناك [illegible] عائلية مع الإخوة هناك

وبذلك يكون الهدف [illegible] أيضًا

[illegible] اجتماعات البيوت [illegible] (الخلية) [illegible]

أساس [illegible] إقامة الكنيسة

* [illegible] من تلك الرسائل الأولى التي [illegible] هنا

أبعد كل هذا، لا تريد أن تقول معي: إن الأديان هي بضاعة الصلف!

نعم، الأديان هي بضاعة الصلف؛ لأنها تقول، ولا تفعل! تنادي بالمحبة، وتقتل، وتدمر، وتنهب، وتسلب، وهي أبعد ما تكون عن الحمل الوديع الذي تُشَبِّه نفسها به. وهي أقرب ما تكون إلى الذئب الذي يخطف، ويفترس إن لم يقف في وجهه راعٍ أمين، وقوي، وقادر!

عاشت الطوائف المسيحية في اوروبا صراعات طويلة فيما بينها، منذ ان اصبحت المسيحية دين الدولة الرومانية في القرن الرابع الميلادي. مهما ادعت الخلافات أسبابا عقائدية، فإنها تظل في جوهرها خلافات سياسية تبعا لخلاف مصالح الملوك والامراء المتنافسين. ومن أول وأبرز هذه الخلافات: الانقسام الذي حدث بين الارثوذكسية والكاثوليكية، حسب الانقسام الذي حدث في الامبراطورية الرومانية، بين القسم الشرقي البيزنطي وعاصمته القسطنطينية - اسطنبول الحالية -، والقسم الغربي وعاصمته روما. وقد بلغ الصراع بين الطرفين، بحيث ان الحملات الصليبية الكاثوليكية قد هاجمت ونهبت وحرقت عاصمة الارثوذكس، القسطنطينية، الى درجة انها ساعدت على انتصار الاتراك المسلمين واسقاطها في القرن الخامس عشر الميلادي.

ثم تلى ذلك في القرن السادس عشر الانقسام بين البروتستانت والكاثوليك. حسم الانقسام بين اوروبا الشمالية الاسكندنافية الجرمانية الانكليزية (البروتستانتية)، واوروبا الجنوبية اللاتينية (الكاثوليكية).

وكان هذا الانقسام هو الأعنف والأكثر وحشية، ودموية في تاريخ الانقسام الديني في العالم اجمع. وقد تخللته حروب وعمليات ابادة لملايين الناس الابرياء بصورة تفوق الوصف.

إنها الأديان بضاعة الصلف، وما حرب الثلاثين عامًا (١٦١٨ - ١٦٤٨) التي دارت رحاها بين المسيحيين البروتستانت، والمسيحيين الكاثوليك، والتي راح ضيحيتها من المسيحيين الكاثوليك زهاء ٦,٥ ملايين ضحية إلا علامة فارقة من علامات أبجديات الصراع الديني، وتؤكد لأي باحث في تاريخ الأديان الإبراهيمية أن نوعية هذه البضاعة من دون أدنى شك هي بضاعة الصلف!

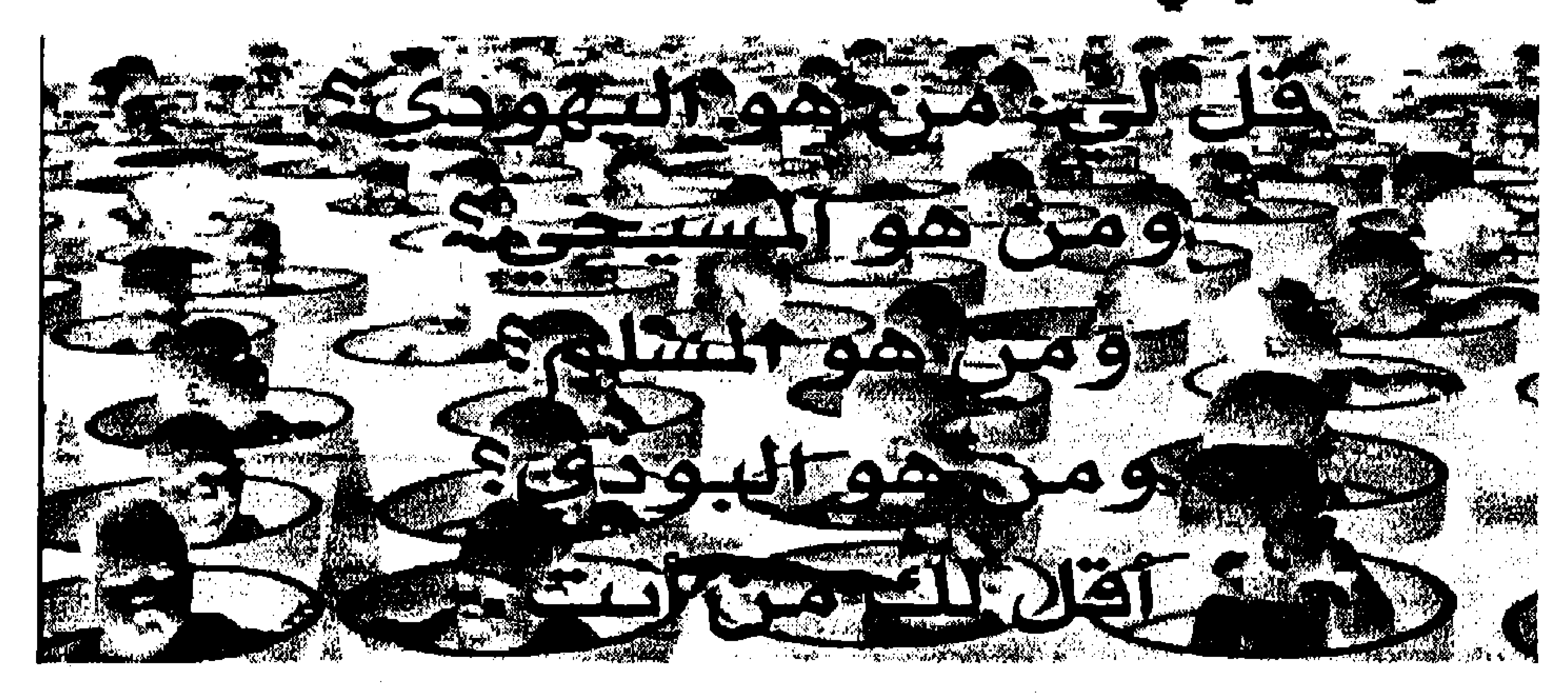
وماذا بعد؟ هذا ما سوف نعرفه عند قراءة الفصل الثالث، والأخير من هذا الباب.

الفصل الثالث

"دعوني أعيش"

عاش الهلال مع الصليب .. عاش الحجاب مع الصليب

هل أنت مسيحي؟



هل السلوك المصري الإنساني في خطر داهم؟ ومن المسئول عن ضياع السلوك الإنساني المهذب تجاه الآخرين، واستبداله بلغة الشارع البذيئة، والقرصنة، والبلطجة، والمحسوبية، والرشوة، ولغة الروشنة؟! من المسئول؟

عندما نزلت إلى القاهرة أول مرة، وجدت نصف النساء المصريات يضعن الحجاب الزاهي، ونصفهن الآخر يُعلقن على صدورهن الجميلة صلبان غليظة. أما رجالهن، فيشمن أيديهم بصلبان عريضة التصميم، والذوق، والتفنين. وهي محوطة من كل جهة، وجانب بأسرار الأوريم، وخدع التميم للتبرك بها على رأس مال عشور أو تجارة مهما كانت الخسارة، ولا أحد يجبرهن على فعل ذلك؛ لأن عصر الاضطهاد بمفهومه القديم قد ولى إلى غير رجعة. لقد فرح قلبي، وقلت: "صحيح أن مصر أم الدنيا"، وصحيح، عاش الحجاب مع الصليب.

لقد تصورت أن الناس ينعمون في الشقاء كأخو الجهالة. ولكن سروري تبدد على

صخرة السلوك المصري الإنساني الردئ، وتذكرت قول شاعرهم: إنما الأمم الأخلاق ما بقيت - فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا. ولكن ما هو السر الذي يقف وراء ذهاب أخلاق المصريين إلى غير رجعة؟! فهم يتداولون السحر، والعرافة، والكهانة! ويمارسون الغش في المكيال، والسرقة في الميزان، والنصب في البيع، والشراء على غرار أهل صالح، وثمود، وتُبَّع، وعاد الأولى! وهم يمارسون اللواط السياسي، والنفاق الاجتماعي كما مارسه أهل لوط في مواخيرهم التليدة! وهم يمارسون الفِسق، والفجور، والعُهر، والدعارة كما كان يفعل أهل قورنثوس عليهم الذكر، والسلام في كتب اللئام من الإنس والجان!

طبعًا، ليس كل المصريين يفعلون ذلك؛ ولكن سوادهم الأعظم. فمن المسئول؟

بعض حكام العرب يعيشون في وادٍ ذي زرع، ونخل، ورمان، وهم يعيشون في كربٍ، وسعف، وصلبان! من البديهي أن السلوك الاجتماعي ما هو إلا انعكاسًا لرؤية سياسية، وأن الممارسات السياسية قد تكون تعبيرًا دقيقًا عن رؤية اجتماعية. فمن المسئول؟

قال أحد الحكماء: "قبل السقوط الكبرياء، وقبل الانكسار تشامخ الروح"، وقال أحد الشعراء: "ونشرب إذا وردنا الماء صفوا - ويشرب غيرنا كدرًا وطينا". كان العرب في الجاهلية، ولا زال بعضهم إلى يومنا هذا يتفاخرون بأمورٍ تافهة، ويتغنون بصفات لا يحملون منها إلا حروفها الجامدة كجمود وجوهم الكالحة من شدة الزيف والنفاق، والعياذ بالله. ويتبنون قضايا بحجم جناح البعوضة وهم يحسبونها عند أنفسهم لكبيرة، ويرون في ذواتهم ما لا يرونه في غيرهم من البشر! فهم وحدهم الكرماء من سائر شعوب الدنيا، وهم وحدهم المهذبون من بين أمم الأرض كلها، وربما السماء أيضًا! وهم وحدهم الجسورون والشجعان في النوازل والخطوب من بين كل المسكونة، وهم وحدهم، ووحدهم، ووحدهم .. من بين كل الخليقة!

لا غرو أن يتفاخر المصري بما عنده أو حتى بما ليس عنده كغيره من شعوب الأرض بين الفينة والأخرى، ولكن العيب كل العيب أن يتحول الزيف إلى حقيقة، والباطل إلى حق، فلا يعود المرأ قادرًا على أن يُبصر النور فيما بعد.

هل اللغة العربية قاصرة وفقيرة حتى بات المصري عاجزًا عن ايجاد واستعمال الألفاظ المناسبة في مواضعها؟ فماذا يضر المصري عندما يقول: من فضلك، ولو سمحت، وشكرًا بدلاً من استعمال العنف اللفظي في أسوأ مراحله، والتشاطر والتسابق في آن من أجل استعمال مصطلحات الشارع القذرة كالسباب، والشتيمة، واللعن بسبب أو من دون سبب.

أنا لا أريد أن أقيم مقارنة أو مفاضلة والعياذ بالله بين شعب وشعب، ولكن على سبيل المثال لا الحصر، في أحد البلدان العربية القريبة لمصر يقولون: "تِكْرَم عينك - لو سمحت - تُؤبرني - لَعيونك - من فضلك - ع راسي أي ما تطلبه ألبيه ولو على راسي - أعمل معروف"، وغيرها من المصطلحات الجميلة المهذبة مع الاعتذار من سيبويه.

كنت في حيرة من أمري وأسأل نفسي كيف انتشرت هذه الظاهرة بين المصريين؟ لا أقول كلهم، ولكن بين السواد الأعظم منهم! إنهم يعلكون الألفاظ البذيئة صباحًا ومساء وكأن شيئًا لم يكن.

استيقظت يومًا على صوت بعض الجيران وهم يحيطون برضيع صغير لم يبلغ الفطام بعد، وهم يحاولون أن يلقنوه ويعلموه كلمات جديدة توقفت عندها في دهشة، وذهول لا سيما أن أم المولود، وأخوتها كانوا يساعدون في هذا العمل العظيم! كل صباح ومساء يكرر المجتمعون حول الرضيع المفتاح السحري في قاموس الألفاظ المصرية: "يا جزمة يا ابن رباط الجزمة"، وغيرها من الأقوال الرديئة مع الاعتذار لابن منظور المصري، وللشاعر عمرو بن كلثوم، وكأن الحضور أي الجيران وأقرباء المولود ابتكرن قافية شعرية جميلة لا يعادلها إلا قواف عنتر بن شداد، رحمه الله.

تذكرت حينها أحد الأمهات العرب اللاتي كانت تقرأ لرضيعها قبل أن ينام من مؤلفات شكسبير في الأدب الإنكليزي، وأخرى تقرأ لرضيعها من القرآن الكريم، وأخرى تقرأ لرضيعها من الإنجيل الشريف. وتذكرت قول الشاعر: "وينشأ ناشيء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه"، وآخر يقول: "تعودا صالح الأخلاق - فإني رأيت المرأ يألف ما يستعيد"، وقول القرآن الكريم لرسوله ﷺ: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

إنه لجميل أن نتحلى بالنقد الذاتي ليكون جزءًا من ثقافتنا المصرية، ونجيب على تساؤلات الظرف الراهن بكل تجرد ومصداقية: كيف وصلنا إلى هذا الدرك الأسفل من الدونية في استعمال الألفاظ النابية، والقبيحة؟ وهل أصبحنا أقرب المقربين إلى الهمجية؟ وهل من علاج في المنظور القريب؟

كان ديوجينوس أحد فلاسفة اليونان يسير في شوارع أثينا في الصيف وقت الظهيرة وهو يحمل في يده شعلة مضاءة! وعندما يسأله المارة: ماذا تفعل يا ديوجينوس؟ كان يجيب: أفتش عن إنسان! هل وصل السلوك المصري الإنساني إلى درجة أدنى من السلوك اليوناني إبان عصر ديوجينوس؟

إذا كان الجواب بـ: نعم، وأتمنى أن لا يكون ذلك فإني أقترح أن تُرفع كلمة إنسان، وإنسانية، وأنسنة من قواميس اللغة العربية التي تُطبع في جمهورية مصر العربية حتى اشعار آخر، وحتى يتم علاج لهذه الظاهرة والكارثة المدمرة. لا أقول بأنسنة الحيوان كما فعل الغرب الأوروبي والأميركي، ولكن أقله أن لا نحيون الإنسان والعياذ بالله.

إنه حلم من أحلام اليقظة على غرار حلم المصري الفقير الدخل برغيف خبز نظيف أي من دون حصى أو أتربة، ولا من دون الوقوف أمام شبابيك الأفران لساعات، وساعات، وساعات، وبدلاً من أن يستشهد الناس في ساحات المعارك، يستشهدون في مصر في ساحات أفران الخبز! ولذلك يقترح الباحث على علماء أزهرنا الباسق، ولا سيما المشهورين منهم بالفتوى الجهنمية المعروفة بـ: رضاعة الكبير، وفتوى التبرك ببول نبي الإسلام ﷺ! أن يتحفونا بفتوى أن من يُقتل أمام ساحة الأفران على جميع الأراضي المصرية، فهو شهيد كالمقتول في ساحة المعركة سواء بسواء، وهو عند الله كالمدافع عن عرضه أو عن ماله أمام فلول الطامعين!

لقد جاء إلى عمر بن الخطاب الخليفة الثاني من الخلفاء الراشدين، والمُلقب بـ: أمير المؤمنين، رسول يحمل إليه غنائم غزوات المسلمين، فنظر عمر رضي الله عنه، في العطايا، فإذا بتاج كسرى مرصع بالماس، والألماظ، وعملات ذهبية، وسرير من الذهب الخالص، فتعجب عمر رضي الله عنه، أمام الحضور من السلوك الإنساني الراقي لأمرائه في الأمصار، وشكر حسن أمانتهم، وإخلاصهم، وعدم إقدامهم على أعمال

منافية للآداب. فماذا قال له الرسول حامل هذه الأخماس؟

يا أمير المؤمنين: لقد عففت، فعفت الرعية، ولو رتعت لرتعت. وهذا الكلام ينطبق عليه بالتمام والكمال المثل العربي القائل: "إذا كان رب البيت بالدف ضارب فشيمة أهل البيت الرقص، والغناء."!

فهل يمكن أن يعيش الحجاب مع الصليب بعد كل هذا التدني في السلوك الذي وصلت إليه البشرية؟!

لقد عاش الحجاب مع الصليب، ولكن في زمن غير الزمن. نعم عاش الهلال مع الصليب على ورق الزسامين!

نعم عاش الهلال مع الصليب في حضن الأفعى الرقطاء التي تبتلع ضحيتها بمكر وخداع ثم تذهب لتنام في سبات أهل الكهف!

نعم عاش الهلال مع الصليب تحت ظل سطوة، ونفوذ الأنظمة الشمولية الدكتاتورية الحاكمة، والمتحكمة في البلدان ذات التعددية!

نعم عاش الهلال مع الصليب، شعار يُطلقه أصحاب الأيادي السوداء، والنفوس الصفراء، والمروجين، وتجار الأديان، وسماسرة الحاكم العربي الذي لا هم له في هذه الحياة سوى بقاءه على رأس الحكم، واستقرار عرشه فوق بحر من دماء الأبرياء!

نعم عاش الهلال مع الصليب، إذا رضي كلاً من أهل الهلال، وأصحاب الصليب بأن يظلا بعيدين عن سلطة القرار كبعد المشرق عن المغرب!

نعم عاش الهلال مع الصليب إذا قبل أصحاب الهلال، وأهل الصليب بما قسم لهما الدهر من ذل، وصغار، وقهر واضطهاد على يد ميليشيات عسكر النظام الحاكم!

نعم عاش الهلال مع الصليب إذا رضي الاثنين معًا - أي أهل الهلال، وأصحاب الصليب - بأن لا يفكروا ولو للحظة واحدة في المبدأ القائل بالتداول على السلطة!

نعم عاش الهلال مع الصليب تحت قهر المستبد، وقمع المستعمر، وبطش الباطش

بيد السلطة، والنظام، فيكون تعايشهما هَنا قسري، وبقوة القهر، وغلبة الرجال!

نعم عاش الهلال مع الصليب على صفحات مياه الظلم، والحيف، والجور من بني الإنسان على أخيه الإنسان!

وإلا، لماذا لم يعش الهلال مع الصليب في البوسنة؟! ولماذا لم يعش الهلال مع الصليب في حروب الفتنة التي عرفها لبنان في سبعينات القرن الماضي؟! ولماذا لم يعش الهلال مع الصليب في الولايات المتحدة الأميركية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول؟! ولماذا لم يعش الهلال مع الصليب في عاصمة الضباب من أيام ريكاردوا قلب الأسد إلى طوني بلير، وغوردن براون؟! لماذا لم يعش الهلال مع الصليب في ظل الرسومات الكاريكاتيرية في دولة السعادة "الدانمارك"؟!

أنظن أن المسلمين قد نسوا إبادة الأميركان لهم، ومحو قرى إسلامية كاملة من على وجه الخرائط المحلية أو الدولية؟!

أنظن أن المسلمين عندما تقوى شوكتهم لا ينتقمون مما فعله الأميركان في العراق، وفي أفغانستان، وفي الصومال، وفي باكستان؟!

أنظن أن المسلمين البوسنيين عندما تقوى شوكتهم لا ينتقمون من القتلة الصرب؟!

أنظن أن المسيحيين الأرمن عندما تقوى شوكتهم لا ينتقمون من القتلة الأتراك؟!

إنها طبيعة الانتقام المزروعة في جوهر وكيان الجنس البشري، وما التاريخ الإنساني القديم، والوسيط، والحديث، والمعاصر إلا تجليات، وظهور لهذه الطبيعة الرديئة!

ربما يتصور البعض أن الباحث لا يرى إلا الكأس الفارغة، ولا يُبصر إلا الجوانب السلبية في حياة الأديان! فهو يرتدي نظارات سوداء لا ترى إلا بضاعة الصلف، وقتل الصرب لألآلف من البوسنين الذين لجأوا إلى أمكان الحماية من الأمم المتحدة، ومع ذلك قُتلوا، لا لشئ إلا لأنهم مسلمون! وقتل المسيحيون البروتستانت ٦,٥ ملايين كاثوليكي في حرب الـ: ٣٠ سنة لا لشيء إلا لأنهم مسيحيون كاثوليك! وقتل الأتراك آلاف من الأرمن لا لشيء إلا لأنهم مسيحيون أرمن! ناهيك عن

الحروب الصليبية، وغزو المسلمين لأسبانيا المعروف بـ: الأندلس المفقود، وللامبراطورية البيزنطية، وحروب يشوع بن نون الحديثة، وحروب جورج بوش الابن، وطوني بلير الأب، وغوردن براون على الإسلام، والمسلمين! وقتل آلاف الدارفوريين على أيدي الجنجويد - هي قبائل عربية أهمها: الرزيقات، والهرية، والجلول -!

لا، لا يرى الباحث كل ذلك فحسب؛ وإنما يرى حتى الشمعة أو الشموع الخافتة التي تُضئ في ظلام عالمنا الدامس بالصراعات الدينية، وحروب الآلهة!

ففي زاوية ضيقة من إحدى المدن الهادئة يركن الإنسان أحيانًا، وينزل إلى نزل من أجل الزيارة أو الاستجمام والراحة. وأحد هذه الفنادق هو "كير مينا"، وهو فندق يمتلكه جماعة من المسيحيين، لا أعرف من هم على وجه الدقة. ولكنهم بمثابة شمعة مضيئة وسط عالم صراعات الآلهة.

فعندما تنزل ضيفًا على هذا الفندق، فإنك تجد بعض المصليات موضوعة وجاهزة لاستعمال النزلاء، وموجودة في صالونات الجلوس الموجودة أمام الغرف في كل طابق. حتى إنك لتجد قرآنًا، وتستطيع القراءة إن شئت ذلك.

ليس هذا فحسب؛ وإنما وضعوا لك في كل غرفة دليل مع سهم أخضر جميل يدلك على اتجاه القبلة إن أردت الصلاة. ماذا يمكن أن نُسمي مثل هذه التصرفات الراقية، وهذا السلوك النبيل؟

إنه عمل فريد من نوعه، ويعكس بحق محبة هؤلاء الأشخاص لقديسيهم على غرار ما كان يفعله القديس كيرلس، والقديس مينا الذي يحمل الفندق أسمهما "كير مينا".

هذه الأعمال هي في النهاية مبادرات فردية بإمتياز، وليس عملاً جماعيًا يُبنى عليه في العِقد الاجتماعي المعاصر لمواجهة عاصفة الصراع الديني. إنها إختلاف حول الثقافة، والتربية، والتنشئة.

إنه عمل بمثابة قطرة من مسك مغلفة بريحان الخلود قد أُلقيت في محيط مائج، وبحر من الزبالة، والقمامة، فابتلعها المحيط، ولفظتها الأمواج، ودفنتها أعاصير الدوامات إلى غير رجعة!

ليس هذا السلوك هو القاعدة؛ وإنما مع الأسف الشديد هو الشواذ في عالمنا الحاضر المليء بالصراعات الإلهية!

هل سيأتي اليوم الذي تنعكس فيه الصورة، فتكون القاعدة شواذ، والشواذ قاعدة؟

يُروى عن الاسكندر المقدوني، أنه عندما فتح احدى المدن بالقوة، ولما اجتمع إليه أهلها، سألهم عن أولاد الملوك بها فقالوا له: بقى منهم رجل مسكين يسكن المقابر. فدعا به، فأتاه مهرولاً. فقال له الاسكندر المقدوني: ما دعاك إلى لزوم هذه المقابر؟ قال: أحببت أن أميز بين عظام ملوكهم من عظام عبيدهم فوجدتها سواء. فقال له الاسكندر المقدوني: هل لك أن تتبعني فأحيي شرفك، وشرف آبائك إن كانت لك همة؟ فقال: همتي عظيمة. قال: وما هي؟ قال: حياة لا موت فيها، وشباب لا هرم معه، وغنى لا فقر فيه، وسرور لا مكروه فيه. قال له الاسكندر المقدوني: ليس عندي هذا. فقال له الرجل: دعني ألتمسه ممن هو عنده.

فعند ولادة بني البشر، وعند نزولهم إلى القبور، لا يستطيع المرأ التفرقة بين اليهودي، والمسيحي، والمسلم، والبوذي، وغيرها من المسميات الأرضية لأديان سماوية أو إبراهيمية أو ما دون ذلك! مع أن في بعض البلدان ذات الحضارات الخنفشارية نجد قبور من الرخام، والمرمر، وأكاليل من الذهب، والغار، وصنوف من ألوان نعيم الدنيا محاطة بأضرحة زعماء، وملوك، ورؤساء حكموا الوطن العربي، والإسلامي لعقود من الزمن، ثم توفاهم الله، ولم يتساو مع شعوبهم حتى في الموت، بل فضل زويهم أن يجعلوهم في متاحف من الذهب، والفضة، وزخارف من نمارق، واستبرق أرضي، يتمنى الفقير، والمسكين في دول العالم العاشر أن يرتاح، ويريح أنفاسه، ولو لبضع دقائق في عَبق هذه القصور .. القبور المتلألئة، إنها حياة البشر الذين يحاولون التفريق بين أجناسهم حتى في طريقة الموت، وأسلوب، وطقوس الدفن!

هذا، ولا يستطيع المرأ التفرقة بين عظام الضحايا في المقابر الجماعية الناشئة عن الكوارث الطبيعية أو الاصطناعية بيد الطغمة الحاكمة من إرهاب، وإرعاب الدول التي تمتلك ميليشيات مباحث أمن الدولة، ومليشيات عسكرية في الأنظمة الشمولية، والتي تسخرها ذهابًا وإيابًا في خدمة مصالح الحاكم الخاصة، وتثبيت

نظامه، وعرشه بواسطتها، وتقوم بقتل المناوئين، والمعارضين لنظام الحكم إن لم تقدر عليهم بوسائل الترهيب، والترغيب، بعد أن تنكل بهم، وتعذبهم بكل جبن، ورعونة! وماذا عن الديمقراطيات العالمية أو من يَدَّعون ذلك، وما الحرب على الدول العربية، والإسلامية بحجة، وذريعة مكافحة الإرهاب، إلا شاهد على هذه الممارسات الفاشية من الإنسان ضد أخيه الإنسان! وهم، أي الدول العظمى، يروعون المدنيين، ويقتلون الأبريا، ويشردون الكثير من الضحايا إلى غد مجهول!

هل يستطيع إنسان عاقل مهما بلغ من حكمة التفريق بين عظام هذه الضحايا إلا عن طريق التحليل المخبري المعروف بـ: الـ "دي إن ايه" أو ما شابه في الأمور الخاصة بالبحث الجنائي. إنها غابة مليئة بالمتناقضات، ولا تقف عند حد التفرقة في الميلاد؛ وإنما تتوغل في العمق لتصل إلى التفرقة عند الموت كما حدث مع رئيس حكومة لبنان الأسبق رفيق الحريري. فقد كان النائب، والوزير السابق باسل فليحان الصديق الشخصي لرفيق الحريري، حتى إنهما كانا يقضيان أوقاتهما معًا أكثر مما يقضيانه مع أقاربهما، وأهل بيتهما. ولكن ماذا حدث عندما امتدت إليهما يد الغدر، وأستشهدا سويًا؟ ذهب رفيق الحريري المسلم السني إلى مقبرة خاصة بالمسلمين، وذهب باسل فليحان المسيحي البروتستانتي إلى مقبرة خاصة بالمسيحيين البروتستانت! لماذا لم يجتمع لحدهما في مكان واحد، وهو ساحة الشهداء بالجمهورية اللبنانية؟! هل هو الخوف من جهة كل شخص أن يتنجس قبره بجسد الآخر، وما زرعته ميثولوجيا الأديان من تفريق، وتفرقة بين بني الجنس الواحد؟! وهل ما جمعته السياسة بين هذين القطبين، فرقته ميثولجيا الأديان، وفلول الطائفية البغيضة؟! "دعوني أعيش بعيدًا عن حياتكم الفاشلة"!

الخاتمة

لا يشك ناسك في وجود صراع ديني إلا إذا كان هاجعًا أو ناجعًا أو نايمًا على صرصور ودنه كما يقول العامة من أبناء المصريين.

وإن لم نُصدق بوجود صراع ديني كما تزعم بعض الأنظمة الاحتكارية أو الشمولية، فلننظر حولنا .. فلا نكاد نرى إلا صورًا ورموزًا لهذا الصراع، وهي تتكرس كل يوم بين أبناء الوطن الواحد.

وما يحدث في لبنان من تقاتل ما بين أهل المدينة الواحدة، وليس آخره ما حدث بين أهالي حي باب التبانة في طرابلس الذي تسكنه غالبية مسلمة سنية، وبين سكان جبل بعل محسن الذين ينتمون للطائفة العلوية الشيعية الإسلامية، إلا دليل على وجود صراع ديني بين أبناء المجتمع الواحد. فما بالنا إذا كان الصراع هو بين فريقين مختلفين، وشعبين متباينين!

قد يقول قائل: إنها صراعات سياسية تأخذ أشكالاً من الصراع الديني. ففي الجمهورية السورية على سبيل المثال لا الحصر، يزعم بعضهم على عدم وجود مثل هذه الصراعات بين الأقلية العلوية الشيعية الإسلامية الحاكمة، والأكثرية السنية الإسلامية المحكومة من النظام!

إذا كان الأمر كذلك، ليس السبب في عدم وجود الصراع بين هذه الطوائف هو العدمية أي إنتفاء وجود الصراع من أساسه؛ وإنما مرده إلى أن النظام الحاكم في الجمهورية السورية يحكم شعبه بالحديد والنار، ولا يسمح بظهور مثل هذه الصراعات أو النزاعات على سطح السياسة المحلية في الشام تمامًا كما نضغط على قطعة من الفلين للإحتفاظ بها أطول فترة ممكنة تحت سطح الماء، ولا يعني هذا كله عدم وجود مثل هذه الظاهرة. فهي موجودة؛ وإنما الكبت هو الذي يمنعها من الظهور على السطح! فهل الكبت هو ظاهرة صحية؟! وهل الصراع العنفي هو عمل راقٍ لا سيما من قِبل أصحاب الديانات الإبراهيمية؟!

إنه في النهاية صراع طائفي بامتياز داخل أبناء الدين الواحد. وهذا يحدث بين

الفينة والأخرى لا سيما في أيامنا هذه.

لقد اقتحم حزب الله الشيعي اللبناني الإيراني السوري (اللبناني الهوية، والإيراني الولاء، والانتماء، والعقيدة، والأيديولوجية، والتدريب، والسوري المصالح) للأحياء التي يقتنها السنة في العاصمة اللبنانية بيروت كـ: قصقص، وطريق الجديدة، وبربور! فهل يمكن عزل مثل هذه الصراعات عن عاصفة الصراع الديني؟!

وماذا عن النزاع المسلح في مناطق الصراع، والنزاع كـ: أفغانستان، والعراق؟ وما يحدث في جمهورية مصر العربية في مناطق مسيحية إسلامية كما حدث في: الكُشح، وملوي، ودشنا في صعيد مصر، والفيوم، ودير أبو فانا، وغيرها من أماكن الصراع. فهل هذا يمكن أن ننظر له بمعزل عن عاصفة الصراع الديني؟!

ومن لم يُصدقني فليقرأ جريدة "الكتيبة الطيبية"، وهي صحيفة مسيحية دأبت على نشر أسماء - وليس رموز - لأشخاص أصحاب صراع ديني لا سيما من المسلمين مع المسيحيين. ولم تترك هذه الصحيفة فرصة للآخرين أن يردوا أو يكتبوا ليكون لهم الحق في الدفاع عن المظالم التي تعرضوا لها أو حتى الدفاع عن أنفسهم ضد أكاذيب الصحيفة!

إنه صراع ديني، وديني بامتياز.

صحيح أن تاريخ الأديان هو مُوغل في القِدم، وصحيح أيضًا أن الصراعات الدينية وُلدت في توئمة، وموائمة الأديان لا سيما الإبراهيمية منها. فلا يستطيع أحد أن يفصل ما بين الدين الإبراهيمي، وتاريخ الصراع الديني في المناطق المختلفة من العالم.

صحيح أن الصراع الديني قد أخذ أشكالاً متعددة، ومتنوعة، ولكن من هو المسئول عن هذه الصراعات؟ هل هي النصوص الدينية أم أصحاب النصوص الدينية أم التفسيرات الخاطئة للنصوص الدينية أم كل ذلك مجتمعًا في بوتقة عاصفة الصراع الديني التي لا تُبقي ولا تذر؟!

من المحتمل أن بداية الصراعات الدينية في تاريخ الأديان قد بدأ مع محاولة القفز على السلطة من قِبل الفئات الدينية، وما رافق ذلك من نفوذ لرجال الدين،

وتدخلهم في كل شاردة، وواردة ناهيك عن الصراعات المسلحة، والتقاتل بإسم الدين من أجل قطعة أرض! يموت المتقاتلين، وتبقى الأرض!

أليس إله الأديان هو الذي حدد بقاع من الأرض بعينها، وأعطاها صفة القداسة، والتقديس من دون سواها من بقاع الأرض. من المسئول عن ذلك كله؟!

كانت الصراعات، والمنازعات في عهد قديم، ولا زالت تدور حول منابع الثروات المعدنية، وكنوز الشعوب المخفية فيما عُرف في العصور الغابرة بالصراع على الكلأ - وهو الحشيش، والزرع الذي يخرج من باطن الأرض المشاع من دون أن تكون يد الإنسان لها دور في زراعته -، والماء، والوجه الحسن.

فكان إنسان العصور الغابرة يضرب خيامه، ويحط رحاله، ويعبر من أرض إلى أرض حيث يوجد الكلأ لماشيته، وغنمه، ويتوفر الماء له، ولقومه من بعده. ولهذا قدم الدين الإسلامي السياسي في بداية ظهوره حلاً لهذه المشكلة، وعلاجًا لهذه المُعضلة ساعدت في فض النزاعات بين أبناء الجنس البشري، ومفاده أن الناس شركاء في ثلاث: الماء، والنار، والكلأ. فهل الناس اليوم شركاء في الماء، والنار، والكلأ، والركاز - أي المعادن النفيسة التي تُستخرج من باطن الأرض كـ: البترول، والذهب، واليورانيوم، وغيرها -؟

الصراع في النهاية هو صراع من أجل المنافع، والمصالح، وقد يتخذ أشكالاً عدة، ومن أخطرها وطأة المظهر الديني في عاصفة الصراع.

ومهما كان نوع الصراع فهو في النهاية صراع برغماتي، ومنفعي، ومبني على المصالح. ولا يختلف الصراع والنزاع من أجل النفوذ أو السيادة على الآخرين عن أي صراع من جهة أنه صراع ذات طابع برغماتي، ومنفعي، ومبني على المصالح الشخصية أو الجماعية للأفراد أو الطوائف.

والصراع والنزاع على الركاز، وكنوز الأرض الغنية، ومنابع النفط الثرية، وهو يأخذ في مناحي كثيرة طابع الصراع الديني كما حدث في جنوب السودان، وكما يحدث في الغرب السوداني مع قطاع دار فور، وكما حدث في شمال العراق مع الأكراد، وغيرها من النماذج، والأمثلة، لكنه في نهاية المطاف صراع مبني على

المنفعة، والمصالح المتبادلة بين الدول أو الطوائف أو المذاهب أو الأديان.

لقد وُلدت الأديان الإبراهيمية الثلاث في رحم الصراعات.

جاء الإسلام منذ حوالي ١٤٢٩ سنة تقريبًا، وقد وجد هذا الدين أخوين من أبوين مختلفين قد سبقاه إلى هذا العالم، ونالا ما نالاه من الحظوة، والسطوة، والنفوذ على مناطق متفرقة من العالم رغم إصرار البعض على ان هذه الأديان من أب واحد!

تصارع الإسلام من أجل أن يأخذ حصته في هذا العالم كغيره من الأديان، وكما فعلا أخويه غير الشقيقين في تاريخ ما قَبلَ الإسلام. فهل نجح الإسلام في ذلك؟!

جاءت المسيحية منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة، وقد وجد أصحاب هذه الديانة أن أخًا لهم من نفس الفصيل، ويتشارك معهم في رحم عقيم لا يلد إلا إله الشر، وإله الخير والمحبة والسلام في آن! وجد أصحاب الديانة المسحية أن أخاهم هذا قد سبقهم إلى هذا العالم بردح طويل من الزمن. وقد شهر هذا الأخ سيفه، ولا يريد إن يُشاركه أحد في الملك أو الحكم أو النفوذ أو التسلط، وكلاهما يدعيان الحق المطلق. إنها معضلة عاصفة الصراع الديني!

جاءت اليهودية منذ ما يناهز الـ: ٤٠٠٠ سنة عدًا، ونقدًا، وهي الديانة الأقدم بين الديانات الإبراهيمية المتنازعة اليوم.

ورغم أن اليهودية قد جاءت، وانبعثت من أور الكلدانيين المنطقة الموجودة اليوم ما بين إيران، والعراق، والسعودية فيما يُعرف بالهلال الخصيب، والذي يوجد بها اليوم كثير من القواعد العسكرية الأميركية، وقوات الناتو الأوروبية! رغم هذا الإنبثاق، وهذا الإنبعاث، وهذا العبور من مكان إلى مكان، فإن الشعب اليهودي لم يجد راحة إلا بعد أن حطت قدماه، وترحاله في أورشليم القدس مدينة العم ساليم أو سالم أو مدينة السلام بأمر إلهي لا يمكن الرجوع عنه!

خرج الجد الأكبر لليهود العبرانيين من مدينة عبادة القمر أور الكلدانيين إلى مدينة عبادة داجون وهو إله الفلسطينيين في تلك الحقبة.

لم يكن الخروج، ولا العبور، ولا الدخول إلى أرض الموعد أمرًا سهلا على الشعب

العبري.

لقد نشأ صراع ونزاع مسلح بين أبناء هذه المنطقة، والسكان الجدد القادمين إلى المنطقة، ولديهم فرمان بالسكن، والتملك، وأمر سلطاني إلاهي لا يمكن مقاومته!

هذه كلها أبجدية من أبجديات الصراع الديني الذي يدور رحاه بين أبناء الديانات الإبراهيمية اليهودية، والمسيحية، والإسلام، وأقدمهن في الصراع التاريخي اليهودية.

لا أعرف على وجه الدقة ما هو الحل لهذه المعضلة؟! ومتى تنتهي صراعات الآلهة، والأديان على أرضنا الغابرة؟!

إن قلت أن الحل بالخروج من هذه الأديان، ولفظها، وتركها تأكل بعضها كالنار إن لم تجد ما تأكله، أكلت نفسها!

إن قلت إن الحل هو خارج عن هذه الأديان التي تدَّعي التسامح والمحبة، وكل يوم يُقتل في هذا العالم البشع ما لا يقل عن ١٠٠ شخص بسبب صراعات دينية في أماكن متفرقة!

إن قلت أن الحل يكمن في رفض هذه الأديان، والتخلي عنها جميعًا، فقد يتهمني البعض بالجنون أو الإلحاد أو الكفر أو الزندقة أو ما شابه ذلك من مصطلحات الديانات الإبراهيمية المعلبة، والسريعة التحضير، والجاهزة للتصدير! ولربما وجدت محاكم تفتيش تنتظرونني من أصحاب الجاه، وأهل الصولجان!

إن قلت أن الحل يكمن في نبذ هذه الأديان، والتخلص منها كما يتخلص المرء من كلبه الجربان أو حماره النافق، وتقديمه لفقراء المصريين على أنه حوواشي او هوت دوغ مصري!

إن قلت ذلك، فقد أسمع صوت بعض العقلاء يقول: وهل حياة الإنسان ما قَبلَ الأديان كانت بأحسن حالٍ مما هو عليه اليوم؟!

إن كان الأمر كذلك، فما هو الحل عزيزي القارئ دام فضلك. شاركونا بالراي الحر.

ليس أمامي في النهاية إلا أن أقدم بعض الاقتراحات على النحو الآتي:

١) أن يرفع الاستعمار يده عن الدول، والمناطق الإسلامية، ولكن كيف؟ ومن يستطيع أن يضع يده على هذه العملية؟ لا أعرف.

٢) يتوجب على الأنظمة الحاكمة ذات الصبغة الشمولية التوتاليتارية أن تفك قبضة يدها الحديدية عن مواطنيها؛ لأنهم في النهاية هم السكان الأصليون لهذه البلدان قبل أن تأتي بعض الأنظمة إليهم من الخارج.

٣) تظهير مبدأ التداول على السلطة، والعمل به بدلاً من العمل بقوانين ك: الطوارئ، وهو أسم ليس على مسمى، وقوانين مكافحة الإرهاب، ولا إرهاب يأتي إلا من إرهاب ميليشيات الأمن التابعة لأنظمة بعينها من أجل المحافظة على كراسي الحكم، والنظام.

٤) تعليم ثقافة التسامح بين أبناء البشر منذ الطفولة وذلك عن طريق:

أ - برامج تعليمية مخصصة لهذا الهدف. هذه البرامج لا تقوم على أساس الدعاية الدينية لكل فريق من فرق الديانات الإبراهيمية؛ وإنما تقوم على مبدأ التسامح الإنساني بمعزل عن التعاليم، والعقائد الدينية المقدسة عند أصحابها.

ب - برامج إعلامية موجهة للأطفال تهدف إلى خلق روح التسامح بين أبناء الجنس البشري.

ج - رفع الديانة من الهوية أو من أية استمارة أو أوراق رسمية أو خاصة تُستعمل عند التقدم لطلب وظائف شاغرة أو ما شابه ذلك.

٥) أن تُعلم أبجديات الصراع الديني كما تُعلم أبجديات اللغة، وفي هذا فائدة؛ لأنه من شأنه أن يخلق جيل يبحث بحيادية، واستقلالية، وتجرد في حقل الصراعات الدينية.

أخيرًا، وليس آخرًا، أتمنى أن يكون هذا الكتاب بمثابة نقطة بحر من بحور المعرفة بحسب ما وصل إليه علم الباحث، وأن أقدمه إلى القارئ العربي الكريم على طبق من أطباق الإنسانية المعذبة، ودمتم.

تم بحمد المُدبر

ثبت المصادر والمراجع(*)

أ - المصادر والمراجع:

١ . *التوراة*

٢ . *الإنجيل الشريف*

٣ . *القرآن الكريم*

٤ . ابن باز، عبد العزيز، *مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز*، الجزء الأول؛ وفتاوى العقيدة، القسم الثالث، إعداد: عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض.

٥ . ابن جابر، أحمد بن يحيى (ت. ٢٧٩ هـ)، *جمل من أنساب الأشراف*، تحقيق: د. سهيل ذكار، ود. رياض زركلي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

٦ . ابن جزي الغرناطي المالكي، محمد بن أحمد، *قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية*، طبعة منقحة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

٧ . ابن الجوزي، الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، *تاريخ عمر بن الخطاب*، دار احياء علوم الدين، دمشق.

٨ . ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي، *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٩ . ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي (ت. ٤٥٦ هـ.)، *ما بهامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل*؛ والشهرستاني، أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم (ت. ٤٥٨ هـ.)، *الملل والنحل*، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان.

١٠ . ابن رشد، أبو الوليد محمد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ.)، *بداية المجتهد ونهاية المقتصد*، الطبعة العاشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

(*) رتّبتُ هذا الثّبَت الفبائيًا، وافردت الأبناء، والآباء قبل الأسماء، وذكرت أسماء الأعلام حسب شهرتهم.

١١ . ابن شبة النميري البصري، أبو زيد عمر (ت. ٢٦٢ هـ)، *كتاب تاريخ المدينة المنورة "أخبار المدينة النبوية"*. تخريج أحاديث وتعليق: علي محمد دندل، وياسين سعد الدين بيان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦ .

١٢ . ابن عابدين، محمد أمين، *حاشية رد المحتار على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان*،،دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

١٣ . ابن قدامه المقدسي، أبو محمد موفق الدين، *الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل*، تخريج وقراءة: الشيخ سليم يوسف، وغيره، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

١٤ . ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله، *أحكام أهل الذمة*، تحقيق وتعليق: د. صبحي الصالح، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

١٥ . ابن قيم الجوزية، *هداية الحيارى في الرد على النصارى*.

١٦ . ابن النديم، *الفهرست*.

١٧ . ابن نصر، أبو محمد عبد الوهاب (ت. ٤٢٢ هـ.)، *المعونة على مذهب عالم المدينة*، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

١٨ . ابن منظور، *لسان العرب*.

١٩ . أبو جيب، سعيد، *القاموس الفقهي*.

٢٠ . أبو طالب، أحمد بن عيسى بن زين بن علي بن الحسين، *كتاب رأب الصدع*، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

٢١ . أحمد العيني، أبو محمد، *البناية في شرح الهداية*، تعليق: المولوي محمد عمر، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

٢٢ . الأشعري، أبو الحسن إسماعيل (ت. ٣٣٠ هـ.)، *مقالات الإسلاميين*، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، د. ن.، ١٩٨٥م.

٢٣ . آل فوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، *الملخص الفقهي*، قسم المعاملات، الطبعة السادس، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٩٩٦م.

٢٤ . الألوسي، محمود، *بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب*، (٣مج).

٢٥ . بدوي، عبد المجيد أبو الفتوح، *التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي: من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد*، الطبعة الأولى، علم المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣م.

٢٦ . البغدادي، *كشف الظنون*، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

٢٧ . البغدادي، السيد محمد حسني، *هداية الأنام لشريعة الإسلام*، مطبعة القضاء، النجف الأشرف.

٢٨ . البهوتي، منصورة يونس، *الروض المربع في شرح زاد المستقنع*، حاشية: محمد بن صالح العثيمين، تعليق: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تخريج: عبد القدوس محمد نذير، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنا، ١٩٩٦م.

٢٩ . بولس، خريسوستمس بابا دو: أستاذ التاريخ بجامعة أثينا، *تاريخ كنيسة أنطاكيا*، تعريب: الأسقف أستفانس حداد، منشورات النور، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

٣٠ . البياض، صفوت، ويوسف، ناجي، *الطريق والحق*، زينب (كرستين) زوجة حجازي (بيشوي): والدي لا يستطيع التفريق بيني وبين زوجي والمسيحية لا تعرف الطلاق، العدد ٢٤، الثانية، سبتمر ٢٠٠٧م.

٣١ . بيهم، محمد جميل، *فلسفة التاريخ العثماني*، مكتبة صادر، بير ت، لبنان، ١٩٢٥م.

٣٢ . ترتليون، أ. س.، *أهل الذمة في الإسلام*، ترجمة: حسن حبشي، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر.

٣٣ . التسخيري، محمد علي، *حول الدستور الإسلامي في مواده العامة*، ١٩٩٧م.

٣٤ . التهانوي، *كشاف اصطلاحات الفنون*، وضع حواشيه: أحمد حسن بسج، طبعة ١٩٩٨م.

٣٥ . جاد الحق، جاد الحق علي، *بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة*.

٣٦ . الجرجاني، أبو العباس أحمد (ت. ٤٨٢ هـ)، *المعاياة في العقل أو الفروق*، تحقيق: محمد فارس، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٣٧ . الجمل، سليمان بن عمر (ت. ١٢٠٤ هـ)، *حاشية الجمل على شرح المنهج*، على شرح *منهج الطلاب*، الشيخ زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت. ٩٢٦ هـ)، وهو مختصر: *منهاج الطالبين*، الإمام محيى الدين يحيى بن شرف النووي (ت. ٦٧٧ هـ)، تعليق وتخريج: الشيخ عبد الرزاق غالب المهدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٨ . الجمل، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي (ت. ٢٠٦ هـ.)، *الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية*، دار الفكر، طبعة منقحة، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

٣٩ . حجازي الفشني، شهاب الدين أحمد (ت. ٩٧٨ هـ.)، تهذيب *تحفة الحبيب في شرح نهاية التدريب*، عناية: قاسم النوري، الطبعة الأولى، الناشر: مسلم الرحال، د.م.، ١٩٩٦م.

٤٠ . الحسيني القنوجي، أبو الطيب، *الروضة الندية شرح الدرر البهية*، تخريج: أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

٤١ . الحيداني، عبد الغنيمي، *المختار من كتاب اللباب،على المختصر المشتهر باسم "الكتاب"*، تصنيف: الإمام أبو الحسين أحمد بن محمد القدوى (ت. ٤٢٨ هـ)، ١٩٧٤م.

٤٢ . الخزاعي التلمساني، أبو الحسن علي بن محمد (ت. ٧٨٩ هـ.)، *كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ، من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية*، تحقيق: الشيخ أحمد محمد أبو سلامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . لجنة التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٩٨١م.

٤٣ . الخضري، محمد، *تاريخ الأمم الإسلامية .. الدولة الأموية*، دار الفكر، د م.، ٢مج.

٤٤ . خشان، محمد: مدير التحرير، *الفكر الإسلامي*، العدد الثامن، السنة السابعة عشر، آب ١٩٨٨م.

٤٥ . داود الأشوري العراقي، عبد الأحد: *الآب، الإنجيل والصليب*، نقله من التركية: عربى مسلم، الطبعة الأولى، د ن.، القاهرة.

٤٦ . الدمشقي، يوحنا: منصور بن سرجون، *الفكر المسيحي بين الأمس واليوم*، تعريب: الإكسر حوس جوزف نصر الله، والأرشمندريت، أنطوان وهبي، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.

٤٧ . الدمشقي، يوحنا، *الدفاع عن الأيقونات المقدسة*، د. ن. يعود ريع هذا الكتاب، لدير سيدة حماطورة، كوسبا، لبنان، ١٩٩٧م.

٤٨ . الدمشقي، يوحنا، *الهرطقة المئة*، د. ن.، لبنان، ص ٣٧ .

٤٩ . ديورانت، ول، *قصة الحضارة*، تعريب: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، لبنان.

٥٠ . الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: المؤرخ (ت. ٧٤٨ هـ.)، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام .. عهد الخلفاء الراشدين*، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

٥١ . الرافعي، عبد الرحمن، *تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر*، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة.

٥٢ . رستم، أسد، *كنيسة الله أنطاكية*، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان.

٥٣ . الرصاع، أبو عبد الله (ت. ٨٩٤ هـ. الموافق: ١٤٨٩م)، شرح حدود *ابن عرفة الموسوم: الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية*، تحقيق: محمد أبو الأجفان، والطاهر المغموري، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٥٤ . الزركلي، خير الدين، قاموس تراجم الأعلام، الطبعة التاسعة، ١٩٨٦م.

٥٥ . الزيعلي، فخر عثمان بن علي، *البحر الرائق شرح كنز الدقائق*، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٥٦ . زين الدين، نصيرة، *السفور والحجاب*، مطابع قوزما، بيروت، لبنان، ١٩٢٨م.

٥٧ . سحاب، فكتور، *العرب وتاريخ المسألة المسيحية*، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

٥٨ . السحمراني، أسعد، *الإسلام بين المذاهب والأديان*، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

٥٩ . السرخسي (ت. ٤٩٠ هـ.)، *النكت*، وهو شرح *لزيادات الزيادات*، الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت. ١٨٩ هـ)، وشرحها للإمام أبي نصر أحمد محمد العتابي البخاري (ت. ٥٨٦ هـ)، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، الطبعة الأولى، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

٦٠ . السلمان، عبد العزيز محمد، *الأسئلة والأجوبة الفقهية المقرونة بالأدلة الشرعية*، الطبعة العاشرة، د. ن.، ١٤١٢ هـ.

٦١ . السيد البكري، أبو بكر بن محمد شطا، *حاشية إعانة الطالبين، على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين*، زين الدين بن عبد العزيز المليباري الفناني، عناية: محمد خالد العطار، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

٦٢ . السيوطي، جلال الدين (ت. ٩١١ هـ.)، *تاريخ الخلفاء*، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

٦٣ . الشافعي، *مختصر المزني على الأمر*، د. ن.

٦٤ . شبارو، عصام، *الدولة العربية الإسلامية الأولى*، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٦٥ . الشعراني، أبو المواهب عبد الوهاب (ت. ٩٧٣ هـ.)، *الميزان الكبرى الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية*، ضبط وتصحيح: الشيخ عبد الوارث محمد علي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

٦٦ . الشعراوي، محمد متولي، *الفتاوى*، القاهرة.

٦٧ . شهاب الدين الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس: الشهير بالشافعي الصغير (ت. ١٠٠٤ هـ.)، *نهاية المختار إلى شرح المنهاج في الفقه على مذهب الإمام الشافعي*، ومعه حاشية أبي الضياء نور الدين علي بن علي الشبراملسي القاهري (ت. ١٠٨٧ هـ)، وحاشية أحمد بن عبد الرزاق بن محمد أحمد المعروف بالمغربي الرشيدي (ت. ١٠٩٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٨ . شيخ زاده الحنفي المعروف بـ: داماد أفندي، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي (ت. ١٠٧٨ هـ.)، *مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر*، والعلاء الحصكفي، محمد بن علي (ت. ١٠٨٨ هـ.)، تخريج: خليل عمران منصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ، ١٩٩٨م.

٦٩ . الصادقي، محمد، *عقائدنا*، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

٧٠ . ضويان، إبراهيم محمد سالم، *منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل*، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة السابعة، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م.

٧١ . الطبري، أبو جعفر بن جرير (ت. ٣١٠ هـ)، *تاريخ الطبري*، تاريخ ما قبل الهجرة النبوية الشريفة، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.

٧٢ . الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت. ٤٦٠ هـ.)، *البسوط في فقه الإمامية*، تصحيح وتعليق: محمد الباقر البهودي، عناية: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، حجاب حيدري، ١٣٥١ ش.

٧٣ . عبد الباقي، محمد فؤاد، *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*، دار الأندلس، بيروت، لبنان.

٧٤ . عبد البر النمري، أبو عمر يوسف، *الكافي في فقه أهل المدينة المالكي*، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

٧٥ . عبد الكريم الصرصوري، الطوفي سليمان بن عبد القرى، القرن السابع الهجري، *الأكسير في علم التفسير*، تحقيق: عبد القادر حسين، عناية وتخريج: مكتبة الآداب لصاحبها علي حسن بالقاهرة، الطبعة الأولى، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٧٧م.

٧٦ . عبده، محمد، *ديوان النهضة ـ الإمام محمد عبده*، اختيار نصوص وتقديم: أدونيس، وخادة سعيد، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

٧٧ . عمران، أحمد، *القرآن والمسيحية في الميزان*، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٩٧٥ ,

٧٨ . عمران، أحمد، *الحقيقة الصعبة في الميزان*، دار النخبة العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٧٩ . عمر، جمال، *فلسفة الإرهاب ومؤسس العمليات الاستشهادية*، دار النهضة المصرية، ٢٠٠٨م.

٨٠ . عميرة، شهاب الدين أحمد (ت. ٩٥٧ هـ.)، وسلامة، شهاب الدين أحمد (ت. ١٠٩٦ هـ.)، *حاشيتان: قليوبي - عميرة*، الأولى، على شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت. ٨٦٤ هـ)، على *منهاج الطالبين*، الإمام زكريا أبي يحيى بن شرف النووي (ت. ٦٧٦ هـ) في الفقه الشافعي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٨١ . عوف، أحمد محمد، *موسوعة حضارة العالم*، ويكي الكتب.

٨٢ . الغزالي، محمد أبو حامد، *كتاب الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي*، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٨٣ . الفتوحي الحنبلي، ابن نجار (ت. ٦٩٥ هـ.)، *معونة أولي النهى شرح المنتهى منهى الإرارادات*، دراسة وتحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الطبعة الثالثة، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

٨٤ . القلسطيني ق.م.، *الشامل في الهرطقات*. د. ن.

٨٥ . الفيروزآبادي، أبو اسحاق (ت. ٤٧٦ هـ.)، *كتاب التنبيه في فروع الفقه الشافعي*، إشراف: مركز البحوث والدراسات، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٨٦ . الفيروزآبادي، أبو اسحاق، *القاموس المحيط*.

٨٧ . الفيروزآبادي، *المهذب في فقه الإمام الشافعي، وبذيله صحائفه: النظم المستعذب في شرح غريب المهذب*، محمد بن أحمد بن محمد بن بطال الركبي اليمني (ت. ٦٣٣ هـ)، ضبط وتصحيح: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٨٨ . القنوجي، ابن علي الحسيني؛ وابن الحسين، أبو الطيب صديق، *الروضة الندية شرح الدرر البهية*، تخريج: أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٨٩ . الكاشاني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي المُلقب بأبو العلماء (ت. ٥٨٧ هـ)، *كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع*، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م.

٩٠ . الكفوي، معجم *الكليات*.

٩١ . لنكولن، إريك ج.، *المسلمون الزنوج في أمريكا*، تعريب: عمر الديراوي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٦٤م.

٩٢ . المبارك، محمد، الثقافة الإسلامية، *نظام الإسلام، الحكم والدولة*، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م.

٩٣ . المبارك، محمد، *المجتمع الإسلامي المعاصر*، الطبعة الخامسة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.

٩٤ . المدني، هاشم دفتر دار، *الإسلام والمسيحية في لبنان*، الطبعة الثانية، مطبعة الإنصاف، بيروت، لبنان.

٩٥ . المر، إلياس، *الإسلام بدعة نصرانية*، د.ن.، د.م.

٩٦ . محمد بن مفلح، أبو اسحاق (٨١٦ - ٨٤٤)، *المبدع في شرح المقنع*، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.

٩٧ . محمد السعدي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت. ٤٦١ هـ الموافق: ١٠٦٨م ببخاري)، *النتف في الفتاوى*، تحقيق وتخريج: المحامي الدكتور: صلاح الدين الناهي: أستاذ بجامعة بغداد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

٩٨ . مراويد، علي أصغر، *سلسلة الينابيع الفقهية، فقه الشيعة*، بيروت، لبنان.

٩٩ . المشوخي، عبد الله سليمان، *مجتمعنا المعاصر: أسباب ضعفه ووسائل علاجه*، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٧م.

١٠٠ . ميشال اليسوعي، توماس، *مدخل إلى العقيدة المسيحية*، تعريب: الأب كميل حشيمة اليسوعي، دار المشرق، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان.

١٠١ . المصري، زكريا عبد الرزاق، *وحدة الأمة الإسلامية على أسس صحيحة وواقعية*، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

١٠٢ . منلا خسرو الحنفي، *درر الحكام في شرح غرر الأحكام*، وبهامشه: حاشية العلامة أبي الاخلاص حسن بن عمار بن علي الوفائي الشرنبلالي الحنفي، د.ن.

١٠٣ . المهدي بن تومرت، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي (ت. ٥٢٤ هـ)، *حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب*، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

١٠٤ . المواق، أبو عبد الله (ت. ٨٩٧ هـ)، *التاج والإكليل لمختصر خليل، والحطاب الرعيني*، أبو عبد الله (ت. ٩٥٤ هـ)، *مواهب الجليل لشرح مختصر خليل*، ضبط وتخريج: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

١٠٥ . النجار، عبد الوهاب، *الخلفاء الراشدون*، تحقيق وتخريج: الشيخ خليل الميس، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

١٠٦ . النملاوي، خليل عبد القادر، *الدرر المباحة في الحظر والإباحة*، تنقيح وتعليق: محمد سعيد البرهاني، الطبعة الثالثة، المطبعة العلمية، دمشق، سوريا، ١٩٨٧م.

١٠٧ . النووي، أبو زكريا، *مغني لمحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني على متن منهاج الطالبين، ومعه المنهج السوى في ترجمة الإمام النووي*، الإمام السيوطي، تعليق: الشيخ جبلي الشافعي، إشراف: صدقي محمد جميل العطار، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

١٠٨ . هنتنغتون، صموئيل، *صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي الجديد*، تعريب: مالك عبيد أبو شهيوة، وغيره، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى، ١٩٩٩م.

١٠٩ . هويدي، محمد، *التفسير المعين*، المؤسسة العالمية لعلوم كالقرآن، الطبعة الخامسة، دار البلاغة، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

١١٠ . وجدي، محمد فريد، *دائرة معرف القرن العشرين*، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١١١ . وصفي، محمد، *المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام*، مراجعة وتقديم، علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة.

١١٢ . الونشريشي، أبو العباس أحمد، *عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق*، دراسة وتحقيق: حمزة أبو فارس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

١١٣ . يكن، فتحي، *المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب*، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

١١٤ . اليوزبكي، توفيق سلطان، *تاريخ أهل الذمة في العراق* (١٢ ـ ٢٤٧ هـ)، الطبعة الأولى، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٣م.

١١٥ . *ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره*، اعداد: د. محمد حربى، الطبعة الأولى، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

١١٦ . *ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره*، إعداد: د. محمد حربى، عالم الكتاب، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

١١٧ . *الإسلام في لبنان*، محاضرات الندوة التاسعة عشر، النشرة: ٨ ـ ١١، الندوة اللبنانية، ميشال أسمر، ١٩٦٥، مقال للسيد موسى الصدر، ٢٤ أيار ١٩٦٥م.

١١٨ . *التاريخ وأدب النوازل*، إنجاز: الجمعية المغربية للبحث التاريخي.

١١٩ . *تحفة الحبيب على شرح الخطيب*، لبجرمي على الخطيب، د. ن.

١٢٠ . *حاشية إبراهيم البيجوري* على شرح العلامة ابن القاسم الغزي على متن الشيخ أبي شجاع، ضبط وتحقيق: محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

١٢١ . *حاشية الخرشي*، الإمام محمد بن عبد الله بن علي الخرشي المالكي (ت. ١١٠١ هـ)، على مختصر سيدي خليل، الإمام خليل بن إسحاق بن موسى المالكي (ت. ٧٦٧ هـ)، ضبط وتخريج: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

١٢٢ . *حاشية الدسوق*، الشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت. ١٢٣٠ هـ)، على الشرح الكبير، الشيخ أبي البركات سيدي أحمد بن محمد العدوي الشهير بالدردير (ت. ١٢٠١ هـ)، وبالهامش: تقرير العلامة المحقق محمد بن أحمد بن محمد الملقب بعليش (ت. ١٢٩٩ هـ)، تخريج: محمد عبد الله شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٢٣ . *حتى لا يكون أحد من اللبنانيين مواطناً من الدرجة الثانية: الأقلية والأكثرية ومعيار القيادية للرئيس اللبناني المقبل*، بيروت، لبنان.

١٢٤ . *حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المختار بشرح المنهاج*، ضبط وتصحيح: محمد عبد العزيز الخالدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٢٥ . *دستور الجمهورية الإسلامية في إيران*، تم التصديق عليه أول مرة عام ١٩٧٩م.

١٢٦ . *رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية*، مديرية الترجمة والنشر، طهران، الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

١٢٧ . *رسائل وفتاوى الشيخ عبد الله عبد الرحمن أبابطين*، جمعها ورتبها وخرج أحاديثها: إبراهيم بن عبد الله الحازمي، الطبعة الأولى، دار الشريف، الرياض، ١٤١٥ هـ.

١٢٨ . *الروض المربع شرح زاد المستقنع*، د. ن.

١٢٩ . عقود *الجواهر*، الفقيه الأديب اللغوي: محمد محمد مرتضي الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥)، تحقيق وتعليق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

١٣٠ . *العلاقات الإسلامية المسيحية*، قراءات مرجعية في التاريخ الحاضر والمستقبل، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث التوثيقية، بيروت، لبنان.

١٣١ . *فتاوى إسلامية لأصحاب الفضيلة العلماء: سماحة الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، ووفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، إضافة إلى اللجنة الدائمة وقرارات المجمع الفقهي*، جمع وترتيب: محمد بن عبد العزيز المسند، الطبعة الثانية، دار الوطن، الرياض،١٩٩٤م.

١٣٢ . *فتاوى شيخ الإسلام: محمد العزيز جعيط*، دراسة وتحقيق: محمد ابن إبراهيم بو زغيبة، الطبعة الأولى، مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ١٩٩٤م.

١٣٣ . *فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء*، جمع وترتيب: الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدرويش، الطبعة الأولى، دار أولي النهى، الرياض.

١٣٤ . *كتاب كشف الحقائق شرح كنز الدقائق*، مع الحواشي، الإمام عبد الحكيم الأفغان، تصحيح: محمود العطار، مطبعة الموسوعات، باب خلق، القاهرة.

١٣٥ . لجنة من الأساتذة، *الاجتهاد والتجديد في الشريعة الإسلامية*، التونسية للتوزيع، تونس، د. ت.

١٣٦ . مجموعة *رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود*: رئيس المحاكم الشرعية والشئوى الدينية بدولة قطر، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

١٣٧ . مجموع *فتاوى ابن تيمية*، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، بمساعدة إبنه: محمد، مكتبة المعارف، الرياط، المغرب.

١٣٨ . مجموع *الفتاوى الشرعية*، صادر عن قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٩٩٦م.

١٣٩ . *مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز*، جمع وإشراف: محمد بن سعد الشويعر، دار أولي النهى، الرياض، ١٩٩٣م.

١٤٠ . مختصر *المزني على الأمر*، الإمام محمد بن ادريس الشافعي (ت. ٢٠٤ هـ)، يليه مسند الإمام الشافعي واختلاف الحديث، تخريج وتعليق: محمود مطرجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

١٤١ . *منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل*.

١٤٢ . *المسيحيون في الجمهورية الإسلامية الإيرانية*، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية في بيروت، بيروت، لبنان.

١٤٣ . *الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية*، الكويت، ١٩٩٢م.

ب - المراجع غير العربية:

١ . كمال، ربحي، *المعجم الحديث*، عبري - عربي، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.

2. Browne, E. Laurence, THE DCLIPSE OF CHRISTIANITY IN ASIA: from the time of Mohammed till the Fourteenth century, New York, 1967.

3. MACDONALD, N. T. WILLIAM, BELIEVER'S BIBLE COMMENTARY, THOMAS NELSON PUBLISHERS Nashville, p.p. 782 - 783.

4. Watt W. Montgomery, Islam and Christianity Today, A contribution to dialogue, London, Boston.

5. http://www.immi.gov.au/allforms/transit.htm.

* * *

فهرس الموضوعات

* * *

تعريف بالكاتب

باحث في حقول الفلسفة ومقارنة الأديان والعلوم الإنسانية.

حصل على العديد من الدرجات العلمية.

متخصص في مشاكل الشرق الأوسط.

j.binomar@yahoo.com

هذا الكتاب

من هم المسيحيون؟ ومن هم المسلمون؟

وما هي أبجديات الصراع الديني في المنطقة، وفي العالم ؟

وما هو مفهوم أهل الذمة في المسيحية المعاصرة؟

وهل ثمة أهل ذمة في رقبة الحاكم العربي؟

هل استطاع القس الإنجيلي إخراج الشياطين التي سكنت الفنان المصري عادل إمام؟

وكيف يعيش الحجاب مع الصليب في البلدان ذات التعددية الدينية؟

إنها مواضيع الساعة التي تدخل إلى قلب عاصفة

الصراع الديني مدعومة بالوثائق والمستندات.

تعلم وأقرأ عن أبجديات الصراع الديني في المنطقة

حتى لا تكون إلا من الراجحين.

المؤلف

